الإسلام والأديان

دراسة مقارنة

د. مصطفى حلمي
أستاذ بكلية دار العلوم / جامعة القاهرة

دار الدعوة
للطبع والنشر والتوزيع

الاسلام والأديان

دراسة مقارنة

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

رقم الايداع
١٧٢٢ / ١٩٩١

الناشر
دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
٢ ش منشا - محرم بك - الاسكندرية

قال تعالى :

﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ .

[٣٣ التوبة ، ٩ الصف]

﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ﴾ .

[٢٨ الفتح]

﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

[٣٠ الروم]

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ .

[من آية ٣ المائدة]

وقال الرسول ﷺ :

« مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

[رواه مسلم عن أبى هريرة]

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتدى ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن هذه الصفحات تتضمن محاضرات فى علم مقارنة الأديان ، ألقيتها على طلاب الدراسات العليا بقسم العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة أثناء العامين ١٤٠٩ و١٤١٠هـ ، وقد التزمت فيها اختصار المادة العلمية مكتفيا بالمسائل الرئيسية ، مع الإحالة إلى المراجع والمصادر المختصة ، والعناية بإجراء الموازنات بعد عرض الآراء المختلفة فى تعريف الدين والترجيح بينها ، مستنداً إلى الدراسة المستوعبة لأصولها وفروعها للدكتور محمد عبد الله دراز – رحمه الله تعالى – فى كتابه (الدين) .

وإزاء سيل الكتب التى تصدرها المطابع بلا انقطاع عن موضوع الدين وما يتصل به من قضايا رئيسية أو فرعية ، فإن التساؤلات المطروحة دائما وتحتاج إلى عناية خاصة هى :

(١) بأى منهج يدرس أصحاب هذه الكتب قضايا الدين ؟ .

(٢) ثم ، هل يستطيع المؤلف التخلص من عقيدته عندما يكتب عن دينه ؟

(٣) ويبقى استفسار أخير عن مفهوم الدين فى تصورات الكتّاب والمؤلفين ، ذلك لأن للدين (مفاهيم مختلفة فى أذهان الناس ، ففى الغرب يعنى الدين بصورة رئيسية نظام إيمان وعبادة يتميز عن الولاء الوطنى والسياسى ... أما بالنسبة للمسلمين فالدين يعنى أكثر من ذلك بكثير ، فالإسلام يشمل فى معناه ما نعنيه فى الغرب

كلمة الحضارة المسيحية والدين المسيحى مجتمعين)[1] .

ونفهم من هذا التعريف - على إيجازه - أحد سمات الكمال للإسلام .

وليس يعنى ذلك أننا ندافع عن الإسلام ، فهو غنى عن ذلك ، ولكم إذا استندنا إلى الأصول المشتركة بين الأديان ، وعرضناها بمنهاجية علمية مقارنة تلتزم بتوثيق المصادر ومخاطبة العقل واستخدام أساليب الجدل المنطقى ، إذا فعلنا ذلك سيظهر الترجيح الذى لا يقبل المكابرة .

بمثل هذه الرؤية الواضحة نرى أن لافتة (الحيدة العلمية) لم تعد تقنع أحدا عند البحث فى الأديان ، فما من باحث إلا وهو حامل عقيدته التى لا يستطيع التخلى عنها مهما زعم ارتداء ثوب (الحيدة) .

يقول الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق :

« إن الواقع يشهد بأن حرية الرأى مسألة ظاهرية أكثر منها حقيقية ، وأن الإنسان ليس حر التفكير على الإطلاق كما يشاء فى مسائل معينة ... ثم إن التعصب الموروث لدى المسيحيين ضد الإسلام وأتباعه قد عاش فيهم دهورا طويلة ، حتى أصبح جزءًا من كيانهم »[2] .

ومع هذا فإذا أردنا البحث عن أفضل الطرق لتحييد المواقف بقدر الإمكان ، فيجب علينا إقامة بحوثنا على عناصر محايدة - كالأرقام الرياضية - معترف بها فى دائرة مصطلحات الأديان وعلى ضوء مفاهيم علمائها ورجالها ، فما من دين إلا وله كتاب ونبى (يختلف بشأنه فى الأديان الوضعية) ومعتقدات وعبادات وشرائع ونظام للقيم وتصور للحياة والنفس الإنسانية .

فتعالوا إلى التعرف على ما يتميز به الإسلام بأدلة عقلية مجردة .

---

(١) ص ٣٢ من كتاب الغرب والشرق الأوسط - برنارد لويس - ترجمة نبيل صبحى - كتاب المختار - بدون تاريخ - سلسلة : نحو طلائع إسلامية واعية .

(٢) أوربا والإسلام ص ١٣٥ - طبعة دار الشعبة بالقاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

- القرآن كلام الله المنزل ، لم يكتبه بشر ولم تتدخل الأيدى لنسخه وتبديل معانيه وتغييرها حسب الأهواء .

- إثبات خصائص النبوة والرسالة لمحمد - ﷺ - إذا قورنت بالأنبياء والرسل جميعا (وهو القياس الذى التزمه هرقل ملك الروم كما سيأتى) . ويبقى ملزما لأهل الكتاب لإيمانهم بالرسل والأنبياء قبله ، فهو لا يخرج فى أخلاقه وأعماله ودعوته عما فعله الرسل السابقون عليه .

- عقيدة التوحيد - وهى ميزة الإسلام الكبرى وغايته القصوى - لا تشوبها شائبة من عبادة مخلوق أيا كان - سواء فى السماء كالشمس والقمر والكواكب ، أو فى الأرض من أوثان أو كهنة أو رجال دين .

- إن شريعته بالمقارنة بغيرها تجمع بين الفضل والعدل .

- وقيمه الخلقية البالغة فى الرقى حدا لا يجارى ، إذ لو لم نقرأ عمّن طبّقها وما زلنا نعيش مع من يفعل - لظننا أنها مجرد مثل عليا تصلح لكائن آخر غير الإنسان .

- بيان حقيقة الإنسان ودوره فى القيام (بالخلافة) بشروطها ، والهداية إلى طريق الحياة الطيبة فى الدنيا الموصل إلى السعادة فى الآخرة .

وعلى الإجمال فإن الإسلام يشخص الإنسان بذاتيته المتفردة ، فلا هو كائن (حيوانى) بحت ، ولا هو كائن (ملائكى) نورانى بحت ، بل أصله من طين ثم نُفخ فيه الروح[1] .

---

(١) يقول نجم الدين البغدادى : « إن العالم على ثلاثة أضرب : عقل محض كالملائكة ، وشهوة محضة كالبهائم ، ومركب من الأمرين ، وهما الثقلان . فالطرفان لا مشقة عليهم ؛ أما الملائكة فلعدم الشهوة المعارضة لعقولهم ، وأما البهائم فلعدم التكليف . والثقلان (الجن والإنس) واسطة عليها المشقة لتنازع العقل والشهوة فى مراديهما . فيبعث الإنسان بينهما كالمخلص بين متخاصمين » .

ص ٢٠٤ من كتابب الانتصارات الإسلامية فى علم مقارنة الأديان - نجم الدين البغدادى الطوفى (٧١٦هـ) - تحقيق د/ أحمد حجازى السقا - مطبعة دار البيان بمصر ١٩٨٣م .

والإنسان يظل منذ ولادته فموته ثم بعثه ، مستقلا بذاته لا يفنى فى (الكل) خلافا لعقائد الهنادكة والبوذية .

وهو حر الإرادة مسئول عن أفعاله ولا يتحمل أخطاء غيره أو يولد حاملا للخطايا كما يعتقد النصارى .

والناس فى الإسلام سواسية كأسنان المشط ، ولكن يتفاضلون بالإيمان والتقوى والعمل الصالح ، خلافا لليهود الذين يتوهمون أنهم وحدهم (شعب الله المختار) .

ويحذّرنا الإسلام من إبليس العدو اللدود وأعوانه ويعرفنا بطرق محاربته ويضعه فى حجمه الحقيقى تصحيحا لعقائد المجوس .

- أمته بتاريخها – وأكثر صفحاته ناصعة البياض فلا تجاريها أمة أخرى فى جهادها وتضحياتها وبذلها الأنفس والنفائس لا لغرض إلا لتكون كلمة الله هى العليا آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر – لا للسيطرة أو الاستعمار أو استعباد الشعوب وقهرها وسلب خيراتها والاستعلاء عليها .

وربما يندهش ويتعجب الباحثون والمراقبون من غير المسلمين ، ولكننا لا نفعل[1] ، إنهم لم يتنبهوا إلى أن الأمة الإسلامية هى ثمرة الإسلام ، كانت تقود حضارة العالم فى حالة قوتها وازدهارها ، وظل الإسلام هو درعها تقاوم بها أعداءها وهى فى حالات الضعف وتكالب الأمم عليها ، وآية ذلك انتصار المجاهدين الأفغان الدال على أن عرق الأمة ما زال – بالرغم من ضعفها – ينبض بقوة ليطرد عنها الأعداء .

وحرىّ بالعالم الإسلامى أن يواصل دعمه لهذا الجهاد العظيم ويستفيد من آثاره لتقوية حركة الصحوة وامتدادها إلى الجمهوريات الإسلامية الواقعة تحت نير الاستعمار الروسى ، لأن حركة المقاومة قد بدأت ولا بد من استمرارها ،

---

(١) ينظر كتابنا (الصحوة الإسلامية : عودة إلى الذات) دار الدعوة بالإسكندرية .

إذ لا يخفى أن حملات القمع تشتد لأن أهلها مسلمون ، وأكّد كبيرهم ذلك عندما صرّح بأن معضلاته اثنان : الإسلام والأزمة الاقتصادية .

- كذلك يعطينا الإسلام التصورات الكاملة عن الحياة الآخرة لأنها الحياة الحقيقية ﴿ **وأن الدار الآخرة لهى الحيوان** ﴾ [٦٤ العنكبوت] ، فاقتضت طبيعتها وصفها وصفا دقيقا كاملاً لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وعرّفنا بها ، ترغيبا فى حياة النعيم المقيم ، وتحذيرا من الجحيم .

* * *

وإننا لعلى يقين من أن أى باحث يستخدم العقل المجرد والضمير الحى فى مراجعة ما قررناه بالأدلة ، فسيسهل عليه رؤية الحق والإذعان له .

وإذا كانت الأديان هى موضوع دراستنا ، فإن واقع العصر الذى نعيشه الآن ، يفرض علينا تناول بعض الظواهر البارزة بالعرض والتحليل :

سقطت أقنعة المذاهب والأيديولوجيات(١) ، وظهرت الوجوه سافرة ، فلم يعد يخفى على المتابع للأحداث العالمية الأخيرة عودة العقائد الدينية مرة أخرى شرقا وغربا وراء التصريحات والتحركات والقرارات السياسية ، وتحول الصراع من مجال المذاهب إلى مجال الدين .

---

(١) ومن مظاهر تهاوى المذاهب والنظريات أننا رأينا الماركسية يكيل لها أتباعها الطعنات فى مواطن قاتلة ، وعلى رأسها إباحة تعدد الأحزاب وإقامة السوق الحر ، والسماح للكنائس بأداء دورها والانفتاح على الغرب .. ونتساءل : أين القوميات الآن وفى مقدمتها (العربية) التى استخدمت طوال سنوات لطعن الوحدة الإسلامية وضرب الاسفين بين الأمة الواحدة ؟ وأين الحياد الإيجابى وهناك فى كشمير يذبح المسلمون ويقتل أبناؤهم وتنتهك أعراض نسائهم على أيدى الهندوكيين ، وتتسرب أيضا أنباء مفجعة عن اضطهاد المسلمين فى الصين .

وفى أوربا المتحضرة التى ترفع شعار الحريات وحقوق الإنسان كشفت عن نفسها حيث كانت تعنى (الإنسان الغربى وحده) وهاهى مذعورة ترفع رايات التحذير من الإسلام والمسلمين ، لا لسبب إلا بدافع الحقد المتوارث من الحروب الصليبية !

إن هذه الظواهر الطارئة على العصر فى السنوات الأخيرة – وما زالت تتوالى – لا تكاد تخفى على أحد ، منها : استرداد الكنيسة لسلطانها الذى فقدته منذ بدء النهضة وقيادتها لمجريات الأمور السياسية[(١)] ، ومحاولة استرداد دورها الذى فقدته منذ الثورة الفرنسية ، وحملات التبشير[(٢)]ونشاط الاستشراق كطلائع للعزو العسكرى فى البداية ، ثم استمراره فى تغذية الغزو الثقافى والحرب الفكرية ، والكتابات العدائية المغرضة ضد الإسلام والرسول – ﷺ –[(٣)] وتحريك العملاء وتشجيع الأقلام الحاقدة لتنفث سمومها لإجهاض حركة اليقظة الإسلامية ، والتحام المذهب البروتستنتى فى النصرانية مع الصهيونية لإنشاء وتدعيم إسرائيل على أساس عقيدة دينية تغذيها أحلام توراتية يشترك فى الإيمان بها كل من اليهود والنصارى البروتستانت ومعظمهم من الأمريكيين[(٤)] . ويأتى التطور الأخير غير المتوقع من قبل – أى

---

(١) أمر بابا الفاتيكان فى أواخر أبريل ١٩٩٠م بعقد اجتماع غير عادى لكبار الأساقفة فى روما لبحث الموقف فى أوربا الشرقية ، وصرح بأنه يجب على الكنيسة أن تسعى لملء هذا الفراغ على المستوى الرسمى . (مجلة المختار الإسلامى العدد ٩١ المحرم ١٤١١ – أغسطس ١٩٩٠م ص٧٥)

(٢) كتب (رايتى دافيد) على أثر اعتناقه للإسلام يقول : (كانت المدارس والمعاهد التى درست بها تحارب الإسلام وتحاول صدنا عن سبيله) ص٩١ ، وعرف التبشير ببلاده أنه (التعرض للمبادئ الإسلامية والتنكر للقرآن) . أى أن نشاط المعاهد التبشيرية لم يقتصر على البلدان الإسلامية بل كان دأبها فى أوربا السيطرة على العقول . ص٩٧ من كتاب (الإسلام يتحدى المذاهب والأديان) محمود حمدى الجريسى ط دار التراث العربى ١٩٧٦م .

(٣) ويؤسفنا أن هيئة اليونسكو أنضمت إلى زمرة المهاجمين للإسلام ، وخانت بذلك رسالتها . (انظر التفاصيل بكتاب : مفتريات اليونسكو على الإسلام – محمد عبد الله السمان – المختار الإسلامى ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م) .

(٤) وهناك أيضا نحو أربعين مليون أمريكى يؤمنون بعقيدة معينة تسمى (عقيدة العصر الألفى السعيد) وخلاصتها أن الله قد وعد بنى إسرائيل أن تقوم لهم فى آخر الزمان دولة ، وهم يؤمنون أن يوم القيامة سيأتى ، ومن الخير أن يأتى يوم القيامة سريعا . بعده ، ستقوم معركة بين قوى الخير وقوى الشر ، وأن المسيحيين سيبتهجون عندما تنتصر قوى الخير ، وتتم إبادة كل اليهود ، وتسود المسيحية . ص٦٧ – ٦٨ من كتاب (العرب وإسرائيل – شقاق أم وفاق) للأستاذ أحمد ديدات وترجمة على الجوهرى – ط دار الفضيلة بمصر ودبى ١٩٩٠م .
=

= وإذا تتبعنا مواضع التحام المذهب البروتستانتى بالصهيونية ، فسنلاحظ أنه أثمر الخطوات السياسية

زوال العداء بين المعسكرين الشيوعى والغربى ، والتكتل العدائى نحو الأمة الإسلامية الذى بلغ أشدّه فى هذه الأيام .

كذلك لم يعد بمقدور أحد أن يشكك فى تحول اليهودية إلى دين سياسى يغذى الإسرائيليين بأحلام إقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات ، واتخاذ بروتوكولات حكماء صهيون دليلا للعمل ، ووضع محتويات العهد القديم والتلمود موضع التنفيذ للسيطرة على العالم ، فإن هذه البروتوكولات « موجودة فى المعابد اليهودية فى كل أنحاء العالم بما فى ذلك مصر ، وأن حاخامات المعابد يحفظونها عن ظهر قلب ، ولأنها بروتوكولات سياسية فإن الحاخام يشرح الكثير منها فى أيام السبت دون أن

= المتدرجة نحو إنشاء إسرائيل وتدعيمها ، وكان معظم الزعماء السياسيين المسئولين عن ذلك فى بريطانيا وأمريكا من البروتستانت .

وآية ذلك أن مارتن لوثر مؤسس الحركة قد وصف بأنه (شبه يهودى) أو نصف يهودى ، واعتبرت المبادئ البروتستانتية فى القرن السادس عشر بمثابة بعث (عبرى) أو يهودى . وحتى عندما تغير موقف لوثر من اليهود كتب يقول : « من الذى يحول دون اليهود وعودتهم إلى أرضهم فى يهودا ؟ لا أحد . إننا سنزودهم بكل ما يحتاجون لرحلتهم لا لشىء إلا لنتخلص منهم . إنهم عبء ثقيل علينا وهم بلاء وجودنا » .

وفى ظل الاستعمار البريطانى لبلدان العالم العربى والإسلامى ، كان مارك سايكس – الذى تحول للصهيونية وأحد مساعدى لويد جورج – القوة المحركة للسياسة البريطانية الخاصة بفلسطين والتى أدت إلى وعد بلفور ، ثم أعطت معاهدة سايكس بيكو فلسطين هوية جغرافية لأول مرة فى التاريخ الحديث . كذلك فإن التعليل الصحيح لانحياز أمريكا لإسرائيل لا يقتصر على (اللوبى) الصهيونى ، ولكن يرجع إلى تغلغل الأفكار العريضة للصهيونية فى التفكير الأمريكى ، فأثمرت شخصيات لعبت دورها بدافع عقائدى – أمثال ترومان وكارتر الذى كانت خلفيته البروتستانتية وآراؤه الدينية مرتبطة بسياسته –

ينظر كتاب (الصهيونية غير اليهودية – جذورها فى التاريخ الغربى) تأليف ريجينا الشريف وترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز – سلسلة عالم المعرفة – ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م الكويت (٩٦) صفحات ١٨-١٩- ٤٥- ٤٧- ١٦٩- ١٧٠- ٢٠٤- ٢٧٥ .

وقد كتبت فى مقدمة بحثها تقول : « وحتى نضع الأمور فى نصابها ، سنبين كيف أصبح التيار الخفى للحضارة والثقافة الغربية ملوثا بالأساطير الصهيونية الملوثة ، سواء الدينية منها أو العلمانية » ص١٨ .

يذكر أن هذه هى البروتوكولات »[1] .

هذا ، وإذا كان الإسلام فى غير حاجة للدفاع عنه كما أسلفنا ، فإننا سنلتزم – كأحد طرق الاستدلال – بالموازنة بينه وبينن غيره من الأديان ، سواء أكانت وضعية أو سماوية ، وعندئذ ستظهر مزاياه تباعا كلما انتقلنا من مبحث إلى آخر ، وسيتضح بجلاء الاشعاعات المضيئة للآية الكريمة : ﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا** ﴾ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصطفى بن محمد حلمى

الاسكندرية فى ٧ من المحرم سنة ١٤١١ هـ
٢٨ يوليو سنة ١٩٩٠ م

* * *

(١) الإرهابيون الأوائل – جيراننا الجدد ص١٨ ، وجيه أبو ذكرى – المكتب المصرى الحديث بالقاهرة ١٩٨٧ م .
وقد جاء هذا التصريح على لسان طبيب أسنان يهودى مقيم فى مصر ورفض الهجرة إلى إسرائيل .

تمهيد

« الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، أما بعد » .

فإن ظاهرة (التدين) قد اجتذبت الكثير من العلماء والباحثين فى مجال العلوم الإنسانية لتحليلها وتأصيلها ، وبيان أوجه الاختلاف بين العقائد والأديان ، إما بمنهج تاريخى ، أو بمنهج مقارن ، أو بمنهج تحليلى لبيان النشأة والتطور ، وعلاقة العقائد بينها وبين بعض بالتأثير والتأثر .

ولاشك أن علم (مقارنة الأديان) قد حقق نتائج باهرة تجعلنا فى موقف أفضل من أهل القرون السابقة ، حيث ظهرت كثير من الأبحاث والدراسات والمخطوطات المحققة كلها تجعلنا أكثر دقة فى الحكم ، وأكثر اقترابا من فهم مايدور حول العقائد والأديان ، لعل فى مقدمتها التساؤل عن أىّ العقائد والأديان أحق بالاتباع ؟ ، وتزداد أهمية السؤال إذا عرفنا أننا نعيش عصر العقائد الدينية بعد فشل الأيديولوجيات .

وإذا ثبت إخفاق الأيديولوجيات[1] بسبب عدم تلبيتها لحاجات النفس الإنسانية ، أو تحقيقها للسعادة المرجوة على مستوى الجماعات والأمم وفشلها فى تحقيق النتائج المنتظرة عندما نبتت فى أذهان أصحابها ، بعد ذلك كله يحق للعقيدة الدينية أن تتربع على عرش القلوب ، وأن تتخذ منهاجا لتحقيق الحياة الطيبة للأفراد والمجتمعات ، فى عصر حضارة متأزمة تضخمت بالمشاكل وأصبح أهلها يضجون بالشكوى . فأى دين أحق أن يتبع ليحقق السعادة المرجوة ؟

---

(١) ينظر كتابنا (الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة) ص٧٠ /٧٤ –ط دار الدعوة بالاسكندرية – ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م .

لنتفق أولا على التعريف المتكامل للدين فى ضوء الدراسات التى أجراها العلماء المتخصصون فى هذا الميدان .

يعرف الدكتور محمد عبد الله دراز الدين بأنه (الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة) – هذا من حيث هو حالة نفسية . ومن حيث حقيقة خارجية فهو(جملة النواميس النظرية التى تحدّد صفات تلك القوة الإلهية ، وجملة القواعد العمليّة التى ترسم طريق عبادتها[1] .

والدين الحق بهذا التعريف لاتجده متحققا إلا فى الإسلام ، ونضيف القول بأنه ليس مجرد فكرة أو فلسفة ، وليس طقوسا وعبادات روحية منقطعة الصلة بطبيعة الإنسان ، ومكوناته العاطفية ، وغرائزه ووجدانه ، ولكنه يجمع فى إطاره الكامل عقيدة التوحيد مع جانب تنظيم أنشطة الإنسان فى ميادينها المختلفة فى الاسرة والمجتمع والدولة ، وباقى الأمم فى علاقته بغيره فى شئون الاقتصاد والمال وقواعد الحكم السياسية ، ومبادىء السلوك والأخلاق فى العلاقات الإنسانية كلها ، مع تعريفه بالسنن الإلهيّة ، وحكمة خلقه كإنسان له مكانته وهدفه ومصيره بالمقارنة بباقى المخلوقات التى تشاركه حياته الدنيوية لأنه أكرمها .

أضف إلى ذلك تصويب نظرة الإنسان إلى نفسه ومكوناته الروحية والجسدية وتعريفه بالحياة الدنيا وطبيعتها والغرض منها كدار ابتلاء ، ومعبر للحياة الآخرة الخالدة ، وضم كل هذا كتاب (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ، ونُفِّذت تعاليمه وأحكامه وتشريعاته بواسطة خاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ آية ٢١ الأحزاب . كما قامت طائفة من أمته – وستظل إلى قيام الساعة – ظاهرة على الحق لاتنحرف عنه ولا تغيّر ولاتبدّل فى أصوله وأحكامه أو تعاليمه .

---

(١) د / دراز الدين ص٢٥ (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) – دار القلم – الكويت ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م .

وسنرى بمشئية الله تعالى أن دراستنا ستجيب على التساؤلات التى تدور فى خلد الإنسان ، وهى كثيرة ومتشعبة مثل : (ماهو مبدأ هذا الكون ومصيره ؟) هل هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة ؟ فإن كانت فما هى طبيعتها ؟ وماهى تعليماتها ووصاياها فى هذه الحياة ؟ ، ثم ماهى مكانة هذا الكون من حيث المجموع ومن الذى يديره بمثل هذه الدقة والنظام والحكمة البالغة الشاملة والقانون المحكم المتين ، وماهى صفاته وصلته بالإنسان وماذا ينبغى للإنسان أن تكون علاقته به ؟ وهل هناك قانون خلقى عدا قوانين الطبيعة الدائرة فى العالم ، فإن كان فما هى تفاصيله ، وما هى مكانة الإنسان الصحيحة ومنصبه فى هذا الكون ؟ هل هو حر طليق لايتقيد بقيود وأحكام أم هو تابع محكوم ؟ هل هو مسؤول أمام أى قوة ومحكمة أخرى ، أم أنه حر طليق لا مسئولية عليه ؟ ثم ماهو أسمى مطلوبه ؟[1]

ومن معالم منهجنا أيضا التحقق من حقيقة (التطور) الذى يردده الغربيون عن حضارتهم باعتبارها تعبر عن أرقى الحضارات وأكثرها تطوراً ، حيث نرى أن التطور الصحيح لايقتصر على التقدم العلمى التكنولوجى فحسب ، بل ينبغى أن يصاحبه أيضا (تطور) عقائدى وأخلاقى . وإذا بحثنا فى عقائد القوم نراها قد ثبتت على عقائد الشرك والوثنية للأديان المحرّفة أو الوضعية ، أو بمعنى أدق هى امتداد لها ، ومن ثم فإن العقائد قد انتكست من (التوحيد) الذى أتى به الأنبياء والرسل عليهم السلام . ولاسبيل للتطور الإنسانى الحقيقى إلا بالعودة إلى الارتقاء) إلى عقائدهم الموحى بها من الله عز وجل .

إن عالم اليوم يعيش فى (ردة) حقيقية عن الدين الإلهى الصحيح إذ خضع الإنسان بإرادته إلى مذلّة وهوان عبادة غيره من الكائنات ، بينما فى الأصل هى مسخرّة ومذللّة له ، ولنلقى نظرة إلى القارة الأسيوية أيضا ذات الكثافة السكانية الهائلة ، وفى مقدمتها اليابان المتقدمة علميا وتكنولوجيا ، (فقد عبد اليابانيون مظاهر الطبيعة والأسلاف وما (الشنتوية) إلا مزيج من عبادة الشمس ومظاهر الطبيعة

(١) أبو الحسن الندوى : بين الدين والمدنية ص٩ –مؤسسة الرسالة١٤٠٥هـ /١٩٨٥م .

وعبادة الأسلاف وعبادة الأمبراطور المسمى (ابن السماء) .[1]

والبوذية التى تعمل على جذب الكثيرين من الأوروبيين والأمريكيين بحثا عن غذاء للروح فى الشرق ، هذه البوذية عبارة عن ديانة هندية انتقلت إلى الصين ، ونعجب للإنسان المتحضر المعاصر الذى ينزل إلى درك عبادة صنم إذ من المعروف أن فى (لاسا) معبد بوذى فيه تمثال بوذا من الذهب الخاص والمعبد محلى بأغلى الجواهر ويعبد هذا الصنم ويحج إليه من قبل من يعبدونه[2] .

---

(١) الديانات والعقائد فى مختلف العصور ، احمد عبد الغفار عطار -ج١ص١٨٥ - ط مكة المكرمة١٤٠١هـ /١٩٨١م .

(٢) نفسه ص١٧٥ /١٨٢ .

الفصل الأول

منهجنا فى البحث

وإذا وصفنا الإسلام بأنه ليس فلسفة فأننا نعنى بذلك اختلافه عن فلسفة الفلاسفة منهجا وموضوعا ، حيث يبنى الفلاسفة أفكارهم على تأملات محضة وتصورات شخصية فيختلفون فيما بينهم أشد الاختلاف ، ومهما وصلوا من نتائج وحققوا من نظريات ومذاهب فأنها سرعان ماتخفق عند التجارب لأنها صادرة عن عقول إنسانية وهى – مهما أوتيت من ذكاء وعبقرية – قاصرة عن فهم حقيقة الإنسان ومايحقق له السعادة أو يسبب له الشقاء ، ومافشل الأيديولوجيات – وهى ألوان من الفسلفات والنظم من ابتكار واضعيها – إلا دليل ساطع على قصور العقل البشرى عن وضع الأنظمة للحياة الإنسانية ، وها نحن نحيا واقع الماركسية المنهار .

ونخلص من هذا أن بنى آدم فى حاجة إلى مصدر آخر للمعرفة ، ونظم الحياة خارج نطاق العقل الإنسانى وأسمى منه ، وهذا مانعنيه بالوحى الذى أتى به الأنبياء والرسل عليهم السلام .(١)

---

(١) يعرف اسبينوزا النبوة بقوله : (النبوة أو الوحى هى المعرفة اليقينية التى يوحى الله بها إلى البشر عن شيء ما) ص١٢٣ ونحن لانقره على آرائه الأخرى عن الأنبياء ، ولكن يكفينا إقراره بأن الوحى معرفة يقينية ، وبذلك يختلف عن (الظن) عند الفلاسفة . كتاب (رسالة فى اللاهوت والسياسة) ترجمة وتقديم د /حسن حنفى – ومراجعة د /فؤاد زكريا – المطبعة الثقافية١٩٧١م .

وربما نحتاج إلى وقفة نميِّز بين (الفلسفة) كنتاج إنسانى كان ثمرة الفكر اليونانى القديم والأوروبى الحديث ، وبين (الاستدلال العقلى) الذى يعتمد على البديهيات والأوليات المنطقية ، ويستخدمه المسلم المعاصر متحررا من آصار الفكر الفلسفى الذى فرض علينا فرضا عقب الاستعمار الأوروبى .

أجل فقد فرضت أوروبا المنتصرة أرسطو (أستاذا للفكر الإنسانى إلى يومنا هذا دون أن يتنبه أحد إلى أن تعاليم (الأستاذ) أو (المعلم الأول) لم تنجب إلا جنرالا فاتحا مستعمرا وغازيا وامبراطورية قامت على أنقاض الاستقلال وحرية وإرادة الشعوب .. إلا أن هذا العمى لم يكن عن غفلة وإنما لكى يتبع وهو أيضا الذى صاغ جوهر الفكر الغربى ومفاهيم الحضارة الغربية عن الخير والشر والإنسان وحقوق الإنسان .. فالحرية والتحرر والعدل .. إلخ لا تتعارض فى المفهوم الغربى منذ أرسطو إلى اليوم مع غزو واسترقاق أو حتى إبادة البرابرة (أى شعوب الشرق) ومن يومها والحضارة الغربية تؤمن بأن رسالتها الإنسانية ، ونشر الحضارة يتطلب إدخال (المتخلفّين) عنوة تحت سيطرة هذه الحضارة . فقد كان حلم الأسكندر كما يؤرخه الغربيون الى اليوم ، وعلى سبيل الفخر ومدح الأسكندر بأنه كان (أول زعيم عالمى يأمل أن يتوحد العالم يوما تحت حكومة واحدة) .[1]

يقتضى التحرر الحقيقى إذن أن نتخلص من الاستعباد العقلى والثقافى الذى كبّل المسلمين لعدة أجيال ، ومن ثم يصبح هدفنا الأول هو التحرر الحقيقى بالعودة إلى الذات ، ومعرفة حقيقة أمتنا ورسالتها بناء على المعرفة الصحيحة لعقائدنا بالمقارنة بغيرها .

ولتحقيق هذا الهدف فأمامنا طريقان :

---

(١) مقال بعنوان (المواجهة الأبدية بين الإسلام والغرب) ، محمد جلال كشك مجلة (رسالة التوحيد) ص١١ ربيع ثان ١٤٠٦هـ القاهرة .

الأول : الخضوع لحقائق الوحى والعمل على ضوئه بدل الفكر الفلسفى بقصوره وضعفه وأهوائه الذى فُرض على مناهجنا التعليمية وأُقحم على ثقافتنا أيام الهيمنة الاستعمارية .

الثانى : اتّباع المنهج العلمى الصحيح لمقارنة الأديان الذى خطّه علماؤنا ، وسبقوا به غيرهم فاعتمدوا على حقائق الوحى الإلهى فحافظوا عليه وصانوه بأدق مناهج علمية عرفتها البشرية وميزوا بين الدين الحق وغيره – فإننا – كما يحدد ابن حزم – (لا نصدق فى ديننا بشىء أصلا إلا ماجاء فى القرآن وماصح بإسناد الثقاة ، ثقة عن ثقة ، حتى يبلغ إلى رسول الله ﷺ فقط ، وما عدا هذا فنحن نشهد أنه باطل)[١] .

وأتى ابن الجوزى (٥٩٧هـ) بعد ابن حزم ليؤكد ضرورة الاستناد على الأدلّة فى البحث عن الدين الحق – لا على مجرد العادات وتقليد الآباء ، فبالدليل نميّز فى الشرائع بين ما يصح ومالا يصح ، وإذا أثبتنا الإله ، فينبغى أن نعرف بالدلّيل ما يجوز عليه مما لايجوز .[٢]

---

(١) الفصل ج١ص٢٢٤ مكتبة المثنى بغداد .
(٢) صيد الخاطر لابن الجوزى ص٢٤٩ تحقيق عبد القادر عطا مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٧٩م .

العودة إلى العقائد الدينية من جديد

قلنا إن فشل الأيدولوجيات يعنى أن الفكر البشرى - الذى أثمر الماركسية والوطنية والديمقراطية والقومية وغيرها - عاجز عن تحقيق الحياة المحققة للإنسان سعادته ، ولاسيما بعد أن أخذت هذه الأيدولوجيات أشكالا جديدة فى النصف الأخير من هذا القرن كما يصفها الدكتور رشدى فكار .

ومادامت التجارب التى استغرقت عدة أجيال قد باءت بالفشل ، فقد عادت البشرية إلى العقائد الدينية من جديد ، وأصبحنا نعيش فى ظل(اليقظة الدينية) ، حيث تتطلع المجتمعات الإنسانية الى ماهو خارج عن نطاق العقل والتجارب التى خضعت للأهواء والمصالح ، ولم تعد تعبّر عن قيم ومعنويات ويذكر الدكتور رشدى فكار(أن الأيدولوجيات أخذت تتجه أكثر فأكثر فى الدولة المتقدمة إلى(المصلحية) ، بمعنى أنه لم يعد لها هدف قيمى إنسانى بقدر ما هىّ مجرد تبرير لمصلحة أى نفع استهلاكى أو ربع إنتاجى) ويقول (لنتدبر ونعمق النظر فى المجتمعات الصناعية الكبرى . . تجرى الانتخابات تلو الانتخابات وتنتصر شعارات على شعارات وحقائق المجتمع هى هى . . المحافظون والعمال فى انجلترا الديموقراطيون والجمهوريون فى الولايات المتحدة ، وحتى فى المجتمعات التى تزاول ما يسمى بالذيمقراطية المباشرة فى ظل النظم الموجهة نجد أيضا أن الأيدولوجيات تبريرية مصلحية) وهكذا ، إلى أن يوضحّ فى النهاية أن القضية تحولت إلى مجرد شعارات . ويختتم عبارته بقوله (وممستودعات الشعارات

موجودة تخرج منها الشعار المناسب للوقت المناسب) .[1]

وإذا كان الدين هو الذى يتقدم فى العصر الحاضر لكى ينقذ البشرية من أزماتها ، فأى دين يحمل الرسالة الصحيحة المحققة لأهداف الإنسان فى هذه الحياة وما بعدها ؟

إننا نحتكم إلى العقل وأحكامه فى إثبات الوحى والنبوة ، ومايتصل بهما من بناء عقائدى وأخلاقى يرتقى بالإنسان إلى المكانة اللائقة به ، ويضع له الأنظمة فى مسالك حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الكفيلة بتحقيق الحياة الطيبةّ فى هذه الدنيا .

ولنصل إلى نتائج فى هذا الغرض علينا أن نتدرج فى تقديم البراهين واضعين نصب أعيننا اجتياز المراحل الثلاث الآتية :

(١) نظرية المعرفة ووسائل الإدراك الإنسانى :

إذا كانت المعارف والعلوم الدنيوية تحتاج إلى التجارب القائمة على الحس والمشاهدة والعقل ، فهل تسرى على الحقائق الدينية نفس الوسائل ؟

تتطلب الإجابة على هذا السؤال تشخيص وسائل الإدراك الإنسانى لكى نقتنع بأن القضايا الدينية تسمو بحقائقها ووسائل إدراكها الأرقى والأوثق من الحس والمشاهدة والعقل .

ومن المقرر بين العلماء أن علم الإنسان (جزئىٌ : زمنيا فأنه حادث لم يكن من قبل فأنه لايدون ولا يبقى ، بل يزول بأضداده ، وبآفات مثل بطلان الحاسة والنسيان . وجزئىٌ فى البعد والمسافة ، لايرى ولايسمع إلا من قريب ولايرى إلا

---

(١) د / رشدى فكار : الشباب وحرية الاختيارص٩ (كتاب المختار) بدون تاريخ رقم(٤) سلسلة (نحو طلائع إسلامية واعية) .

المقابل . وجزئى من حيث المتعلّق ، لايعلم الإنسان إلا بالصورة والمثال) .[1]

هذا فيما يتعلق بوسائل الإدراك ، أما عن المصدر فإن الله تعالى هو خالق الإنسان ، وهو سبحانه الذى علمهّ مالم يعلم . يقول الأستاذ جار الله فى تفسير قوله ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ أن علم الإنسان وعلم الملك بالأسامى فقط ، أما الحقائق فلا يعلمها لا بشر ولا ملك ، لأن التعليم والإنباء لم يتعلق إلا بالأسامى فى الآية الكريمة .[2]

ومادامت وسائل الإنسان قاصرة عن معرفة الحقائق ، وفى قمتها عالم الغيب فلابد من وسائل أخرى للمعرفة ، بما يدخل فى نطاق عالم الغيب .

ثم جاء العلم الحديث ليدعمّ فكرة قصور وسائل الإدراك فى الإنسان مما ينبثق عنه ضرورة وجود عالم آخر ، ومن ثم فقد المحتجون بالعلم إنكار عالم الغيب أمضى أسلحتهم ، اذ لا يستندون إلى دليل (علمى) .

ويقرر وحيد الدين خان أن مقولة أنه لا إيمان إلا بالمشاهدة مقولة مجردة من النظرة العلمية ، ثم يستطرد فيرى أن (القول بأننا لن نؤمن بالآخرة والوحى والإله مالم نشاهدها بأعيننا فى وضح النهار .. أن كل ذلك مخالف للعلم الحديث ، فأنه لأول مرة فى التاريخ المعلوم حدث أن العلم الإنسانى أثبت بنفسه أن (علم الإنسان محدود) ، وأنه سيظل (محدودا) .

ثم يبين أثر ذلك على الإيمان الدينى حيث يريد الإنسان الوقوف على حقيقة الكون ، ولكنه يعجز بسبب محدودية إدراكه ، مما يدل على أن الإنسان يحتاج إلى مرشد أعلى (وبتعبير آخر : إن هذا الاعتراف الذى أثبته العلم أكد ضرورة الرسل

---

(١) موسى جار الله : الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة – ص١٢ :١٣ / ط لاهور – باكستان ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م .

ويقول ابن خلدون (واعلم أن الوجود عند كل مدرك فى بادىء رأيه منحصر فى مداركه لايعدوها والأمر فى نفسه بخلاف ذلك والحق من ورائه) ثم يضرب أمثلة بالأصم والأعمىّ وينتهى إلى تقرير أن إدراكاتنا مخلوقة محدثة وخلق الله أكبر من خلق الناس والحصر مجهول والوجود أوسع نطاقا من ذلك والله من ورائهم محيط ....) الفصل العاشر – فى علم الكلام .

(٢) موسى جار الله : الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة –ص٩ .

== علم الملك : (نوع من الإدراك وليس المقصود به الأسماء) .

والرسالات السماوية للإنسانية كلها)[1] ، وذلك كما رأينا سبب قصور وسائل الإدراك الإنسانى .

ونحن نرى أن الإقرار بهذه النتيجة الواقعية الملموسة لايتعلق بعصر دون آخر ، ولا بأمة دون أخرى ، بل هى ثابتة فى تاريخ الإنسان قديما ، وثابتة فى واقعة المعاصر ، كذلك فأنها تتعلق بالإنسان بما هو إنسان ، أى خارج حدود الأوطان والقوميات والحضارات .

ومادام تاريخ البشرية المدوّن قد أثبت وجود الرسل والأنبياء بالتواتر وآخرهم موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم ، فإن المصدر الأصلى للدين الصحيح هو الوحى ، وليس خيالات الفلاسفة الزاعمين التلقى عن طريق الإشراق أو الاتصال بالعقل الفعّال ، ولا تنبؤات الكهنة الذين أفسدوا العقائد والأديان .

واذا اتضح ضرورة الوحى كمصدر للعقائد الدينية الصحيحة ومتعلقاتها من معارف يقينية ، وأوامر ونواهى إلهية لتقويم الإنسانية ، فما هى عوامل الانحراف عن الدين الصحيح ، وأشكاله التى نراها فى المجتمعات ؟

(٢) بعض عوامل انحراف الأديان وأشكاله :

إن ما يثير التأمل عند الحديث عن الكهنة (أو رجال الدين الزاعمين بأنهم وسطاء بين الله والناس) أن بعض الانحرافات فى العقائد الدينية أفسدت بسبب هؤلاء .

(أ) فقد قالوا العبارة المشهورة : (الكاهن نائب الله ، والملك ظل الله فى أرضه) ، والأمثلة على ذلك نلاحظها فى الهند حيث كان الإله تحت اسم (برهما) ، ولكن

---

(١) وحيد الدين خان : قضية البعث الإسلامى – المنهج والشروط ص ١٤٩ دار الصحوة – ترجمة محسن عثمان الندوى – ومراجعة د / عبد الحليم عويس – ١٤٠٥هـ /١٩٨٤م

== ينظر أيضا كتاب(السموات السبع) للدكتور / محمد جمال الدين الفندى حيث يقول : (إذا لم تعد الغيبيات التى نعبر عنها بعالم ما وراء الطبيعة من الأشياء المنبوذة علميا أو التى يمجهّا العلماء كما كان الحال من قبل خصوصا وأن العلم يعجز عن الوصول إلى الحقيقة المطلقة وعن كشف اللثام عن أصل الأشياء وكنهها) ص٩ /ط الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٧٣م .

انحدرت العقيدة هنالك إلى الظن بأن (برهما) حل فى (الرهماثان) ، وهو رئيس الكهنة حلولا وراثيا يتوارثه بعد الكاهن الأعظم من يحل محله . وبتوالى الأجيال أصبحت هذه الطبقة أعلى من غيرها ، ثم اخترعوا نظام الطبقات .

ولما جاء (بوذا) ليحارب نظام الطبقات ثم مات ، ظهر الكائن الذى ينوب عنه (و لم يقف الأمر عند هذا الحد أيضا ، بل أقيم لبوذا تماثيل وأصنام تعد بالآلاف ، وطبعا حلت روح بوذا – ليس فى الكاهن فقط – وإنما فى الكاهن والصنم) .[1]

(ب) ومن فكرة الحلول انبثقت عقيدة تناسخ الأرواح والشرك فى آن واحد حيث تحل روح الميت المقرب للكهنة – وهو مقرّب بالضرورة للآلهة – فى جسد نقى طاهر ، (بعكس الأشرار الذين ليسوا بكهنة وأبناء كهنة ، فإن أولئك يتقمصون أجساد الحيوانات) .[2]

كذلك نرى تجسيد تميّز طبقة دينية على غيرها سلطاناً ونفوذاً ، نراه فى النظام الكنسَى الذى يوسطّ رجال الدين بين الله والعباد حيث جاء الإسلام بإبطاله . يقول جارودى : (لقد استبعد القرآن على سبيل المثال ملكية الحق الإلهى الاستبدادى ، بالمعنى الغربى للكلمة لانه لا يوجد فى الإسلام كهنة ولا كنيسة مؤهلة قانونيا بالتكلم وبالحكم باسم الله) .[3]

---

(١) الدين والفلسفة والعلم – السيد محمود أبو الفيض المنوفى ص١٠١ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة (بدون تاريخ) .

(٢) المرجع نفسه ص١٠٢ .

جارودى : الإسلام دين المستقبل ص٨٤ – ترجمة عبد المجيد بارودى – دار الإيمان – بيروت / دمشق١٩٨٣م .

== ويقول المهتدى إلى الإسلام أحمد سامى عبد الله : (ولقد تركت الركوع للمسيح وبعض البشر من الكهنة والأساقفة والبطاركة والقمامصة الزاعمين أنهم أكثر قرابة إلى الله وأنهم الوسطاء فى مغفرة ذنوب البشر . .) ص٢٧ من كتابه (لماذا وكيف أسلمت) ط . رابطة العالم الإسلامى ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م .

وينظر ص١٤٤ الكهنة والعامة – التحليل والتحريم بين البشر .

(جـ) ويلحق بالكهنة أيضا المتنبئين الكذبة[1] وهم أحد منابع الفساد فى الأديان ، حيث يزعمون انهم كالأنبياء ، وأنهم يأتون بالخوارق والمعجزات ويفتنون الاتباع بأعمال السحر وخوارق العادات .

وكان ذلك دافعا لعلماء الإسلام من تحذير المسلمين من فتنتهم ، ونذكر منهم على سبيل المثال ابن تيمية الذى أوضح بإسهاب الفروق بين الأنبياء وبين الكهّان والسحرة وغيرهم من أصحاب الشعوذة ، شارحا الفروق المميّزة بين الأنبياء الصادقين وغيرهم ، نجملها باختصار فيما يلى :

أولا : يخبر الأنبياء بالصدق ولكن الكهّان يكذبون .

ثانيا : أن الأنبياء لاتأمر إلا بالعدل ولا تفعل إلا العدل ، وهؤلاء المخالفون لابد لهم من الظلم .

ثالثا : تأتى آيات الأنبياء دالة على خبر الله تعالى وأمره على حكمة فتدل على أنهم أنبياء ، وعلى صدق من أخبر بنبؤتّهم سواء كانوا هم المخبرون أو غيرهم ، ولكن السحر والشعوذة التى يأتى بها الكهّان أمر معتاد لغير الأنبياء .

رابعا : لو افترضنا جدلا أن آيات الأنبياء والنبوة تنال بالاكتساب فإنما تنال بعبادة الله تعالى وطاعته ، وهى مستلزمة لالتزام الصدق والعدل ، بينما تحصل الخوارق لمخالفيهم مع الكذب والأثم .

---

(١) وبعض دجاجلة الصوفية ، وتحت عنوان(الغش والتدليس فى الديانات) يذكر ابن تيمية ألوانا منها ، ويضيف إليها الذين يظهرون الخزعبلات السحرية والشعبذة الطبيعية وغيرها التى يضاهى بها ماللأنبياء والأولياء من المعجزات والكرامات ليصّد بها عن سبيل أو يُظن بها الخير فيمن ليس من أهله . ص٥٤ من كتاب (الحسبة ومسئولية الحكومة الإسلامية) - تحقيق صلاح عزام - دار الشعب فبراير ١٩٧٦م .

كما ينطبق التحذير أيضا على كلّ من يخالف طرق الأنبياء والرسل فى العصور المختلفة ، بماقى ذلك العصر الحاضر ، كما سيأتى ، وإذا كان جّل نقد شيخ الإسلام مقتصراً على ماعرفهم فى عصره كشخصيات الكهنة والمشركين وأهل البدع من أهل الملل ، فقد ظهرت شخصيات أخرى ، لا تتبع نفس الطرق والحيل ، ولكنها تشترك مع أسلافها فى الهدف والمرمى ، حيث تصرف الشعوب والأمم عن طريق الأنبياء والرسل وتدعو لاتباع مذاهبها وفلسفاتها ونظمها المخترعة .

خامسا : إن أفعال الكهّان والمشركين أمور مقدورة للإنس والجن وآيات الأنبياء لا يقدر على مثلها لا الإنس ولا الجن ، كما قال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ الإسراء .

سادسا : إمكان معارضة ما يأتى به السحرة والكهّان وآيات الأنبياء لا يمكن لأحد معارضتها .

سابعا : تأتى آيات الأنبياء مؤيدة لصدق أصحابها ، وتأتى آيات مخالفيهم دالة على كذب أصحابها .

ثامنا : إن آيات الأنبياء لايقدر عليها مخلوق – حتى الصالحون – أى ان آيات الأنبياء التى يختصون بها خارقة لعادة الصالحين .

تاسعا : لا تأتى خوارق الأنبياء بناء على أفعالهم ، بل الله تعالى يفعلها آية وعلامة لهم ، فأمر الآيات إلى الله تعالى لا إلى اختيار مخلوق . والله سبحانه وتعالى يأتى بها بحسب علمه ومشيئته ورحمته كما ينزل ما ينزله من آيات القرآن ، وكما يخلق من يشاء من المخلوقات . ولكن الخوارق ليست آيات ، فتارة تكون بدعاء العبد ، والله تعالى يجيب المضطر – وإن كان كافراً . وتاره تكون بسعيه فى أسبابها مثل توجهه بنفسه وأعوانه وبمن يطيعه من الجن والإنس فى حصولها وأما آيات الأنبياء فلا تحصل بشىء من ذلك .

عاشرا : أن النبى قد خلت من قبله أنبياء يعتبر بهم ، فلا يأمر إلا بما أمرت به الأنبياء من عبادة الله تعالى وحده ، والعمل بطاعته والتصديق باليوم الآخر ، والإيمان بجميع الكتب والرسل ، فلا يمكن خروجه عما اتفقت عليه الأنبياء . وأما الكهّان والسحرة والمشركون ، وأهل البدع من أهل الملل ، فإنهم يخرجون عما اتفقت عليه الأنبياء . فكلهم يشركون مع تنوعهم ، ويكذبون ببعض ما جاء به الأنبياء .

حادى عشر : أن النبى هو وسائر المؤمنين لا يخبرون إلا بحق ، ولا يأمرون إلا بعدل فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويأمرون بمصالح العباد فى المعاش

والمعاد ، ولايأمرون بالفواحش ولا الظلم ولا الشرك ، ولا القول بغير علم ، فهم بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها ، لابتبديلها وتغييرها ، فلا يأمرون إلا بما يوافق المعروف فى العقول الذى تتلقاه القلوب السليمة بالقبول .

وكما أنهم لايختلفون ، فلا يناقض بعضهم بعضا ، بل دينهم واحد - وإن تنوعت الشرائع - فهم أيضا موافقون لموجب الفطرة التى فطر الله عليها عباده ، موافقون للأدلة العقلية الصحيحة التى كلها توافق الأنبياء لاتخالفهم ، وآيات الله السمعية والعقلية العيانية والسماعية كلها متوافقة متصادقة متعاضدة ، لايناقض بعضها بعضا . والكهنة يأتون بخلاف ذلك .[1]

تكفينا إذن هذه الموازين أو بعضها لنستخدمها فى التمييز بين الرسل وأتباعهم من هداة البشرية إلى الحق والخير ، وبين المضلّلين أيًّا كانت صفاتهم وأفعالهم .

ومهما اختلفت شخصيات المعاندين للرسل فإن المعارك مازالت دائرة ، كل ما هنالك أنها تأخذ أشكالا وصورا أخرى على مدى العصور : فإذا كان الإمام ابن تيمية يصور المعارك الدائرة فى عصره ويحذّر من مدّعى النبوة والكهنة الكذبة ، فإن الإمام أبو الحسن الندوى فى عصرنا الحاضر يحذرنا من صنوف جديده من البشر تحاول بدورها أيضا أن تسلك بالأمم والشعوب طرقا غير طرق الأنبياء والرسل (فليس شقاء الإنسانية وأزمة المدنية الحاضرة ، مع تملكها لجميع أسباب السعادة والسلام والرفاهية والهناء - إلا بثورة قادتها على تعاليم النبوة والأنبياء وتخطيطهم للمدنية والحياة على غير الأسس التى جاء بها الأنبياء والمرسلون واستغنائهم - وبالأصح استكبارهم - عن ما أكرم الله به النبى العربى الأمى - ﷺ).[2]

---

(١) النبوات ص٣٠٠ - ٣٠٣ - المطبعة السلفية بمصر .

(٢) النبوة والأنبياء فى ضوء القرآن ، الندوى ص١٠ ط المختار الإسلامى سنه ١٩٧٤م . ويذكر الامام الندوى السمات التى يتميز بها الأنبياء :

١ - علومهم مصدرها الوحى . ٢ - قيامهم بتصحيح العقائد وإفراد الله تعالى بالعبادة .

٣ - التشديد على جانب الآخرة . ٤ - الإيمان بالغيب . ٥ - البعد عن التكلف .

نفس المرجع ص ٣١ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٥٢ .

وفى ضوء هذه الإيضاحات يتحصن المسلم فيميزّ بين الحق والباطل مهما تعددت صوره ويفلت من خداع الكهنة والدجاجلة وأمثالهم الذين يفتنون الناس بحيل الدجل والسحر .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رأى فريد أيضا فى تفسيره لدعاء الاستعاذة من المسيح الدجّال فى الصلاة أثناء التشهد الأخير ، وكأنّه يريد به التحذير الشديد من كافة الدجاجلة المشابهين للدجّال المعّنى بالحديث – وهو كبيرهم – ويتوسع فى تعميم فتنته ، فيجعلها تشمل كل باطل مخالف للشريعة ومقرون بباطل فيقول (وفتنته لاتختص بالموجودين فى زمانه – بل حقيقة فتنته الباطل المخالف للشريعة المقرون بالخوارق ، فمن أقر بما يخالف الشريعة لخارق فقد أصابه نوع من هذه الفتنة ، وهذا كثير فى كل زمان ومكان ، لكن هذا المعيّن فتنته أعظم الفتن ، فإذا عصم الله عبده منها ، سواء أدركه أو لم يدركه كان معصوماً مما هو دون هذه الفتنةُ ، ويمضى فيحذرنّا من صنوف البشر المدعين للألوهية أو النبوة أو الولاية أو المهدية[1] ويستند إلى حديث الرسول ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يكون فيكم ثلاثون دجالون كذابون ، كلهم يزعم أنه رسول الله** »[2]

(٣) عقيدة التوحيد هى الأصل :

إذا عدنا لتناول العقيدة الدينية وبيان نشأتها ، فمن اليسير استنتاج أن عقيدة التوحيد هى الأصل ، ثم طرأ (الشرك) على البشرية ، وكلما انحرفت عن طريق التوحيد أرسل الله تعالى الأنبياء والرسل لتذكير بنى آدم مرة جديدة بعقيدة التوحيد .

---

(١) بغية المرتاد ص٤٨٣ تحقيق د.موسى بن سليمان الدوّين مكتبة العلوم والحكم ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م .

وأصل الدّجل : التغطية والتموية والتلبيس ص٤٨٥

(٢) جامع الرسائل ص١٩٧ تحقيق د /رشاد سالم والحديث رواه البخارى ومسلم . كما رواه الإمام أحمد فى (المسند) .

ومما يؤيد ذلك قصة الخلق فى القرآن الكريم ، حيث يذكر الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام ، وكان نبيّا ، وهو أول من سكن الأرض من البشر .

وعندما انتكست المجتمعات وتدهورت ، أخذت فى عبادة المخلوقات الأخرى فعبدوا الشمس لظهورها الدائم والمنافع التى تعود عليهم منها ، ومازالت تحتل مكان القداسة عند اليابانيين إذ يعتقدون أن (الميكادو) تجسيد لإله الشمس كما عبدت بعض المجتمعات السماء لأنها تحتوى على الشمس والقمر والنجوم ، ومنها يسقط المطر . والبعض عبد الأرض لأنها تنبت الزرع ويعيشون عليها .

كذلك عبدوا الإنسان فى شخصية الأب أولا لأنه رمز النعمة والقدرة ، ثم تحولت إلى عبادة رئيس القبيلة لأنه أكبر قوة وقدرة ، وعبد قدماء المصريين فراعون مصر كما يذكر القرآن الكريم ﴿ **فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الأعلى** ﴾ الآية ٢٣ /٢٤ من سورة النازعات . وإلى يومنا هذا مازال ملك اليابان معبود الكثير من أبناء شعبه .

ويقول الأستاذ أحمد عبد الغفور (ومن أثر عبادة الإنسان الباقية عن المتدينين تقديس البطولة والعظمة ، فهو مظهر يتفق مع التقدم الحضارى ، ومن آثارها عبادة (المعشوقة) التى نجد فى آثار الشعراء فى عصرنا من يقول لها فى أشعاره أو كتابه أو خطابه : أنا عبدك ، معبودتى .[٣]

إن هذا التدرج فى العبادة ، أو بمعنى أدق (التدنّى) من الأعلى الى الأدنى ، تتضافر على تأييده الوقائع التاريخية ، بالإضافة إلى التفسير النفسى للظاهرة ، وكان مؤرخنا الشهرستانى من أوائل من تعرض لها بالتحليل .

فبعد أن أرّخ الشهرستانى لبعض ديانات الهند ، حيث ذكر أن منهم من عبد

---

(١) الإيمان بالغيب – بسام سلامة – مكتبة المنار بالأردن ص٤٤ –ط ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م .

(٢) باختصار من كتاب (الديانات والعقائد فى مختلف العصور) – أحمد عبد الغفور عطار –ص ٧٢ : ٧٣ج١ –ط١ ١٤٠١هـ /١٩٨١م /مكة المكرمة .

(٣) المرجع نفسه ص٧٣ .

الشمس زاعمين أنها ملك من الملائكة ، ولها نفس وعقل ، ومنها نور الكواكب وضياء العالم ، ثم اتخذوا لها صنما .

ومنهم من زعموا أن القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة وينسبون إليه تدبير هذا العالم السفلى ، والأمور الجزئية فيه ، وبزيادته ونقصانه تعرف الأزمان والساعات ، ثم اتخذوا له صنما يعكفون عليه .

وقام الشهرستانى بدراسة الصلة بين عبّاد الأصنام وأصول العقائد وتفسيرها تفسيراً نفسياً حيث وضعوا الأصناف المعبّرة عن معبود غائب ، إذ الصنم المعمول على صورته وشكله وهيأته نائبا منابه وقائما مقامه . وفى هذا الصدد يقول : (وإلا فنعلم قطعا أن عاقلا ما ، لاينحت جسما بيده ، ويصوره صورة ثم يعتقد أنه إلهه وخالقه ، وإله الكل وخالق الكل . . . لكن القوم لما عكفوا على التوجه إليها ، وكان عكوفهم ذلك عبادة ، وطلبهم الحوائج منها إثبات إلهية لها وعن هذا كانوا يقولون ﴿ **مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ .[1]

أما عن الانحدار عن عقيدة التوحيد التى أتى بها الأنبياء والرسل فيرجعه باحث معاصر إلى أن سبب نشر لواء الوثنية يرجع إلى الجهل الذى أصاب الأجيال تلو الأجيال بعد أن بث فيهم (سام ابن نبى الله نوح عن شيث وإدريس فأضاعوها لما طال عليهم العهد ، فضلوا السبيل الإلهى المرسوم) .[2]

وهناك من يدافع عن الوثنية بزعم أنها تعبرفى مرحلة ما عن حاجة البشر الفطرية ، ثم تتعداها اذا ما نضجت البشرية وبلغت سن الرشد ، فحينئذ يستغنى الإنسان عن الوثنية ، فتصبح التماثيل علامات ورموز[3] .

ولكن سرعان ما يتهافت هذا الرأى أمام الواقع الماثل أمام دارس العقائد والعبادات

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل -ج٢ ص٢٥٩ تحقيق محمد سيد كيلانى ط الحلبى ١٣٨١هـ /١٩٦١م .

(٢) من كتاب الدين والفلسفة والعلم للسيد محمود أبو فيض المنوفى -ص٤٩ .

(٣) الأركان الأربعة للإمام أبي الحسن الندوى ص ٧٦ ط دار القلم بالكويت ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م .

فى المجتمعات الوثنية التى مازالت تعض على الأصنام بالنواجذ حيث يعكف الناس عليها بإصرار بصفتها الأهداف النهائية لعباداتهم ولا يتخطونها إلى مرحلة التوحيد كما يتخيل بعض الفلاسفة ، (لذلك كان ماحكاه الله تعالى عن إبراهيم ﷺ من قول وشكوى ، حقا ومنطبقا كل الانطباق على عبّاد الأوثان والأصنام ﴿ **ربّ إنّهن أضللن كثيرا من الناس** ﴾ ... أنها استحوذت على عقول عبّادها ، وألهتهم عن عبادة الواحد القهار ، فتشاغلوا بها عنه ، وحُرموا سعادة عبادة الله ولذتها ، فكان ذلك هو الضلال المبين)[1] .

وتتنوع مظاهر الانحدار والتردى التى يسجلها الباحثون المعاصرون : فلم يعد يثير سخريتنا ما سجلّه التاريخ عن بعض العرب الذين كانوا يأكلون آلهتهم إذا أصابتهم مجاعة ، إذا علمنا أن فى الحبشة الآن قبيلة (القالا) تعبد السمك ثم تأكله . فضلا عن عبادة (البقر) فى الهند .[2]

ونتوقف قليلا عند عبادة الحيوانات بأنواعها وما تركته من رموز أشهرها (الطوطم) وأصله عبادة الحيوان (وما تزال الطوطمية موجودة حتى عصرنا هذا فى قبائل متفرقة فى آسيا وأفريقيا وأمريكا ، وفى كثير من الجزر فى المحيط الهادى وفى استراليا) .[3]

ولم تنحصر فى هذه الأجزاء المتفرقة من العالم بل بقيت فى شكل (شعارات) فى بيئة الإنسان المتقدم المتحرر (التى نراها فى بعض دور النشر والجماعات والجمعيات والدول ، حيث يتخذ الحيوان شعارا لها ، فهذه تتخذ دباً وتلك نسرا وهكذا) .[4]

---

(١) نفسه باختصار ص٧٧ .

(٢) الديانات والعقائد فى مختلف العصور ص٧٤ ويقول المؤلف (وفى عصرنا هذا يعبد (الكانجارو) فى استراليا ، والخرتيت ذو القرن الواحد وعجل البحر والثعابين عند أقوام البوشمن بصحراء كلهارى وقبائل فى تسمانيا وعند كثير من الأسكيمو .

(٣) المرجع نفسه ص٧٥ .

(٤) المرجع نفسه ص٨١ .

مناقشة منهج التطور فى نشأة العقائد الدينية

وهذه الظواهر وغيرها تدعونا إلى مناقشة منهج (التطور) فى العقيدة الدينية الزاعم بأن الإنسانية تطورت من (الحياة البدائية التى تحكمها عبادة الأصنام وتحوطها ألوان الشرك والوثنية) إلى التطور إلى (التوحيد) ، حيث يذهب فريق من الباحثين فى تاريخ الأديان إلى أن الدين بدأ فى صورة الخرافة والوثنية ، وأن الإنسان أخذ يترقى في دينه حتى وصل إلى الكمال بالتوحيد كما تدرج فى العلوم والصناعات ، ومن هؤلاء سبنسر وتايلور وفريزر ودوركيم ، ويقابله فريق آخر من الباحثين يرى أن عقيدة الخالق الأكبر هى أقدم ديانة ظهرت فى البشر والوثنيات هى أعراض طارئة .[1]

ونحن نرجح الرأى الثانى عن اقتناع بالأدلة العلمية التى ساقها الدكتور دراز فى بحثه المبتكر عن (الدين) ، وهى ذات ثلاث شعب :

أولها : التحليل النفسى حيث يؤدى إلى بيان خطأ وضع قوى النفس المختلفة فى حياتها الروحية والمادية فى نموها على قدم المساواة معا لأن المشاهدة المتتبعة لمراحل حياة الإنسان تستخلص أن الإنسان كان فى بدايته يقنع بإشباع حاجاته الضرورية من مأكل ومشرب ومأوى ، ودفعته قلة مشاغله ، ووفرة وقته إلى التأمل الذى يرهف حاسته الدينية ، بينما نرى اشتغال الناس فى عصور المدنيات بترف الحياة الجثمانية يؤدى إلى العكس (ذلك أن الغرائز المتقابلة تضعف وتتقلص ، بقدر ما تنمو وتقوى أضدادها ، ككفتى الميزان : لا ترتفع إحداهما إلا انخفضت الأخرى) .[2]

الثانية : أن استقراء سير الديانات منذ طفولة التاريخ إلى اليوم يبين أن كلا منها بدأت بعقيدة التوحيد النقية ، ثم خالطتها الأباطيل مما يدل أن البداية خير من النهاية .

---

(١) الدكتور دراز الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) ص١١٢ط دار الفكر العربى (بدون تاريخ) .

(٢) المرجع نفسه ص١١٥ : أى أن انشغال الإنسان بأسباب الترف فى معيشته يضعف من حاسته الدينية ، ومن ثم فلا تتطور ، بل تتراجع ، ولا تظل فى مكانها وذلك بخلاف قانون التدرج فى العلوم والصناعات .

الثالثة : إذا بحثنا الظاهرة فى ضوء التطور الصحيح – كالفن مثلا – نجد أنه يبدأ فى صورة ساذجة ، متحدة ، متجانسة ، ثم تتدرج إلى التكثر والتركيب وتنتقل من البساطة إلى التعقيد كلما بعدت عن الأصل . فإذا طبقنا هذا القانون على العقيدة الإلهية يستوجب أنها بالمثل (سارت أيضا من الوحدة إلى الكثرة ، ومن النقاوة والسهولة واليسر إلى التعقد بالإضافة الأسطورية ، والنزوات الخيالية التى لا ضابط لها من العقل السليم) .[1]

ونضيف إليها الواقع المعاصر الذى يوصف دائما بالتطور الحضارى ، حيث بلغ الإنسان ذروة التقدم فى القرن العشرين الميلادى .

وللحكم على مدى صحة هذه المقولة نعود لتذكر حالة العرب فى (الجاهلية) وقبل الإسلام ، حيث سادت عبادة (الأصنام) ، والسؤال الوارد فى الذهن الآن : هل تخلّص الإنسان المتطور الذى يعيش فى القرن العشرين من الأصنام ؟

يرى جارودى أن هناك أصناما فى العصر الحديث لها قدسية فى النفوس تشبه أصنام العرب فى الجاهلية ، ولكنها لون جديد من الأصنام ، يحصرّها فى (التنمية) و(التقدم) و(الفردية) و(تمجيد الأمة ، أصنام القوة المسلحة والجيوش الجرارة ، وغيرها من أصنام وطوطم ورموز مقدسة ، وطقوس واحتفالات) بينما جاءت عقيدة التوحيد فى الإسلام لتنفى كل (صنمية) لأنها الأساس والمنطلق لدى المسلم المؤمن بأنه (لا إله إلا الله) .[2]

وعلى ضوء هذا التحليل – مرورا بعوامل أخرى سيأتى ذكرها – يصبح التطور الحضارى الغربى بميزان الدين الصحيح – دين التوحيد – موضع شك كبير بل أن بعض فلاسفتهم – فضلا عن جارودى – يعطوننا صورة قاتمة تجعلنا نتتبع عللها غير القابلة للعلاج ، فهى تبدو فى شكلها الظاهر متطورة من الناحية العلمية والتكنولوجية ، ولكنها مهلهلة الأحشاء ، منهارة الأعصاب ، متجهة نحو الانحدار ،

---

(١) المرجع نفسه ص١١٦ .

(٢) جارودى : ما يعد به الإسلام ص ٢٦٧ .

ولن تفر هذه الحضارة (من المصير الكئيب الذى أصاب عشرات الحضارات السابقة ، ويأتى الأدب الحديث ليقول له – أى الإنسان الغربى – بأن الاختلال العصبى هو مصير إنسانا الذى يعيش فى هذا القرن ، وكذلك فإن الهزيمة لابد منها ، بشكل أو بآخر ، ويسخر علم النفس منه ، ويؤكد له ، أن الثقافة سطحية يكمن فى داخلها إنسان بدائى (وليس متطورا) ينتظر الانطلاق للسيطرة[1] .

وظهر الحنين إلى العودة إلى الدين المسيحى من جديد لأنه لعب دورا كبيرا فى الماضى (ولم تكن عذابات (الصلب) التى تربعت فى صدر المسيحية مصادفة ، بل كانت تقدم مستوى تحكم فيه على المضايقات التافهة للحياة اليومية) .[2]

ولكن هل يمكن للعقيدة المحرفة التى اصطبغت بالصبغة الإنسانية أن تنقذ هذا الإنسان ؟

ويشاركه الإمام الندوى الرأى حيث يرى أن أوروبا اتخذت آلهة كثيرة بأسماء طريفة وعناوين جديدة من (ديمقراطية) و(دكتاتورية) و(رأسمالية) و(اشتراكية) و(وطنية) و(قومية) عبر ثلاثة قرون . ص٣١ من كتابه : رسالة النبى الأمين إلى إنسان القرن العشرين .

يبدو أن الفرصة قد أفلتت ، وأن المشكلات أعقد بكثير من القدرة على الحل حيث يرى كولن ولسن أن من المتوقع أن تصف الأجيال الآتية النصف الأول من هذا القرن بأنه (عصر اللامعنى) ، ففقدان المعنى والهدف يجثم على أدبنا وفننا وفلسفتنا ، هذا الشعور العام بأن التأكيدات التى يمنحها الدين قد ضاعت ولا يمكننا استبدالها ، فتحليل العلم للمشكلات العلمية يزيد فى اتساع هوة الفراغ المؤلم ، ومن خلال هذا تبدو الثقافة الغربية تعانى الانهيار والانتكاس لما لا يقل عن مائة سنة ، اذ أن الأمر ليس إلا مسألة تفكير فى معرفة المدة التى تستمر فيها قبل أن يلتهمها الإفلاس الماحق) .[3]

---

(١) كولن ولسن : مابعد اللامنتمى ص١٨٩ – ترجمة يوسف شورو وعميمق – منشورات دار الآداب – بيروت – ابريل سنه ١٩٨١م .

(٢) المرجع نفسه ص ١٩٣ .

(٣) المرجع نفسه ص ١٥ ، ويصف حضارته فى موضع آخر بأنها حضارة متقدمة تنتج عوامل .

ولنتأمل هذه الصورة المعتمة التى رسمها كولن ولسن كصدى للإخفاق والإحساس بالتشاؤم فى المواضيع المتصلة بالعقائد الدينية ، وهو يقصد المسيحية المحّرفة بالذات ، حيث فقد الإنسان فى الغرب الهدف من الحياة مع شعوره بعدم الأهمية ، وأن تجاربه المعنوية صعبة وقصيرة ولا يستطيع الاحتفاظ بها .

واذا قومّنا هذه النتائج بميزان الدين الصحيح ، نرى أن العقيدة فى الإسلام توضح الأهداف والغايات ، ويجد الإنسان فيها الإجابات على كل ما يدور فى الذهن عن مكانته ومعنى الحياة والمصير ، ودور شعائر العبادات والتفسير للمعضلاتَ التى تعجز عن حلها المذاهب الفلسفية فضلا عن الأديان المحرفة ومن ثم تجعل الإنسان يصمد ويثبت ويمضى قدما إلى الحياة المأمولة فى الآخرة وهى الغاية والهدف ، فإن الإسلام قادر (على أن يجيب عن كل سؤال فى كل قصة إنسانية وأخلاقية واجتماعية وسياسية واقتصادية وفلسفية)[1]

ونكتفى بإيضاح بعض الاستفسارات التى تدور حول أبرز القضايا التى تهتم بها الأديان :

أولاً : أهمية مكانة الإنسان :

عرف علماء الإسلام التصور الصحيح لحقيقة الإنسان ودوره فى الحياة المبتدئة بخلق آدم عليه السلام ، ثم إهباطه إلى الأرض ابتلاء واختبارا ، وكيف تتحقق سعادته الدنيوية بتطبيق شريعة الله تعالى إلتزاما بأوامرها وتنفيذاً لأحكامها وارتفاعا بمستواه الإنسانى إلى العمل بمكارمها ، حتى ينتقل من هذه الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة ،

= تحطاطية أكثر خلال الملل وفقدان الهدف ص١٧٤ ، واستعرض الوسائل الحائلة للسقوط ، حيث اقترح (برنارد شو) الدين وكذلك (أرنولد توينبى) ، ثم يذكر أن (الدوس هكسلى) أقرب إلى الحقيقة حين اقترح ضرورة (تعميم المخّدر . ص٢٠٠ –كذلك كان (وليم جيمس) يؤيد أن الخمر تنتج خبرة غامضة إلى حد ما ص٢٠٩ ، ثم يفاجئنا المؤلف فى الوقت نفسه عندما يخصصّ ملحقا لكتابه ليستعرض فيه (تجربةالمخدر) .

والأمر المفجع بحق أن ذكر المخدرات لا تأتى فى شكل آفات اجتماعية مستهجنة ومرذولة ، بل مدمرّة للأفراد والمجتمعات ، ولكن فى صياغة فلسفية مقننةّ يعتمدها فيلسوف كبير ، ويسجلها كاتب ذائع الصيت ، وتعلن على الملأ كطريقة من طرق الانقاذ . (الملحق الأول من ص٢٢٩ : ٢٢٥) .

(١) ديانات أخرى ، أنيس منصور ص١٠١ ط دار الشروق ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م .

ويعود أدراجه إلى موطنه الأصلى - إذا اجتاز الابتلاء الدنيوى بنجاح - أى إلى الجنة .

وإذا أخذنا برأى الراغب الأصفهانى (متوفى ٤٠٢ هـ) الذاهب إلى القول بخلافة الإنسان لله تعالى فى الأرض ، فأننا نجده يضع شروطاً حيث يميّز بين مكارم الشريعة والعبادات لأن الإنسان لايستحق مقام (الخلافة) إلا بتحرى مكارم الشريعة ، وتبدأ مكارم الشريعة بطهارة النفس بالتعلم للتوصل إلى الجود ، والصبر ليدرك الشجاعة والحلم ، والعدالة لتصحيح الأفعال .

وبعد استكمال هذه الدرجات فأنه أصبح المعنى بقوله تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ ، وصلح لخلافة الله عز وجل .[1]

فأين هذه المكانة التى سعى المسلمون لتحقيقها فى أوج حضارتهم ، ومازالوا مطالبين من إحساس الإنسان (العصرى) الذى يشعر بعدم الأهمية وأنه (صدفى طارىء) ؟؟؟[2]

ثانيا : ضرورة الأسوة فى اجتياز الحياة الدنيوية :

وقد مر بنا أن مما يعانى منه الإنسان الغربى ، أن تجاربه المعنوية صعبة وقصيرة ولا يستطيع الاحتفاظ بها ، ومرد ذلك إلى افتقاد القدوة فى السلوك والأعمال واجتياز العقبات فى طريق الحياة .

ولتقريب معنى القدوة ، وفهم دورها فى ضوء علم النفس ، نضع أمام القارىء رأيا لأحد علماء النفس المعاصرين حيث يرى أن (المثل الأعلى الصائب) هو من الناحية السيكولوجية ، ذلك الذى يستطيع جلب التوافق النفسى ، باجتذاب الانفعالات الغريزية جميعا ، وهو الذى يستطيع باستثارة الإرادة إلى غرض مشترك

---

(١) الراغب الأصفهانى : الذريعة إلى مكارم الشريعة ص٢٩ - ط مكتبة الكليات الأزهرية - مراجعة وتقديم طه عبد الرؤوف سعد ١٣٩٣هـ /١٩٧٣م .

(٢) مابعد اللامنتمى ص٢٠٧ وهذا التعريف ليس بآخر التعريفات التى تخبّط فيها الفلاسفة من قبل ، دعنا من آثار أفكار دارون وفرويد على نظرة الإنسان إلى نفسه وجنسه ! ونلاحظ أن فلسفة ما ، لم تصب فى تعريفها للإنسان ووضعه فى مكانته الصحيحة اللائقة به حقاً منذ أرسطو إلى الآن .

أن يصيب الفرد باعتباره وحدة سيكولوجية فى قالب كائن حى ، وهو الذى يضمن تحقق الذات والسعادة ، وذلك بإشباع السعى إلى الاكتمال . إن حيازة مثل أعلى أو غرض فى الحياة لهى أذن أهم الأمور الضرورية للإرادة القوية والخلق المتزن .[1]

وكانت المسيحية المبدلة لاتحمل فى طياتها الشخص الأسوة فى الأعمال الواقعية للإنسان فى هذه الحياة ، وتقتصر على جانب الزهد فحسب ، أو كما يعبر عنها شوبنهور بقوله : (أما المسيحية فرأت فى الدين رادعا عن الطلب غير المجد للسعادة الدنيوية . وقد استمسكت فى وسط الترف والسلطان الدنيويين بالمثل الأعلى للقديس) .[2]

ولعلنا ندرك عند المقارنة مدى كمال الإسلام حيث يستوفى القدوة فى شخص الرسول ﷺ ، حيث يغنينا بسنّته عن محاولة التجارب التى تقصر حياتنا عن الخوض فيها .

وهنا يرى الأستاذ محمد أسد المهتدى إلى الإسلام (ليوبولد فايس قبل إسلامه) إن من حكم اتباع السنة تمرين الإنسان المسلم بطريقة منظمة على أن يحيا دائما فى حال من الوعى الداخلى واليقظة الشديدة وضبط النفس ، فإن هذا الانضباط السلوكى وفقا لسنته يؤدى إلى التخلص من الأعمال والعادات العفوية التى تعرقل النشاط الإنسانى عن التقدم . يقول محمد أسد (إن الأعمال والعادات التى تقوم عفو الساعة ، تقوم فى طريق التقدم الروحى للإنسان كأنها حجارة عثرة فى طريق الجياد المتسابقة) .[3]

فهل لنا أن نقف على سبب آخر من أسباب كمال الإسلام ، حيث تفتقد العقيدة المسيحية المبدّلة شخصية الرسول القدوة ، بل تخلط بين النبوّة والألوهية ؟

---

(١) هادفيلد : علم النفس والأخلاق ص١١٥ : ١١٦ – ترجمة محمد عبد الحميد أبو العزم ومراجعة د /عبد العزيز القوصى مكتبة مصر سنة ١٩٥٣م .

(٢) ويل ديورانت : قصة الفلسفة – ترجمة احمد الشيبانى ص٥٧٧ – منشورات المكتبة الأهلية – بيروت .

(٣) محمد أسد : الإسلام على مفترق الطرق –ص١٠٤ –ط دار العلم للملايين – بيروت – ترجمة د /عمر فروخ .

هذا ، بينما تنفرد سيرة الرسول ﷺ بسمات رئيسية بارزة تميز عن سائر الرسل لأنه آخر رسول للبشرية إلى قيام الساعة ، وهو وحده الذى يظل أسوة فى كل مسالك الحياة الإنسانية ودروبها المتشعبة .

والسمات التى نعنيها هى :

(أ) أن التاريخ الصحيح يؤيدها ويدل على صحتها .

(ب) أنها جامعة ومحيطة بمناحي الحياة كلها وجميع شؤونها وأطوارها . وبهذه المناسبة يفصح لنا جارودى عن أحد أسباب إسلامه بقوله :

(لأننى وجدت أن النبى ﷺ الذى أتى بهذه الرسالة ، ليس نبيّاً فقط بالمعنى التقليدى ، الذى وجد فى الأديان الآخرى ، ولكنه كان أيضا رئيس دولة وقائد جيش وزوجا ومشرعا وقاضيا . . كل هذه الجوانب التى تعددت وشملت كل نواحى الحياة الاجتماعية)[1]

(جـ) أنها كاملة متسلسلة لاينقصها أى حلقة من حلقات الحياة .

(د) وهى عملية بحيث يعبّر بها عن الفضائل والواجبات .[2]

ثالثاً : العبادة : معناها ودورها :

ويعطينا الإسلام أيضا صورة متناسقة تبين العلاقة بين مكونات الإنسان فى خلقه من طين ، ثم نفخ الروح فيه ﴿ **الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون** ﴾ السجدة . لذلك أصبح فى حاجة إلى نوعين من الحياة : أحدهما إشباع الاحتياجات والغرائز البدنية والأخرى إشباع الروح المتطلعة شوقا إلى أصلها بالعبادة . ويصفها الراغب الأصفهانى(٤٠٢ هـ) بقوله : (هى فعل اختيارى مناف للشهوات البدنيةتصدر

(١) الفيلسوف المسلم ، أبو المجد حرك ص٢٢٧ - دار الفتح مدينة نصرسنه١٩٨٥م (رحلة الفكر والحياة) .

(٢) الرسالة المحمدية ، سليمان الندوى ص٤٢ط السلفية .

عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى طاعة للشريعة) .(١)

أما دورها فهو المحافظة على الفطرة التى خلق بها الإنسان المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ **فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله** ﴾ الروم /٣٠ وقوله عزوجل ﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون** ﴾البقرة آية١٣٨ ، والاستفهام فى الآية للإنكار والنفى ، فلا صبغة أحسن من صبغته تعالى ويتساءل الراغب الأصفهانى (فكيف تذهب عنا صبغته ونحن نؤكدها بالعبادة وهى تزيل رين القلب فينطبع فيه صورة الهداية) .(٢)

وترتفع العبادة إلى أرقى مراتبها عندما يحب الإنسان أن يتحرى بها ابتغاء مرضاة الله تعالى ، ويؤديها بانشراح صدر بدلا من مجاهدة النفس ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : « **إن استطعت أن تعمل لله فى الرضا باليقين فاعمل وإلا ففى الصبر على ما تكره خير كثير** » .(٣)

وهناك ميزة تتفرد بها العبادات فى الإسلام إذا أطلقها من عقالها التى قيدها بها رجال الكنيسة فى الكنائس والأديرة والكهنة فى المعابد وخرج بها إلى ميدان الحياة الإنسانية بكل شعبها ، وليس أدل على ذلك من اتفاق العلماء قديما وحديثا على اتساع دائرتها ، فهى لاتقتصر على العبادات الشرعية من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد ، بل تشمل كافة أعمال الإنسان بشرط توافر النية للاتجاه بها إلى الله تعالى مع تحرى الحلال وتجنب الحرام .

فمثلا نجد الراغب الأصفهانى قد جعل من كل فعل يتحراه الإنسان عبادة سواء كان الفعل واجبا أو ندبا أو مباحا ، ونجده متوسعا فى الأفعال المباحة لأنه ما من مباح فى رأيه إلا وإذا تعاطاه الإنسان على ما يقتضيه حكم الله تعالى كان (كالإنسان

---

(١) بين النشأتين وتحصيل السعادتين –ص٤٨ –من سلسلة الثقافة الإسلامية العدد ٢٨ ، ذو القعدة ١٣٨٠هـ / أبريل١٩٦١م .

(٢) تفسير القاسمى ج٢ ص٧٤ .

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٣٤ .

فى تعاطيه عابدا لله مستحقا لثوابه) ، مستندا لخطاب النبى ﷺ لسعد رضى الله عنه « **إنك لتؤجر فى كل شىء حتى اللقمة تضعها فى فم امرأتك** » ، وعلى هذا الوجه قال ﷺ أيضا : « **مامن مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سرق منه له صدقة ، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة** » راوه مسلم . وفى رواية له « **فلا يغرس المسلم غرسا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير ، إلا كان له صدقة الى يوم القيامة** » ، وفى رواية « **لايغرس مسلم غرسا ، ولايزرع زرعا ، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شىء إلا كانت له صدقة** » ،(يرزؤه أى ينقصه ، وينظر رياض الصالحين للنووى باب : (فى بيان كثرة طرق الخير) ، ولكنه يشترط فى هذه الأعمال بطبيعة الحال لكى تكون عبادة مراعاة أمر الله تعالى فى جميع الأمور دقيقها وجليلها ، وأن يتحرى بها حكم الشريعة .[1]

ويعرف ابن تيمية العبادة بأنها اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة : كالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين من الآدميين والحيوانات والدعاء والذكر والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة .

وكذلك حب الله ورسول ﷺ وخشية الله ، والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمة ، والشكر لنعمه ، والرضاء بقضائه والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته والخوف من عذابه . كذلك أدخل ضمنها الإمارة أو الرئاسة (فالواجب اتخاذ الإمارة دينا وقربة يتقرب بها إلى الله ، فان التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات وإنما يفسد حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها) .[2]

ويرى الأستاذ محمد قطب أن الخطأ الأول - والأخطر - الذى ارتكبه المسلمون بعد العصور الأولى المفضّلة هو حصر العبادة كلها فى الشعائر التعبدية ، بينما كان

(١) تفصيل النشأتين ص ٤٨

(٢) السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية ص ١٨٤ .

يفهم الجيل الأول الحياة كلها على أنها عبادة فيقول : (فلا شىء فى حياة الإنسان كلها خارج من دائرة العبادة التى تنحصر فيها غاية الوجود الإنسانى على هذه الأرض . وإنما هى ساعة بعد ساعة فى أنواع مختلفة من العبادة ، كلها عبادة وإن اختلفت أنواعها ومجالاتها ونطاقاتها . الصلاة والنسك عبادة . والكدح عبادة ، سواء كان كدحا سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو فكريا أو علميا . .الخ ، والترويح عن القلوب حتّى لاتكل ولا تمل عبادة) .[1]

هذا هو مفهوم العبادة التى تجعل للحياة الإنسانية معنى ، وتحدد لها أهدافا تستحق من أجلها بذل الجهد وتحمل المشاق والصبر عليها .

أما العبادات التى يخترعها بعض رجال الدين وتصبح من أسرارهم الخاصة ، ويؤديها الأتباع بمشقة وعسر أو بغير فهم أو اقتناع ، هذه العبادات تصبح موضع دهشة واستنكار . فمما أثار دهشة واستنكار الشهيد أحمد سامى عبد الله (المهتدى للإسلام) ، أنه رأى العبادات من وضع القديسين بعد رفع عيسى عليه السلام ، وأنها لاتتعدى ترتيلات وأناشيد فى أوقات غير محددة ، ولا يقابلها ثواب أو عقاب ، فضلا عن صعوبة أدائها إذ لا يستطيع تلاوة الصلوات إلا من يجيد القراءة والكتابة لأن حفظها عسير .[2]

---

(١) ينظر كتاب (مفاهيم ينبغى أن تصحح) ص١٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ولمزيد من التفاصيل يراجع فصل (مفهوم العبادة) ص١٧٣ وما بعدها – ط دار الشروق١٤٠٧ه –١٩٨٧م .

(٢) لماذا وكيف أسلمت ؟ ، ص١١٨ ، وفى موضع آخر يصف هؤلاء القديسين بقوله : (كانوا قديسين ضالعين فى المسيحية أكثر من المسيح نفسه إذ أنهم أتموا له الدين من بعده فتطوعوا مشكورين بوضع الصلاة الجماعية التى لم يصليها هو ولم يضع أقوالها قبل رفعه إلى السماء ، فاجتهدوا هم فى وضعها وتنظيم ألحانها ، وّوضع عباراتها بعد ترك المسيح الأرض بسنين عديدة) ص٨٩ العدد ٦٥من (دعوة الحق) الصادرة عن رابطة العالم الإسلامى شعبان١٤٠٧هـ /ابريل١٩٨٧م .

الفصل الثانى

البرهمية أو الهندوكية(1)

تمهيد :

تُفجّر العقائد الهندوكية – أو البرهمية – أسئلة كثيرة فتسنح الفرصة للتطرق إلى قضايا دينية لم تخل من تناولها عقيدة من العقائد ، سواء كان أصلها سماويا أو وضعيا منها : صلة الله تعالى بالمخلوقات ، والتساؤل عن وجود حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا أم لا .

ومنها : هل يهتدى بنو آدم إلى معرفة الحقائق من غير طريق الأنبياء ؟ إذ لو صحّ الخبر عن إنكار بعض البراهمة للنبوة والأنبياء فيؤدى بنا إلى العودة فى بحث قدرات العقل ومدى إمكان تحمله أعباء أكثر من طاقته وفوق قدراته .

وتتداعى الأفكار لننظر فى آراء ظهرت حديثا لا تقدّر النبوة حق قدرها ، فتصف الأنبياء والرسل بالمصلحين والعباقرة أو القادة ، أو تعطى صفات النبوة لمن تهوى من البشر(2) .

ومنها : هل تحقق وعيد إبليس ﴿ **قال رب بما أغويتنى لأزيّنن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ الحجر ، فها هى مظاهر الغواية متحققة ، حيث تحولت شعوب وقبائل عن جادة التوحيد ، فألجأتهم إلى عبادة البشر والحيوانات والشمس والقمر والكواكب وغيرها من الكائنات :

---

(١) باعتبار الهندوسية (أو الهندوكية) دين متطور ومجموعة من تقاليد الهند وعاداتهم وصور حياتهم . وأطلق عليها البراهمية ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى براهما (الإله الخالق) أو القوة العظيمة السحرية الكامنة التى تطلب كثيرا من العبادات كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين ومن براهما اشتقت الكلمة (البراهمة) لتكون علما على رجال الدين الذين كان يعتقد أنهم يتصلون فى طبائعهم بالعنصر الإلهى ، وهم لهذا كانوا كهنة الأمة ، لا تجوز الذبائح إلا فى حضرتهم وعلى أيديهم (محمد عبد السلام – فلسفة الهند القديمة – ثقافة الهند مارس ١٩٥٣ –ص١٩) ، نقلا عن د / أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ص٣٩ – مكتبة النهضة ١٩٧٦ .

(٢) كما وُصف أحدهم فى العصر الحاضر بنبى القومية العربية !

وإن يكن ذلك استجابة لغواية إبليس ، فما السبب الآخر المحتمل ؟

هل هو تقليد الآباء والأجداد ، أم تعطيل العقل عن التفكير المنطقى بعيداً عن الهوى ؟

ربما كان التحليل النفسى الاجتماعى الذى أدّاه ابن الجوزى يدّلنا على تفسير جزئى لهذه الظاهرة العجيبة فقال : (غير أن هوى القوم فى متابعة الأسلاف واستحلاء ما اخترعوه بآرائهم ، غطى على العقول ، فلم تتأمل حقائق الأمور)[1]

وكانت هناك محاولات للإصلاح ، مثل مافعله المصلح الهندى راما كرشنا ، إذ رفض الهندوكية و لم يعد يقدس الجبال والأنهار والحيوانات والأجداد (ولكنه يؤمن بأن العقول والقلوب كلها تتجه إلى قوة واحدة هذه القوة وراء كل شىء وكل إنسان ، وكل دين)[2]

ولكن تعديلاته كانت جزئية لأنه ظل معتقداً بوحدة الوجود ، فبعد أن درس الإسلام وأقر بأن الإسلام حق درس النصرانية أيضا ثم أعلن وحدة الأديان فهى عنده كلها منسجمة[3] .

ومما يلفت النظر أيضا فى الديانه الهندوكية الاعتقاد بالتناسخ ، فتساوى بين مراتب الوجود الإنسانى والحيوانى وكأنهما نسيج واحد ، وسبيكة مختلطة العناصر ، ففتقدوا معرفة الروح المميزة للإنسان دون غيره من سائر المخلوقات ، وأنكروا البعث والحساب والعقاب فى اليوم الآخر .

وتأتى أعجوبة الأعاجيب المتمثلة فى عبادة الحيوانات ومنها البقرة ، وسنجد الدفاع

---

(١) صيد الخاطر ص٣٧٨ تحقيق عبد القادر عطا مكتبه الكليات الأزهرية بمصرسنه١٩٧٩م .

(٢) ديانات أخرى ، أنيس منصور ص١٢٩ ، ١٣٠ ط دار الشروق ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م ثم انتشرت حركته فى أوروبا وأمريكا .

(٣) نفسه ص١٣١ ومن التعديلات التى أدخلت على الهندوكية ما قام به (ناناك) المؤسس لديانه السيخ ، فقد تأثر بالإسلام وأعجب ببساطته وسماحته وأن الله تعالى واحد . ولكنه فى الوقت نفسه أنكر القيامة ص٨٤ .

الحار عن هذا الفعل المنافى لكرامة الإنسان ومكانته ! وما أصدق وصف ابن الجوزى لأمثال هؤلاء إذ وضعهم فى مكانهم المناسب فقال : (وقد كان قوم يعبدون الخيل والبقر وإن هؤلاء لأخس من إبليس ، فإن إبليس أنف لادعائه الكمال أن يسجد لناقص فقال : ﴿ **أنا خير منه** ﴾ وفرعون أنف أن يعبد شيئاً أصلا)[1] .

نماذج من انحدار العقائد من التوحيد إلى الشرك

البراهمة :

لعل من أهم النماذج فى هذا الصدد هو نموذج ديانة البراهمة ، حيث اجتازت ثلاثة أدوار :

الأول : دور التوحيد عند الهنود القدماء ، وربما انحدروا من الأصل السامى (نسبة إلى سام بن نوح معلمهم ومرشدهم وراثة عن أبيه) .

الثانى : دور الكهنة البرهميين ونشأة الثالوث الهندى (برهما ، فشنو ، سيفا) .

الثالث : دور الشرك والوثنية ، حيث اتسع نفوذ الكهنة فأنشأوا الامتيازات والاختصاصات ووضعوا نظام الطبقات ، وزعموا أنهم يتفردون بمعرفة الحقائق العلوية ، وستروا الحقائق عن الشعب فجنح إلى الشرك وتعدد الآلهة ، وانحدر إلى عبادة الأشخاص والتماثيل والحيوانات .[2]

ولعل الأدوار الثلاثة ارتبطت بعقيدة التثليث فى الديانة الهندية البرهمية حيث كانت الديانة فى دورها الأول قاصرة على عبادة إله واحد (تحت إرشاد بعض العباد والحكماء المخلصين ، يعبدون القيوم ، ويسبحونه دون البحث عن كيفية وجوده أو ماهية جوهره) .[3]

---

(١) السيد محمود أبو الفيض المنوفى : الدين والفلسفة والعلم ص٤٦ ، ٤٩ .

(٢) صيد الخاطر ص٣٧٧ .

المرجع نفسه ص٤٦ .

أما الدور الثانى فقد ظهر فيه الكهنة وأنشأوا الطقوس ، وأحدثوا عقيدة الثالوث الهندى البرهمى : برهما الإله الخالق ، وفشنوا الإله الحامى للخليقة وسائسها المعمر ، وسيفا القوة التى تلاشى أو المفنى المعيد .[1]

وكان الدور الثالث معبرا عن سيطرة الكهنة وتعميق نفوذهم على الشعب لإبقائه على حال من الجهل والغفلة ليتوصلوا إلى تسلم زمامه والاستعلاء عليه حيث وضعوا أنفسهم فى المرتبة الأعلى من السلم الاجتماعى الطبقى ، وجعلوا باقى الطبقات دونهم كما يلى :

(١) طبقة الكهنة والعلماء .

(٢) رجال الحرب وحماة الأوطان .

(٣) الزراع والتجار .

(٤) أرباب الحرف والمهن الدنيئة وهم المنبوذون .[2]

ونعود فنرى فى دور الكهنة كما بينا من قبل أحد الأسباب الرئيسية فى مسخ العقائد وتغييرها والانحراف بالبشرية من عبادة الواحد الأحد إلى تأليه الكهنة والوسطاء ، ويعبر عن ذلك الاعتقاد بأن برهما حل فى (البرهمانات) وهو رئيس الكهنة[3] ، ونلاحظ أنه لامكان للنبّوة فى عقائدهم ، فما سببه ؟

نفى النبوات :

ومما يلفت نظر الباحث أن المصادر الحديثة لم تشر إلى أحد المعالم البارزة فى

---

(١) المرجع نفسه ص٤٧ – وهناك رأى لباحثين آخرين يتلخص فى القول بأن هذه الديانة تعبر عن عقائد الآريين ، ثم تأثرت بعد احتلالهم للهند بفلسفات وأفكار نشأت فى الهند ، ثم أصبحت الهندوسية بعيدة عن العقائد الآرية الأصلية (ص٤٠ أديان الهند الكبرى للدكتور أحمد شلبى) .

(٢) المرجع نفسه ص٤٩ .

(٣) المرجع نفسه ص١٠١ .

عقيدة البراهمة ، وهى إنكارهم للنبوات ، حيث عرف مؤرخونا – ومنهم الشهر ستانى – أبرز عقائدهم وشرحها بشىء من التفصيل مع اهتمامه بصفة خاصة بإنكارهم للنبوات والرد عليهم .[1]

يقول الشهرستانى (من الناس من يظن أنهم سموا براهمة لانتسابهم إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وذلك خطأ ، فإن هؤلاء هم المخصوصون بنفى النبوات أصلا ، فكيف يقولون بإبراهيم عليه الصلاة والسلام ؟) ثم يذكر أنهم انتسبوا إلى رجل منهم يقال له (براهم) الذى مهد لهم نفى النبوات مقررا استحالة ذلك بوجوه ، ويمضى فيبين لنا أهم هذه الوجوه ، وتتلخص فى الآتى :

أولا : أن الذى يأتى به الرسول لم يخل من أحد أمرين : إما أن يكون معقولا ، وإما أن لا يكون معقولا . فإن كان معقولا فقد كفانا العقل التام بإدراكه والوصول إليه ، فلا حاجة إلى رسول . وإن لم يكن معقولا فلا يكون مقبولا .

ثانيا : دل العقل على أن الله تعالى حكيم ، والحكيم لا يتعبّده الخلق إلا بما تدل عليه عقولهم . فننظر فى آيات خلقه بعقولنا ، ونشكره بآلائه علينا ، وإذا عرفناه وشكرنا له استوجبنا ثوابه ، وإذا أنكرناه وكفرنا به استوجبنا عقابه ، فما لنا نتبع بشر مثلنا يأكل مما نأكل ويشرب مما نشرب ؟[2]

وكان الشهرستانى بارعا فى الرد عليهم إذ اتخذ من إقرارهم بحكمة الله تعالى مدخلا لإثبات ضرورة النبوة ، وحاجة البشرية إلى الرسل والأنبياء ، لأنه تعالى كما أنه حكيم ، فإنه آمر ناه ، حكم على خلقه ، ولا يحيط العقل بمفرده بالحكم والأسباب

---

(١) يرى الدكتور محمود حماية أن الشهرستانى قد أخطأ فى نسبة إنكار النبوة إلى البراهمة كغيره من المؤرخين كالباقلانى والبغدادى . ص٢٢٧ .

وربما قصد الشهرستانى إحدى طوائف البراهمة ، وهى ليست وحدها ، بل يشاركها فى نكران النبوة طوائف أخرى كالصائبة والدهرية والسمنية ص٢٢٩ / ٢٣٠ من كتابه (ابن حزم ومنهجه فى دراسة الأديان) ط دار المعارف بمصر سنه١٩٨٣م .

وعلى أية حال ، فقد اهتم علماء أهل السنّة بقضية النبوة واحتلت مكانتها بكتب العقائد .

(٢) الملل والنحل ج٢ ص٢٥١ : ٢٥٢ – تحقيق سيد الكيلانى – ط الحلبى١٣٨١هـ /١٩٦١م .

والعلل ، ويستطرد فيقول (وليس كل عقل إنسانى على استعداد ما يعقل عنه أمره ، ولا كل نفس بشرية بمثابة من قبل عنه الحكمة ، بل أوجبت منّته ترتيبا فى العقول والنفوس ، واقتضت قسمته أن يرفع ﴿ **بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون** ﴾ ، الزخرف آية رقم٣٢ ، فرحمة الله الكبرى هى النبوة والرسالة ، وذلك خير مما يجمعون بعقولهم المختالة) .[1]

وقد احتلت قضية النبوة مكانتها فى كتب العقائد ، واهتم أهل السنة والجماعة بشرحها وبيان تفاصيلها للرد على المخالفين حتى من المسلمين أنفسهم كالمعتزلة القائلين بوجوب إرسال الأنبياء والرسل على الله تعالى بالنظر إلى ذاته حيث يقول السفارينى : (والحق أنه جائز عقلا فى حقه تعالى واجب سمعا وشرعا)[2] ، ثم يبين أن إرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وشرع الشرائع منّة من الله تعالى وفضل لا واجب عليه ذلك ، وإنما هو على سبيل اللطف بالخلق ، والفضل عليهم فبعثه تعالى جميع الرسل من آدم إلى محمد ﷺ أجمعين إلى المكلفين لطف من الله بهم ليبلغونهم عنه سبحانه أمره ونهيه ووعده ووعيده ، ويبينوا لهم عنه سبحانه ما يحتاجون إليه من أمور المعاش والمعاد .[3]

ويمضى السفارينى فيشرح دور الرسل كوسائط بين الله تعالى ، وبين عباده فى تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم وتكميل ما يصلحهم فى معاشهم ومعادهم ، إذ أرشدوهم إلى توحيده تعالى وإثبات صفاته وإثبات القدر ، وذكر أيام الله تعالى فى

---

(١) الملل والنحل ج٢ ص٢٥٢ .

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية (شرح الدرة المضية فى عقيدة الفرقة المرضية) للسفارينى ج٢ ص٢٥٦ .

(٣) المرجع نفسه ص٢٥٩ . ويقول ابن تيمية : (وكمن يقول العلم بالنبوة لا يحصل إلا بعد النظر ، وأنا لا أنظر ، أو لا أعلم وجود النظر حتى أنظر) ومن جواب هؤلاء أن حجة الله برسله قامت بالتمكن من العلم . فليس من شرط حجة الله تعالى علم المدعوين بها . ولهذا لم يكن إعراض الكفار عن استماع القرآن وتدبره مانعا من قيام حجة الله تعالى عليهم . وكذلك إعراضهم عن استماع المنقول عن الأنبياء وقراءة الآثار المأثورة لايمنع الحجة . إذ المكنة حاصلة . فلذلك قال الله تعالى : ﴿ وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم ﴾ لقمان /٧ – الرد على المنطقيين ص٩٩ – المكتبة الإمدادية مكة المكرمة ١٤٠٤هـ /٨٤م .

أوليائه وأعدائه وهى القصص التى قصها على العباد ، والأمثال التى ضربها لهم ، وأرشدوهم إلى العلم بتفصيل الشرائع والأمر والنهى والإباحة ، وبيان مايحبه الله ويكرهه ، وكذلك بينوا لهم وجوب الإيمان باليوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب ، وكل ذلك لايهتدى العقل إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها .

كذلك استند إلى رأى ابن تيمية فى حديثه عن المفاضلة بين العقل والشرع إذ ليس المراد بالشرع التمييز بين النافع والضار ، فإن الحيوانات تفعل ذلك بل التمييز بين الأفعال التى تنفع الإنسان فى معاشه ومعاده ، كنفع التوحيد والعدل والبر والصدق والإحسان والأمانة والعفة والشجاعة والعلم والصبر وأداء الحقوق وإخلاص العمل والتوكل على الله ، والاستعانة به والرضا بمواقع أقداره والتسليم لحكمه ، وتصديق رسله فى كل ما أخبروا به ، ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل المنافع والمضار ، بل أن لا بقاء لأهل الأرض إلا بدوام آثار الرسالة موجودة فيهم ، فإذا درست آثار الرسل من الأرض وانمحت معالم هداهم ، خرّب الله العالم العلوى والسفلى وأقام القيامة .[1]

وعلى أية حال ، فإن علماء الإسلام كانوا محقين تماما فى الإفاضة بشرح دور الرسل والأنبياء لأن من العلامات البارزة فى الإسلام الإيمان بالرسل جميعا وخاتمهم محمد ﷺ . ويزداد تقديرنا لاهتمامهم بقضية النبوة إذا علمنا أنه أزاء إنكار النبوات ، ظهرت دعوى أخرى لاتقل خطورة فى آثارها وهى إنكار ختم النبوة وظهور أنبياء كذبة .

أما باقى عناصر الديانة البرهمية (أو الهندوسية) ، فأنها تحتوى على خرافات وأساطير وعبادة الحيوانات – وعلى رأسها البقرة التى تحتل عبادتها المكانة المرموقة فى عقيدة الهنادك حتى الآن – كما سنرى ذلك على لسان غاندى زعيمهم المعروف ، بالإضافة إلى الاعتقاد بتناسخ الأرواح والقول بوحدة الوجود ، وقبل الخوض فى هذه الموضوعات نعرّف أولا بأقدم كتبهم وهى (الفيدا) .

---

(١) نفسه (باختصار) ص٢٦٠ : ٢٦٢ .

الفيدا : Veda أو الويدا :

يوصف بأنه أهم كتبهم ، ولا يعرف تاريخ كتابتها على وجه الدقة إذ كانت موجودة قبل خمسة عشر قرنا . وهى مجموعة أشعار يزعمون أن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها .[1] .

والفيدا أربعة كتب :

(١) الرجفيدا Rig Veda وهو أشهرها وأشدها سحرا للهنود وتأثيرا فيهم وتحتوى على أناشيد مختلفة ، منها ما يتصل بأناشيد تناول شراب (سوما) المقدس عند الهنود خاصة بأساطير وحكايات خرافية .

وتذكر الرجفيدا آلهة كثيرات ، منها الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض والشجر والمطر والريح والنور والحيوان . .الخ . (وكل هذه الآلهة التى لا تحصى لكثرتها إنما هى فى حقيقتها إله واحد ، تعددت مظاهره فسمى كل مظهر إلها) .[2] وتكمن فى هذه الفكرة عقيدة وحدة الوجود .

(٢) ياجورودا Yaiur Veda وتشمل العبارات النثرية التى يتلوها الرهبان عند تقديم القرابين .

(٣) ساما ويدا Sama Veda وتشمل الأغانى التى ينشدها المنشدون أثناء إقامة الصلوات وتلاوة الأدعية .

(٤) آثار ويدا Athar Veda وتشمل مقالات فى السحر والرقى .[3]

وقد طفحت كتب الفيدا بالأساطير والخرافات . ويصف لنا أحد الهنود المسلمين الذى خاض تجربة البحث عن الحق واهتدى إلى الإسلام فيقول : (لم أجد فيه إلا

---

(١) الأمام أبو زهرة : الديانات القديمة ص٥١ .

(٢) أحمد عبد الغفور : الديانات والعقائد ص٨٨ : ٨٩ .

(٣) د / أحمد شلبى – أديان الهند الكبرى ص٤٢ : ٤٣ .

أساطير الأولين عن عبادة النار والبحر والأحجار وغيرها من الجمادات والبهائم التى لا تملك لأنفسها نفعا ولاضرا . فكيف بغيرها ؟ كما يعلل خلق الكون فيها أحيانا بصورة شنيعة قبيحة تنبعث منها رائحة منتنة يفر منها الإنسان اللبيب) .[1]

ومن النماذج المنفرّة والمنافية للعقول السليمة ما أورده كجزء من الباب الأول لكتاب يعتبر المصدر الأساسى لقانون الهندوكيين الذى يبحث فى الخلق ونصه : (إن هذه الدنيا كانت غامضة لا توجد لها علاقة ولا وسيلة وليس فى مقدرة أحد أن يتوسل إليها بالحجج والبراهين ، ثم ظهر (بيرميشور) إله الآلهة بمادة التكوين وأراد ان يخلق خلقا من ذاته ، فخلق الماء وألقى فيه نطفة ، فصارت هذه النطفة بيضة فخرج منها (برهما) الخالق وكسر البيضة نصفين ، فخلق من أحدهما الجنة ومن الثانى الأرض والسموات ومابينهما والجهات الثمان والبحور الهادئة . ثم أخرج من فمه (براهمن) ومن عضده كهترى ومن فخذه (ويش) ومن رجله (شودرا) . فما دام براهما مستيقظا فالدنيا باقية . وإذا أخذه النوم تقوم القيامة) .[2]

عبادة الحيوانات وبخاصة البقرة :

يصف غوستاف لوبون عبادة الهنود للحيوانات والجمادات والإنسان بقوله : (وهيهات أن تجد هندوسيا لايعبد عددا من الآلهة ، فالعالم عنده زاخر بها حتى أنه يصلى للنمر الذى يفترس أنعامه ، ولجسر الخط الحديدى الذى يصنعه الأوربى ، وللأوربى نفسه عند الاقتضاء) .[3]

ويرى الأستاذ عباس العقاد أن عبادة الهنود للحيوانات نشأت عن الفكر الطوطمى ، أو عن اعتقادهم بأن الله يتجلى فى بعض الأحياء فيحل فيهم فيحتمل حلوله فى هذا الحيوان أو ذاك ، أو لأنهم آمنوا بالتناسخ فجاز عندهم أن يكون

---

(١) عرفات كامل العشى : رجال ونساء أسلموا ج٢ ص١١٥ –دار القلم – الكويت١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .

(٢) المرجع نفسه ص١١٧ .

(٣) غوستاف لوبون : حضارة الهند ص٣٦٨ نقلا عند /أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ص٢٨ .

الحيوان جدا قديما أو صديقا عائدا إلى الحياة .[١]

وتحتل عبادة البقرة بصفة خاصة مكانة بارزة بين المعبودات ، كما يأتى الحديث عنها وعن قدسيتها ، والصلاة لها فى كتاب (الفيدا) .

وقد أورد الدكتور احمد شلبى نصوصا هامة تعبر عن مدى التقديس الذى يكنه الهنود للبقرة فى أنفسهم . منها نص الصلاة إلى البقرة كالآتى :

(أيتها البقرة المقدسّة ، لك التمجيد والدعاء ، فى كل مظهر تظهرين به أنت تدرّين اللبن فى الفجر وعند الغسق ، أو عجلا صغيرا ، أو ثورا كبيرا فلنعّد لك مكانا واسعا نظيفا يليق بك ، وماء نقيا تشربينه ، لعلك تنعمين بيننا بالسعادة) .[٢]

ويقول الأستاذ أنيس منصور :

أما الثور فعلى الرغم من أن أمه بقرة وجدته بقرة ، وابنته بقرة أيضا ، إلا أنه ليس محترماً ، وتطبق عليه أقسى أنواع القوانين والعقوبات فهو منبوذ – وفى الهند فئة من المنبوذين عددها حوالى ٦٠ مليون نسمة – ولا أعرف بالضبط عدد الثيران ، ولكن هذا الحيوان المنبوذ يجر العربات ويحرث الأرض ويضربه الفلاحون ، واليد التى تضربه هى نفس اليد التى ترتفع بالتحية لأمه أو لجدته أو حفيدته .[٤]

ثم يأتى المهاتما غاندى[٣] فيخاطب البقرة ويناديها باسم (أمى البقرة) فيقول : إن حماية البقرة التى فرضتها الهندوسية هى هدية الهند للعالم ، هى إحساس رباط الأخوة بين الإنسان ، وبين الحيوان ، والفكر الهندى يعتقد أن البقرة أم للإنسان ، وهى كذلك فى الحقيقة ، إن البقرة خير رفيق للمواطن الهندى ، وهى خير حماية للهند .

عندما أرى البقرة لا أعدّنى أرى حيوانا ، لأنّى أعبد البقرة وسأدافع عن عبادتها

---

(١) الأستاذ عباس العقاد : الله ص٧٧ نقلا عن د /أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ص٢٩ .

(٢) د /أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ص٣٠ .

(٤) أنيس منصور ، حول العالم فى ٢٠٠ يوم – ص٤٥ – المكتب المصرى الحديث – ١٩٨٨م – الطبعة الأولى ١٩٦٣م .

(٣) المهاتما= الروح الكبير ويعنى بذلك المفكر العظيم أو الشيخ المبجّل .

أمام العالم أجمع .

وأمى البقرة تفضل أمى الحقيقية من عدّة وجوه ، فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين وتتطلب منا خدمات طول العمر نظير هذا ، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائما ، ولاتتطلب منا شيئا مقابل ذلك سوى الطعام العادى .

وعندما تمرض الأم الحقيقية تكلفنا نفقات باهظة ، ولكن عندما تمرض أمنا البقرة فلا نخسر لها شيئا ذا بال ، وعندما تموت الأم الحقيقية تتكلف جنازتها مبالغ طائلة وعندما تموت أمنا البقرة تعود علينا بالنفع كما كانت تفعل وهى حية ، لأننا ننتفع بكل جزء من جسمها حتى العظم والجلد والقرون .

أنا لا أقول هذا لأقلّل من قيمة الأم ، ولكن لأبين السبب الذى دعانى لعبادة البقرة . إن ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال ، وأنا أعّد نفسى واحدا من هؤلاء الملايين .[1]

ولكن تلميذه (نهرو) اعترض على سجن الناس لأنفسهم طويلا فى طقوس وتعاليم أكلت صحتها ووقتها وطاقتها على العمل ، وانشغالهم كثيرا فيما يجب أن يأكلوه وأن يشربوه ، وعن هذا الذى يسمحون له بأن يكون قريبا يلمسونه أو لا يلمسونه وانشغلوا بالطبقات والطوائف أيها أشرف وأيها أقبح ، وتوجه نهرو إلى مواطنيه بالخطاب : (اتجهوا إلى العلم بنفس حماسكم للدين ، إنه وحده يخلصكم من ظلام عشرات القرون)[2] .

أما الشاعر الحكيم محمد إقبال ، فله موقف آخر يُعدّ دليلا على تهافت الاحتجاج بتقليد الآباء والخضوع لسنن المجتمع الباطلة مادامت لا تقوى على الصمود أمام النظر العقلى الباحث عن الحق . فمن المعروف أن إقبال نشأ وسط الأوثان وعبادة البقر ، ولكنه رفض اعتناق عقائد هذا المجتمع واختار لنفسه الطريق السوى ، ولهذا فهو حجة أيضا أمام المتعللين بظروف البيئة والعصر الذين جعلوا لهما قوةً أكثر فاعلية من إرادة الإنسان !

---

(١) المرجع نفسه ص٣٢ : ٣٣ .

(٢) ديانات أخرى ، أنيس منصور ص١٩ ط دار الشروق ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

قال محمد إقبال : « إننا وإن ولدنا فى بلاد عريقة فى الوثنية إلا أننا رفضنا أن نعبد الثور والبقر ، وأبينا أن نطأطيء رؤوسنا أمام الكهّان ، فلم نخرّ بين يدىّ الآلهة القديمة ، ولم نطف حول بلاط الملوك وقصور الأمراء »[1] .

نستنتج من هذا أن الاختيار مازال قائماً أمام الإنسان الذى يستطيع بمحض إرادته وبموجب اختياره ، إما أن يحترم كيانه ويعرف دوره وهدفه ، ويؤكد عزته وكرامته كإنسان ينبغى ألا يخضع إلا لربه عز وجل ، ولا يعبد سواه ، أو يغفل عن ذلك كله فيخضع بإرادته لحيوان أبكم ، أو صنم أصم ، وعندئذ ينطبق عليه وصف الله تعالى : ﴿ **أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً** ﴾ من آية ٤٤ - الفرقان .

وقوله عز وجل : ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ الأعراف ١٧٩ .

التناسخ :

تقوم عقيدة التناسخ - أو تكرار الولادة والوفاة ، أو تجوال الروح - على أساس فكرة العقاب للذين لم يستطيعوا أن يندمجوا فى (الكل) الذى هو الإله فى العقيدة البرهمية لارتباطها بتصور أن الوجود واحد ، فإذا ما مات الإنسان الشرير لا تنتقل روحه إلى إنسان آخر (بل يجوز أن تحل فى كلب أو شجرة ، ومايزال تكرار الوفاة فالولادة إلى أبد الآبدين ، إذا لم تستطع أن تتجرد من الشهوات تجردا تاما يصعد بها إلى حيث يمكنها الاتحاد مع الكل ، فإذا استطاعت الروح التخلص من إسار الشرّ فإنها ستندمج فى الكل لتنعم بالاتحاد معه ، وبهذا الاتحاد تنجو من العذاب الذى يتجلى فى الولادة الجديدة المتكررة) .[2]

ونستخلص من هذا تحول دار الدنيا عند البراهمة من دار ابتلاء واختبار والآخرة

---

(١) من روائع إقبال - للندوى .

(٢) الديانات والعقائد فى مختلف العصور ، أحمد عبد الغفور العطار ص١٠٣ .

دار حساب وجزاء ، إلى اعتبار الأرض دار جزاء وثواب .[1]

وترجع فكرة التناسخ إلى نظرة البراهمة للنفس كجوهر (خالد صاف عالم مدرك تمام العلم والإدراك ما دام منفصلا عن الجسد ، فإذا فاض على الجسد واتصل به اعتكر صفاؤه ونقص علمه) .[2]

ويوضح لنا النص الذى نقله العلامة البيرونى فى هذه الفكرة توضيحا تاما على لسان قول باسريو لأرجن يحرضه على القتال : (إن كنت بالقضاء السابق مؤمنا فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن بموتى ولا ذاهبين ذهابا لارجوع معه ، فإن الأرواح غير مائتة ولا متغيرة ، وإنما تتردد فى الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والكهولة ، ثم الشيخوخة التى عقباها موت البدن ، ثم العود له) .

كذلك يصف له النفس بأنها (أبدية الوجود ، ولا عن ولادة ، ولا إلى تلف وعدم ، بل هى ثابتة قائمة لاسيف يقطعها ، ولا نار تحرقها ، ولا ماء يغرقها ولاريح توبسها ، ولكنها تنتقل من بدنا نحو آخر كما يستبدل البدن اللباس إذا خلق ، فما عملك لنفس لا تبيد ؟)[3] ، وهو بذلك يحرضه على القتال بشجاعة بلا خشية من الموت والقتل مادامت النفس أبدية الوجود .

وانبثقت من عقيدة التناسخ أيضا مجاهدة الهندوسى لنفسه والسعى نحو إلغاء إرادته ورغبات نفسه ، أو باصطلاحهم (الفناء) فى الكل :

وقد وردت العبارة الآتية عنهم (من لم يرغب فى شىء ولن يرغب ، وتحرر من رق الأهواء ، واطمأنت نفسه فى نفسه ، فإنه لايعاد إلى حواسه ، ويتحد بالبرهما فيصير هو ، ويصبح الفانى باقيا) .[4]

وقد انتقلت الفكرة إلى بعض صوفية المسلمين حيث كانوا يسعون إلى إماتة

---

(١) أديان الهند الكبرى – د /أحمد شلبى – ص٦٥ .

(٢) الأمام محمد أبو زهرة ص٤٣ : الديانات القديمة – ط دار الفكر العربى ١٣٨٥هـ /١٩٦٥م .

(٣) ماللهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة للبيرونى نقلا عن المصدر السابق نقلا عن صفحة رقم٤٤ .

(٤) د /أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ص٦٦ .

شهواتهم ، وإعدام رغباتهم فى سبيل الفناء فى الله تعالى . وهو مالا سبيل للوصول إليه ، ولهذا لقوا معارضة قوية من علماء السنّة .[1]

وحدة الوجود :

ومن تصور التناسخ أو ولادة الأرواح تتضح عقيدة وحدة الوجود ، لأن العقيدة البرهمية تنطوى على الظن بأن الكائنات تعود كلها فى نهاية مطافها إلى المصدر الأول الذى نشأت عنه وهو الله (والإنسان أحد هذه الكائنات فيعرض له ما يعرض لها ، وروحه قطرة من نور الله ، انفصلت عن الله إلى أجل محدود ، واتصلت به ، ثم تتصل بعده بكائن آخر وآخر وهكذا على طريق التناسخ ، وتجوال الأرواح ، ثم تعود فى النهاية إلى الله متى جاء الأجل) وهى تشبه دورة قطرة الماء فى دورتها .. من صعودها بخارا من البحر إلى انتقالها وتحولها من الثلج أو البرد وجريانها فى الأنهار ، ثم رجوعها أخيرا إلى البحر الذى انفصلت عنه .[2]

إن هذه الفكرة تقّوض الإيمان بالله من أساسها ، وهى – كما يصفها الشيخ الغزالى – عنوان آخر للإلحاد فى وجود الله أو تعبير ملتو للقول بوجود المادة فقط ، ومادام لايوجد شيء وراء هذا العالم ، فالقول بأن الله داخله هو صورة أخرى للقول بنكرانه .

---

(١) ينظر كتابنا ابن تيمية والتصوف – ط دار الدعوة بالاسكندرية .

أما الفناء الصحيح فى رأيه فهو يتمثل فى تحقيق شهادة لاإله إلا الله ويقول ابن تيمية لشرح (الفناء) المحدود عند العارفين أنه تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله . فلا تشهد لمخلوق شيئا من الإلهية ، فيشهد انه لاخالق غيره ويشهد أنه لا يستحق العبادة غيره ، ويتحقق بحقيقة قوله : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وقوله ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ وإلا فإذا شهدت أنه المستحق للعبادة مع رؤيتك نفسك لم تشهد حقيقة ﴿ إياك نعبد ﴾ وإذا شهدت حقيقة أنه الفاعل لكل شيء و لم تشهد أنه المستحق للعبادة دون ما سواه وأن عبادته إنما تكون بطاعة رسوله ﷺ ، لم تشهد حقيقة ﴿ اياك نعبد ﴾ وإذا تحققت بقوله ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ تحققت بالفناء فى التوحيد الذى بعث الله به رسله وأنزل به كتبه . قال الله تعالى ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ، رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا ﴾ . وقال تعالى ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ . وقال تعالى ﴿ قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ﴾ . الرد على المنطقيين ص٥٢١ .

(٢) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام للدكتور عبد الواحد وافى ص١٦٥ : ١٦٦ .

ولو كانت الأرض لؤلؤا ومرجانا ، ما صح أن تكون (ذات الله) . إن الصاروخ شيء غير الإنسان الذى أطلقه ، وكذلك فالعالم شيء غير الرب الذى أبدعه وسيره) .[1]

﴿ الله خالق كل شيء وهو على شيء وكيل . له مقاليد السموات والأرض ﴾ ....

وبنفس الدرجة من الاهتمام لتوضيح هذا المعتقد وقف علماؤنا على امتداد تاريخنا للدفاع عن عقيدة التوحيد ، وإفراد الله تعالى بالعبادة ، حيث يعتبر فهمها على وجهها الصحيح بمثابة الحصن الذى لاذ به المسلمون لصدّ أى غزو دينى من خارج الإسلام للانحراف بعقيدته أو شريعته عما نزل به الوحى .

وفى ضوء دراسة الأديان بمنهج مقارن ، نرى الإسلام وحده متميزا بهذه الحصانة التى صدّ بها كل المحاولات الخبيثة الملتوية لتشويهه أو خلطه بتصورات أخرى منذ محاولة عبد الله بن سبأ ومن تبعه ، ممن انحرفوا بالعقيدة ، كنفى الصفات الإلهية بواسطة جهم بن صفوان والحلول عند الحلاج ، ووحدة الوجود عند ابن عربى والفيض أو الصدور عند ابن سينا .

وتوالت قافلة العلماءالمجددين الذين تنبهوا إلى مظاهر الزيغ فى العقيدة التى تنحرف بها من التوحيد إلى الشرك أو تخلط بين مشاركة الله تعالى وغيره فى الألوهية .

وكان قد حدث فى تاريخ الإسلام موقف مشابه ، عندما تسللت إلى بعض المسلمين من الجهمية (أتباع الجهم بن صفوان) فكرة أن الله تعالى (هو فى كل مكان ، وليس هو فى مكان ، ولايختص بشيء . يجمعون دائما بين القولين المتناقضين ، لأنهم يريدون إثبات موجود ، وليس عندهم شيء فوق العالم فيتعين أن يكون هو العالم أو يكون فيه ، ثم يريدون إثبات شيء غير المخلوق فيقولون : ليس هو فى العالم ، كما ليس خارجا عنه) .[2]

---

(١) تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة - أنور الجندى ص٨٨ - دارالاعتصام ١٩٨٧م

(٢) نقض المنطق ، ابن تيمية ص٥٠ : ٥١ تصحيح محمد حامد الفقى . مكتبة السنة المحمديه بالقاهرة

وهنالك تصدى لهم الأئمة ، أمثال مقاتل بن حيان وسفيان الثورى والإمام أحمد بن حنبل مبينين التصور الصحيح للعقيدة الإسلامية شارحين ما اختلط عليهم فى فهم الآيات القرآنية التى تؤيدها الأدلة العقلية أيضا : قال سفيان الثورى عن قوله تعالى : ﴿ **وهومعكم أينما كنتم** ﴾ قال : علمه . وقيل لأبى عبد الله أحمد بن حنبل : الله عز وجل فوق السماء السابعة على عرشه من خلقه وقدرته وعلمه فى كل مكان ؟ قال نعم : نعم على العرش (وعلمه) لايخلو منه مكان .[1]

ومن هؤلاء الأئمة أيضا ابن تيمية الذى أزعجته هذه المظاهر ، حيث تسللت إلى المسلمين من خلال التصوف فكرة وحدة الوجود عن طريق ابن عربى (٦٣٨هـ) الذى جوّز هو واتباعه عبادة كل شىء ، وكأنهم ما عبدوا إلاّ الله لأن المذهب يدور حول أن الوجود واحد .

يقول ابن عربى :

وقد كنت قبل اليوم أكره صاحبى ... إذا لم يكن دينى إلى دينه دانى
فأصبح قلبى قابلا كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف وقرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه فالحب دينى وإيمانى[2]

ويقول أيضا : (فإن العارف من يرى الحق فى كل شىء ، بل يراه عين كل شىء)[3] .

ولقد عورضت فكرة وحدة الوجود بسبب انعكاساتها على العقيدة والأخلاق لأنه وفق هذه النظرة تصبح عبادة قوم موسى للعجل هى عبادة لله أيضا ، وتساوى بين عبادة الأصنام وعبادة الله تعالى . كما أدت هذه العقيدة الباطلة إلى تفسيرات

---

(١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة . . للالكائى ج٣ص٤٠١ : ٤٠٢ - تحقيق د /أحمد سعد حمدان - دار طيبة للنشر والتوزيع / بالرياض .
(٢) ابن عربى : ترجمان الأشواق ص٤٣ : ٤٤ .
(٣) فصوص الحكم ص١٩٢ .

مناقضة تماما للتوحيد الإسلامى ، ومعانى الآيات القرآنية الجلية الواضحة . ومثال ذلك : رأى ابن عربى المخالف لصريح الآية القرآنية ، حيث يصف موسى عليه السلام بأنه كان قرة عين لفرعون الذى آمن عند الغرق (فقبضه طاهرا مطهرا ، ليس فيه شىء من الخبث ، لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئا من الآثام) .[1]

وعندئذ يعلّق ابن تيمية ، إذ يرى أن (قوله لم يسبق إليه فيما أعلم أحد من أهل القبلة ، لأن النص القرآنى صريح فى فسق فرعون ، وكونه من المكذّبين لموسى ، الظالمين الداعين إلى النار .[2]

ويأتى تلميذه ابن القيم ليؤكد عقيدة التوحيد الإسلامية ومن مقتضياتها التنزيه فى أدق صوره وأرقاها ، لأن الإسلام جاء ليصحح العقائد الباطلة كافة ويعيد بنى آدم إلى الصراط المستقيم فى العقائد والعبادات والشرائع . يقول ابن القيم : (وأنت إذا تدبرت القرآن وأجرته من التحريف وأن تقضى عليه بآراء المتكلمين وأفكار المتكلفين ، أشهدك ملكا قيوما فوق سمواته على عرشه يدبر أمر عباده ، يأمر وينهى ويرسل الرسل وينزل الكتب ، ويرضى ويغضب ويثيب ويعاقب ، ويعطى ويمنع ويعز ويذل ، ويخفض ويرفع ، يرى من فوق سبع ، ويسمع ويعلم السر والعلانية ، فعّال لما يريد ، موصوف بكل كمال ، منزه عن كل عيب ، لا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بإذنه ، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه ، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ، ليس لعباده من دونه ولى ولا شفيع)[3] .

أما أثر وحدة الوجود فى مجال الأخلاق ، والسلوك الإنسانى ، فإنها تؤدى إلى جبرية صارمة وتعطيل للإرادة ، وتوقف التفكير ، وامتناع التفرقة بين الخير والشر والتمييز بين الثواب والعقاب ، وسقوط قيمة الإلزام الخلقى ، وزوال المسئولية الأخلاقية بإسقاط ركنيها : العقل وحرية الاختيار .[4]

---

(١) فصوص الحكم ص٢٠١ .

(٢) محى الدين بن عربى وغلاة التصوف لعباس الغراوى ص١٤٢ – من الكتاب التذكارى (محى الدين بن عربى فى الذكرى المئوية الثامنة لميلاده) .

(٣) الفوائد – ص٦٥ – الناشر : زكريا إبراهيم – مطبعة العاصمة بالقاهرة – بدون تاريخ .

(٤) فتاوى ابن تيمية – ط الرياض ج٢ ، ص٢٧٩(توحيد الربوبية) .

أما ديانة السيخ (وهى متفرعة من الهندوكية) فتُنسب إلى رجل هندى اسمه(ناناك) وُلد بولاية بنجاب سنه١٤٦٩م وتأثر بالإسلام وأعجب ببساطته وسماحته ، وأن الله واحد وأنه هو الأول والآخر ، وإن ظل على اعتقاد الهنادكة بوحدة الوجود .

كما ظّل متأثرا بالهندوكية لإنكاره البعث واعتقاده بالتناسخ ، مع اختلافه مع الهنادكة ، فى قولهمّ بالفناءُ ، مفضلاً كلمة الاتحادُ بالله ، متصوراً أن الروح لا تفنى فيه ولكن تبقى ذات وجود متميزّ .

كذلك أحل الصفاءُ محل (النرفانا – أى انعدام الرغبة) ، وصفاء الإنسان عنده يعنى العجز عن الشر ، إذ بعد اجتيازه لأنواع من الرياضات النفسية يصبح الصفاء هو منتهى الإيجابية فى تحقيق الخير !

ويقدّر عدد السيخ فى البنجاب وفى الهند بما لايزيد على عشرة ملايين ، وهم منتشرون فى أوربا وأمريكا[1] .

---

(١) من كتاب ديانات أخرى ، أنيس منصور ص٨٤ /٨٥و٨٩ .

أوجه الشبه بين عقائد الهند والنصرانية

يمكن القول بأن هناك أوجه للشبه بين عقيدة النصارى ، وعقائد البراهمة وربما كان المسئول عنها بولس ، الذى اقتبس (اتجاهات التثليث وصلب المسيح ابن الله تكفيرا عن خطيئة البشر)[1] . وغير ذلك من الملامح البارزة لعقيدة النصارى .

وهذا ما يدفعنا إلى بيان أوجه الشبه باقتضاب[2] بين العقائد الهندوسية والنصرانية ، كما توجّهنا هذه المناسبة إلى التعرّف على أحد معالم الإسلام البارزة فى الاحتفاظ بأصوله سليمة لم تمسها يد بشر مما ترتب عليه سهولة التمييز بين الأصيل والدخيل ، بين السنة والبدعة ، ومن ثمّ فضح كل من يحاول الانحراف بعقائد الإسلام أو عباداته أو شرائعه .

ونرى أن ابن تيمية كان محقّا فى قوله (إن مثل بولس فى النصارى كمثل ابن سبأ فى المسلمين) ، والقياس مع الفارق كما سيتضح بعد قليل ، ولكنه قصد أن كليهما أراد إفساد الدين . وإذا كان نجاح بولس ساحقا فى تغيير العقائد من جذورها ، وتحويل النصارى جميعا إلى وجهة أخرى لم يردها المسيح عليه السلام ، بل أنه برىء منها ، نرى أثر ابن سبأ لم يتعّد دائرة الشيعة – أو الغلاة منهم – فقد

---

(١) د /أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ص٩٦ .

(٢) للاستزادة راجع كتاب(الديانات القديمة) للشيخ محمد أبو زهرة من ص٣٠ الى ص٤٢ الذى اعتمد على كتاب مورس وليمس (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) .

طلبه على بن أبى طالب ، (رضى الله عنه) لقتله وحرق بعض أتباعه ، فهرب ولم يستطع – بالرغم من نجاحه المحدود – النفاذ إلى القاعدة الصلبة من صفوف المسلمين حينذاك ، وهم جميعا أصحاب الوعى العقائدى المستندإلى القرآن والسنة ، ولأن نور النبوة الساطع جعل ابن سبأ وأتباعه القليلين يختفون فى الظلام كالخفافيش .

هذا وقد أورد مورس وليمس صاحب كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية)[1] مواضع المطابقة بين أقوال الهنود على لسان كرشنة – وهو من أشهر فلاسفتهم (ولد حوالى ٤٨٠ قبل الميلاد) ، وبين ما جاء بالآناجيل عن المسيح عليه السلام ، وذلك فى خمسة وأربعين موضعا ، نجتزىء بعضها فيما يلى :

أقوال الهنود الوثنين فى كرشنة ابن الله

– كرشنة : هو المخلص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس ، وهو الآب والابن والروح القدس .

– قد مجد الملائكة ديفاكى والدة كرشنة ابن الله ، وقالوا يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة

– كان كرشنة من سلالة ملوكانية ولكنـه فى غار بحال الذل والفقر .

أقوال النصارى المسيحيين فى المسيح ابن الله

– يسوع المسيح : هو المخلّص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس ، وهو الآب والابن والروح القدس .

– دخل الملاك على مريم العذراء والدة يسوع المسيح وقال لها سلام لك أيتها المنعم عليها ، الرب معك .

– كان يسوع المسيح من سلالة ملوكانية ويدعونه ملك اليهود ولكنه

---

(١) ومقابلة النص الصريح بين كرشنة ويسوع المسيح يقع فى الصفحات من ص١١٩ إلى ص١٣١ ، والكتاب نشره وعلق عليه وقدم له محمد بن إبراهيم الشيبانى – ط مكتبة ابن تيمية – الكويت ١٤٠٨هـ–١٩٨٧م .

- وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنة الطفل الآلهى وطلب قتل الولد وكى يتوصل إلى أمينته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا فى الليلة التى ولد فيها كرشنة .

- واسم المدينة التى ولد فيها كرشنة مطرا وفيها عمل الآيات العجيبة ولم تزل محل التعظيم والاحترام عند الهنود العابدين للأوثان والقائلين عن كرشنه إنه إبن الله وإنه الله إلى يومنا هذا

- وفى أحد الأيام لسعت حية بعض أصحاب كرشنة الذين يلعب معهم فماتوا فأشفق عليهم لموتهم الباكر ونظر إليهم بعين ألوهيته فقاموا سريعا من الموت وعادوا أحياء .

- وأول الآيات والعجائب التى عملها كرشنة شفاء الأبرص .

- كرشنة صلب ومات على الصليب .

- ومات كرشنة ثم قام من بين الأموات .

- وصعد كرشنة بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعدا

- ولسوف يأتى كرشنة فى اليوم الأخير

ولد فى حالة الذل والفقر بغار .

- وسمع حاكم البلاد بولادة الطفل يسوع الالهى وطلب قتله ، وكى يتوصل الى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذين ولدوا فى الليلة التى ولد فيها المسيح .

- واسم المدينة التى هاجر إليها يسوع المسيح فى مصر ، لما ترك اليهودية المطرية ويقال إنه عمل فيها آيات عديدة .

- وبينما كان يسوع يلعب لسعت حية أحد الصبيان الذين كان يلعب معهم فلمس يسوع ذاك الصبى بيده فعاد إلى حال صحته .

- وأول الآيات والعجائب التى عملها يسوع المسيح هى شفاء الأبرص .

- يسوع صلب ومات على الصليب .

- ومات يسوع ثم قام من بين الأموات .

- وصعد يسوع إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعدا .

- ولسوف يأتى يسوع فى اليوم الأخير كفارس مدجج بالسلاح وراكب على

ويكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء .	جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء .
– وهو أى كرشنة يدين الأموات فى – اليوم الأخير .	– ويدين يسوع الأموات فى اليوم الأخير .
– كرشنة هو برهما العظيم القدوس وظهوره بالناسوت سر من أسراره العجيبة الإلهية .	– يسوع هو يهوه العظيم القدوس وظهوره فى الناسوت سر أسراره العظيمة الإلهية .

ولا شك أن هذا التشابه يثير التساؤل :

أهو التقليد والمحاكاة للبيئات والمجتمعات المجاورة ؟

أم خضوع للمألوف والمتوارث عن الأجداد الوثنيين مع التبديل والتعديل ؟

كل هذا جائز ومحتمل ، ونضيف إليه عاملاً آخر نعطيه قدراً أكبر من الأهمية والفاعلية لأنه ناجم عن أمر صادر من أحد رجال الدين :

جاء فى كتاب يسوع المسيح للقس بولس إلياس : (أنه فى مفتتح القرن السابع الميلادى كتب البابا غريغوريوس الأول الكبير إلى القديس أوغسطينوس أسقف كنتبرى ببريطانيا يقول : دع البريطانيين وعاداتهم وابق لهم أعيادهم الوثنية واكتف بتنصير تلك الأعياد والعوائد واضعاً إله المسيحيين موضع آلهة الوثنيين)[1] .

ويعلق الشيخ أبو زهرة على هذه المقارنات بقوله : (وإذا كانت البرهمية أسبق من النصرانية المحرّفة ، فقد علم إذن المشتق والمشق منه ، والأصل وما تفرع عنه ،

---

(١) ملكوت الله : عبد المجيد الجندى ص١٧٣ نقلا عن : المسيح الدجال – سعيد أيوب ص١٥٤ – دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٨٩م .

وعلى المسيحيين أن يبحثوا عن أصل دينهم) .[1]

وإذا قال قائل بأن الاعتقاد بالتناسخ قد تسلل إلى بعض المسلمين ، فإن ذلك يحتاج إلى شرح وبيان :

أثر الهندوكية لدى بعض المسلمين :

يمكن القول بأن الأثر الملموس الذى تركته الديانة الهندوكية فى بعض المسلمين كان فى نطاق ضيق محدود ، إذ سرعان ما اكتشف بطلانه بسبب وعى علماء الإسلام بدينهم وعقائدهم ، وقيامهم بدور التنبيه والتحذير من أية عقائد زائفة تتسرب إلى المسلمين عن طريق احتكاكهم بالأمم والثقافات والأديان الأخرى .

خذ مثلا الاعتقاد بالتناسخ ، فقد فضحه الأئمة والعلماء ، ومنهم الإمام ابن حزم ، الذى حصر القائلين به منبهًا إلى بطلانه :

قال ابن حزم : (افترق القائلون بتناسخ الأرواح على فرقتين : فذهبت الفرقة الأولى إلى أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجسام أخرى ، وإن لم تكن من نوع الأجساد التى فارقت ، وهذا قول أحمد بن حافظ ، وأحمد بن ناموس تلميذه وأبى مسلم الخراسانى ، ومحمد بن زكريا الرازى الطبيب الذى صرح بذلك فى كتابه المسمى (العلم الإلهى) وهو قول القرامطة . وقال الرازى فى بعض كتبه : لولا أنه لا سبيل إلى تخليص الأرواح من الأجساد المتصورة بالصورة البهيمية إلى الأجساد المتصورة بصورة الإنسان إلا بالقتل والذبح لما جاز قتل شىء من الحيوان أو ذبحه ألبته) .[2]

ومما تسرّب إلى بعض فرق الشيعة متّصلاً بالتناسخ القول بالرجعة فهى عودة الروح لحياة جديدة ولكنها فى الرجعة تعود إلى الجسم ، أى أن الشخص نفسه جسما وروحا يعود للحياة بعد الموت ، وقد قال بعض الإمامية بعودة على بن أبى طالب

---

(١) المرجع نفسه ص٢٩

(٢) الفصل ج١ص ٩٠ نقلا عن أديان الهند الكبرى للدكتور أحمد شلبى .

رضى الله عنه ، وقال أكثرهم بعودة الإمام الثانى عشر وهو المهدى وسمّوه (المهدى المنتظر) ، وقالوا إنه سيعود للأرض فيملؤها عدْلاً بعد أن ملئت ظلما .

وعلّق ابن حزم على هذا الاتجاه وهو القول بالتناسخ بأنه دعاوى وخرافات بلا دليل .[1]

أما انحراف بعض عامة المسلمين الذين أدخلوا فى عقائدهم بعض الاتجاهات الهندوسية ، فإن ذلك يخرجهم من الإسلام مثل بعض اتجاهات الأحمدية واتجاهات بعض أتباع (معين الدين شسيتُى) وهناك وثيقة نشرها الدكتور أحمد شلبى تجعل زيارة ضريح هذا الشيخ تنوب عن الحج إلى بيت الله الحرام ، وتقرر أن الطواف حول ما سماه ابن الشيخ « الروضة الشريفة » كالطواف حول الكعبة وتسمى الباب المؤدى لساحة الضريح (باب الجنة) .[2]

وإذا أخرجنا هؤلاء بسبب هذه العقائد من دائرة الإسلام ، فلا صحة إذن لما يراه جوستاف لوبون من تكون حضارة جديدة نشأت من اتصال الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى بالحضارة الهندوسية والفكر الهندوسى وتبادل التأثير بينهما وأطلق عليها اسم (الحضارة الهندية الإسلامية) .

إننا لا نقرّ لوبون على رأيه إذ إنه خلط بين الحضارتين ، بل دمج بينهما بسبب وجود تشابه عرضى بين بعض عامة[3] المسلمين الذين تأثروا ببعض عقائد الهندوس ، وبين الأخيرين الذين تأثروا بدورهم ببعض عقائد الإسلام وشعائره . ووجه القصور فى نظرية لوبون وغيره من فلاسفة الغرب أنهم لايميّزون بين الخصائص المميزة للإسلام التى تستند أساسا على عقيدة التوحيد ، وبين مالحق بالمسلمين من آثار ثقافية واجتماعية ظهرت إما بسبب تفشى الجهل بين عامتهم ، أو بسبب الغزو

---

(١) أديان الهند الكبرى ص٦٥ .

(٢) المرجع نفسه ص ٩٧ .

(٣) من ذلك مثلا أن بعض عامة المسلمين يمارسون تقديس الذخائر المماثلة لتلك التى يعبدها البوذيون ، وحدث مرة ثورة فى كشمير لأن شعرة يقدسها المسلمون سرقت لاعتقادهم انها من شعرات الرسول ﷺ (ينظر ص ٩٨ ومابعدها من نفس المصدر) .

الثقافى المتعمد أثناء الغزو العسكرى للعالم الإسلامى فى العصر الحديث أضف إلى ذلك أن لوبون وغيره من الفلاسفة الغربيين لا يملكون الحصيلة العلمية الوفيرة عن الإسلام بشعبه كلها ، فضلا عن الوجدان السليم الذى يمكّن صاحبه من الفرز بين ما هو إسلامى وما غير إسلامى ، ومن ثمّ اختلطت فى أذهانهم العقائد والنحل فأدخلوا فى دائرة الإسلام أمثال غلام أحمد القاديانى وفرق الإسماعيلية والبهائية أو البابية ، وعلى حين أن هؤلاء قد خرجوا من دائرة الإسلام ولا ينتمون إلى حضارته ، بل أنهم بما أعلنوا من عقائد وما ابتدعوا من نحل يعتبرون معادين للإسلام .

ومن هذه النقطة نميّز بين من ينتمون إلى الإسلام بعقيدته الصحيحة وما يتصل بها من عبادات وشرائع ، وبين المخالفين لها أيًا كانت جنسياتهم أو ألوانهم أو أوطانهم أو قومياتهم ، لننتقل منها إلى تصور عالمية الإسلام .

وخلاصة القول إن دائرة الحضارة الإسلامية تتسع عالميا فتشمل المسلمين على وجه الأرض ﴿ **إنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ ٩٢ / الأنبياء ﴿ **وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** ﴾ ٥٢ / المؤمنون .

وبناء على هذا التصور فإن علماء الهند المسلمين المستمسكين بالمنهج الإسلامى الصحيح ينتمون إلى الحضارة الإسلامية الأم ، ولا صلة عقائدية تربطهم بالحضارة الهندية حتى لو ولدوا فى الهند وعاشوا وماتوا بها لأن عقيدة التوحيد هى الرابطة التى تربطهم بالأمة الإسلامية ، وتفصل بينهم وبين الحضارة الهندية . وقد سجّل التاريخ أسماء الآلاف من علماء الهند جيلا بعد جيل الذين أسهموا بجهودهم العلمية فى المحافظة على الإسلام وعلومه ، وقامت المدارس والجامعات بدورها فى توعية المسلمين لمواجهة حملات الغزو الغربى لاسيما فى العصر الحديث وكانت الهند – كما يقرر الشيخ الندوى – فى طليعة دول المواجهة الإسلامية وكان الشعب الإسلامى الهندى أرهف شعورا دينيا ، وأرق وعيا إسلاميا وأشد غيرة على الإسلام من البلاد الإسلامية الأخرى ، مستدلا على ذلك بمساهمتهم القومية بعد حركة الخلافة ،

وحرصهم الشديد على التمسك بحضارتهم الإسلامية العريقة وبشعائرهم الدينية .[1]

والآن ، بعد أن استعرضنا هذه الديانة وآثارها ومايدور حولها ، يصح التوقف للاستفادة من ذلك كله فى تعليق نوجزه فى المسائل الآتية :

(١) اتخاذ أديان الهند دليلا واقعيا على التردى من عقيدة التوحيد إلى عقائد الشرك والوثنية (فالديانة البراهمية كانت فى أصلها - على ما يبدو من نصوص أسفارها - ديانة توحيد ، مشوبة بعقائد وحدة الوجود وتناسخ الأرواح . . ولكنها تغيرت وحرفت على مر الأيام ، وحلت محلها عقيدة تثليث) .[2]

ومن هنا يتبين أن منهج علماء السنة والجماعة المرتبط بالنصوص الموثقة كان عاصما من الوقوع فى الانحرافات العقائدية التى وقعت فيها الأمم الأخرى .

(٢) المهاوى التى يتردد إليها الإنسان حيث يتسفل إلى عبادة البقر إذا بَعُد عن عبادة الله الواحد الأحد .

(٣) افتقاد التشريع الإلهى يسبب وقوع المظالم الاجتماعية الصارخة التى نراها فى نظام الطبقات فى أبشع صورة ، بينما نرى العدالة الاجتماعية متحققة فى ظل التشريع الإسلامى عندما كان ساريا فى دولة الإسلام .[3]

(٤) الانحراف عن تصور حقيقة الإنسان بوحدته النفسية الجسمية معا ، حيث أدى

---

(١) الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين ص ٢٧ مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ويعد الإمام الندوى الهند من بلاد الإسلام الأربع (أى تركيا ومصر وإيران والهند) التى واجهت منذ منتصف القرن التاسع عشر المسيحى ، الحضارة والثقافة والأفكار والفلسفات والمثل الغربية ص ٢٣ ، نفس المرجع .

(٢) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ١١٦ للدكتور عبد الواحد وافى نهضة مصر ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .

(٣) وهذا المبدأ مازال يشع نوره لطالبى الهداية . يقول محمد ضياء الرحمن المهتدى للإسلام - وكان هندوكيا قبل إسلامه (من يعتنق الإسلام يصبح فردا من عشيرة المسلمين لا فرق بينه وبين الذى يولد مسلما ، كما قال الله تعالى ﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾ ص ١١٩ من كتاب رجال ونساء أسلموا /عرفات كامل العشى الحلقة /٢ .

الغلو فى (الروح) إلى إهمال الجسد وتعذيبه بافتعال التقشف والزهد ، بل إحراقه بعد الموت .

(٥) تفيدنا دراسة الأديان بمنهج الموازنة فى تتبع المؤثرات الوافدة من العقائد الأخرى إلى المسلمين كوحدة الوجود والفناء والتناسخ .

(٦) مسئولية الأمة الإسلامية لرفع أنواع الظلم الواقعة على المسلمين فى الهند وغيرها من بلاد جنوب شرق آسيا ، حيث يعانى المسلمون هناك ألوانا من الاضطهاد والظلم والاعتداءات على الأنفس والأعراض والأموال لا لسبب إلا لاستمساكهم بالإسلام . يقول محمد ضياء الرحمن المهتدى للإسلام (وكانت العداوة للإسلام والمسلمين راسخة فى قلوبنا نتيجة للاتهامات الكاذبة الشائعة عن ملوك المسلمين على لسان المؤرخين الهنادك) .. (ومهما يكن من أمر معاداة الإسلام كانت من تراث آبائنا) .[1]

(٧) ويبقى من مهمتنا أخيرا إقناع المدافعين عن الوثنية بزعم أنها تعبر فى مرحلة ما عن حاجة البشر الفطرية ، ثم تتعداها إذا ما نضجت البشرية وبلغت سن الرشد ، فحينئذ يستغنى الإنسان عن (الوثنية) فتصبح التماثيل علامات ورموز ، فنقول :

إن إقناع أولئك سهل ميسور إذا وضعنا أمامهم الواقع الماثل أمام دارسى العقائد والعبادات فى الهند وغيرها - والتى مازال أصحابها يعضون عليها بالنواجذ لأنهم يعكفون عليها بإصرار وبصفة نهائية ، حيث يتضح أن المعركة بين التوحيد والوثنية مستمرة وإنن أخذت شكلاً آخر فى المجتمعات الغربية التى تعظم التماثيل وتهيئ لها القاعات الخاصة والميادين العامة ، وتحفها بمظاهر الإجلال والتقديس الدالّة على عقيدة وثنية متغلغلة فى النفوس ، وليست كما يدّعون تعبيراً عن مظهر حضارى ، وإلا فما الفرق بين نظرة الهنادكة للتماثيل ونظرة الغربيين لها ؟ إنهم يحيطونها بنفس مظاهر التقديس بالوقوف أمامها بخشوع وتارة بانحناء مع وضع الزهور والرياحين والاحتفال

---

(١) رجال ونساء أسلموا ص ١١٣ :١٤١ الحلقة /٢ إعداد وترجمة : عرفات كامل العشى - دار القلم /الكويت /١٣٩٣هـ -١٩٧٣م .

بأعياد أصحابها .

ويصف الإمام أبو الحسن الندوى العصر إجمالاً بقوله : (... فى مكان تعبد الأصنام والأوثان ، وفى آخر تعبد العناصر والأجناس والأقوام ، وفى أرض تُعْبد الأهواء والشهوات ، وفى أخرى تعبد القوة والسلطة ، وفى مكان تعبد الملوك والسلاطين ، وفى مكان تعبد الأحبار والرهبان)[1] .

ونتابع حديثنا عن نحلة أخرى انسلخت من البرهمية وثارت عليها ، وهى البوذية - نسبة إلى (بوذا) - لنرى هل استطاع بدوره حل مشكلات الحياة ولغزها كما زعم هو وأتباعه ؟ أم أن الإنسان سيظل يتخبط فى متاهات الجهل مادام بعيدا عن الإذعان لوحى الله تعالى وشرعه ، مصراً على وضع العقائد والأنظمة لنفسه ؟

---

(١) ص٢١ من كتابه : رسالة سيرة النبى الأمين إلى إنسان القرن العشرين - دار حراء - المحلة الكبرى بمصر ١٥ رجب سنة ١٣٩٩ هـ .

الفصل الثالث

- البوذية .
- حياة بوذا .
- النرفانا .
- النرفانا فى ميزان الإسلام .
- النرفانا وأثرها عند الصوفية .
- المذهب الأخلاقى فى البوذية .
- مآخذنا على المذهب البوذى فى الأخلاق .
- نبذة عن السمات الأخلاقية فى الإسلام .
- خاتمة .

البوذية

إن الحديث عن البوذية يذكّرنا بالطرفين المتقابلين فى تصور حقيقة السعادة الإنسانية ، وكيفية تحقيقها قديما وحديثا : أى الفلسفة الأبيقورية قديما والنفعية حديثا ، فكان أبيقور يعلن : (علينا ألا نتجنب اللذائذ ، بل يجب أن نختارها) ،[1] .

وتبنّى نفس الغاية ستيورات مل فى العصر الحديث مع بعض التعديلات ، ويقابلها فى الطرف المضاد الفلسفة الرواقية ، ورائدها زينون الذى تخيل السعادة فى الزهد وحياة التقشف وإماتة الرغبة فى الحياة الطيبة وصبغ الحياة بطابع التشاؤم بسبب الاعتقاد بالجبرية ، وعبّر عنها شوبنهور فى العصر الحديث ، الذى رأى الكف عن النضال فلا طائل من وراء أن يتناضل الإرادة الفردية ، ضد الإرادة الكونية .[2]

وكلتا النظرتين خاطئتان لأنهما افتقدتا التقويم السليم للإنسان وعجزتا عن تقديم الإجابات الكافية الشافية عن الغرض من الحياة الدنيوية وعن المآل والمصير .

وتأتى دراسة البوذية لتزيد من تقديرنا – وتقدير كل باحث عن الحق متحررا من الهوى – لكمال الإسلام ، حيث نعثر فيه على إجابات لكل التساؤلات حول حياة الإنسان ومصيره ودوره ، كذلك يغذّى بعقائده وعباداته احتياجاتنا ، ويشبع أشواقناعن طريق منهج معتدل فى العبادات وطريق وسط فى التقرب إلى الله عز وجل ، وشريعة قويمة تبيح الطيبات من الرزق وتستجيب لنوازع الإنسان فى إشباع

---

(١) قصة الفلسفة : ويل ديورانت ص ٢٠٣ – ترجمة أحمد الشيبانى – المكتبة الأهلية – بيروت١٩٦٥م .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٠٢ .

اللذات بلا إفراط أو تفريط بميزان معتدل لا تترجح كفتاه بين ضرورات الجسد وأشواق الروح ، مع مزاولة النشاط الإيجابى فى العمل والسعى للرزق وتعمير الأرض فضلا عن المذهب الإسلامى الأخلاقى المتكامل الأركان[1] . لذلك سنتحدث عن البوذية كديانة خرجت على البرهمية ، ومذهب فلسفى أخلاقى :

الخروج على البرهمية :

أدى نظام الطبقات ، واستبداد البراهمة وإحساس طائفة الكشتريا (أى الحكم والسلطان وأعمال الجراءة والحرب) بالظلم ، أدى ذلك إلى ثورتى خروج على البرهمية :

(أ) **الجينية** :وتنسب إلى الزعيم مهاويرا (أى البطل العظيم) ويسمى أيضا جينا (أى القاهر والمتغلب) .

(ب) **البوذية** : نسبة إلى بوذا .[2]

وتتفقان معا فى العزوف عن المتع والملاذ الدنيوية ، والميل إلى الرهبنة والتبتل .[3]

وسنكتفى بالحديث عن (البوذية) باعتبارها أكثر أتباعا ، وأبعد نفوذا فى الهند والصين واليابان[4] ، بينما لايتجاوز عدد الجينيين الآن نحو المليون .

أما معالم اختلافهما مع الهندوكية أو البرهمية ، فإن الهندوكية تتضمن مجموعة كبيرة من الآلهة ، بينما (أنكرت الجينية الإله ورفضت البوذية الحديث عنه ، ولكن هذه الهّوة لم يَطُلْ عمرها ، فسرعان ما ألّه الجينيون مهاويرا والبوذيون بوذا واختلطت

---

(١) ينظر كتابنا الأخلاق بين الفلاسفة وحكماء الإسلام ، ص١٦٥ وما بعدها – ط دار الثقافة العربية بالقاهرة١٤٠٧ﻫ/١٩٨٦م .

(٢) كتاب أديان الهند الكبرى للدكتور أحمد شلبى ص١٠٨ :١٠٩ باختصار

(٣) حيث اقتحمت حوالى ثلاثين قطرا فى آسيا بل تعدتها الى أوربا ص١٨٤ .

(٤) كان اسمه عند ولادته (سدهاتا) وفى مرحلة الرهبنة (غوتاما) أى الراهب أو(مونى) أى المنفرد المنعزل عن الناس ثم فى النهاية (بوذا) أى العارف المستيقظ والعالم المتنور .

التماثيل والآلهةُ .[1]

لذلك اختلف الباحثون حول ما إذا كانت البوذية ديناً أو فلسفةً ، والسبب فى إثارة هذا الاختلاف أن المتتبع لحياة بوذا يلاحظ أنه لم يتعرض فى مباحثه لوجود الله ، وأن الأساس الذى حاول فيه حل مسألة الحياة ، أساس فلسفى فالبوذية بناء على هذا الرأى فلسفة ، ولكنها فى رأى البوذيين دين .[2]

ويرى الإمام أبو زهرة أن مذهب بوذا إصلاحى اجتماعى خلقى ، أكثر منه دينى .[3]

وسيتضح ذلك بصورة أوضح اذا تتبعنا حياته وأفكاره وخططه الإصلاحية :

حياة بوذا :

اتفق الباحثون فى تاريخ الأديان والعقائد على أن سيرة بوذا لا تخلو من قصص خيالية وأساطير حيكت حوله منذ مولده حتى وفاته ، حيث ينسبون إليه معجزات وكرامات . .

وعلى أية حال ، فسنسرد أهم وقائع حياته توطئة لاستخلاص مذهبه ودعوته التى انتشرت فى الآفاق حتى الآن :

ولد فى عام ٥٦٨ق .م ونشأ فى قصور أبيه الذى يعد من طبقة المحاربين وعاش عيشة ترف ، وتعلم الفروسية ثم تزوج فى السادسة عشرة من عمره .

ولكن هذه الحياة الرغدة المنعمّة لم تحل بينه وبين مشاركة التعساء والمصابين أحزانهم ، وآلامهم (فقد خرج من القصر ذات يوم فرأى شيخا فانيا وعاد إلى منزله يفكر فيما يفعل الزمن بالمرء من تغيير ، حيث يسلبه القوة والنضارة والحيوية

---

(١) المرجع نفسه ص١٩٤ :١٩٥ .

(٢) المرجع نفسه ص١٧١ .

(٣) محمد أبوزهرة : الديانات القديمة ص٧٠ ط دار الفكر العربى ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

والعافية ، وفى اليوم الثانى رأى مريضا أتلفه السقم والداء ، فرجع حزينا يفكر : لماذا يمرض هذا المسكين ؟ من الذى يغيّر حاله ؟ ولماذا تستحيل حياته عذابا ، وفى اليوم الثالث رأى جنازة ميت ، فعاد والحزن والألم يعتصران قلبهُ .[1]

وعمقّت هذه المشاهد فى نفسه إحساس التشاؤم ، ودفعته إلى التساؤل عن كيفية الحل لهذه المشكلات فى رأيه ، أى الشباب الذى يذوى والصحّة التى تفنى والعمر الذى يمضى . وأدت به إلى ماتحفل به الدنيا من ألم وشقاء وتعب ، فأخذ يبحث عن سبيل الخلاص ، مصمما على البحث عن الحقيقة مهما كلفه الأمر وكان حينذاك فى التاسعة والعشرين من عمره ، حيث ودّع زوجته وابنه وترك القصر هائما على وجهه ، ثم استبدل ملابسه مع سائل فى الطريق ، وتوجه إلى الكهوف ليقيم مع بعض النساك البراهمة ، فنافسهم فى حياة الزهد والتنسك .

و لم يكتف بهذا القدر من الزهد والتقشف على طريقة النساك البراهمة ، وانما أدرك أن البرهمية عاجزة عن حلِ لغز الوجود ، ومشكلة الحياة ، فانصرف إلى غابة أخرى ، وازداد قوة على نفسه متقلبا فى أشد ضروب التقشف والحرمان وإذلال البدن وقضى ست سنوات فى هذه الحياة حتى أشرف على الهلاك ، وذاع صيته فى الآفاق .

وتبالغ الأسطورة فى وصف حالته آنذاك فتصوره بأنه أخذ فى تعذيب جسده حتى لم يبق به حركة ، فبلغ السكون التام حتى كانت الطيور تقع عليه آمنةً وتتحرك الوحوش خلفه مطمئنة .

ولما بلغت به حالة التقشف والحرمان إلى فقدان القوة عن الحركة ، وعطلت فيه قوى الفكر ، قرر ترك هذه الحياة المسرفة فى تعذيب الجسد عائداً إلى الطعام والشراب والكساء . فبدأ يستعيد نشاطه وقوته فمضى سائرا فى سبيله حيث وجد شجرة فجلس يستظل بظلها .[2]

وعندئذ حديث واقعة حصوله على المعرفة (النرفانا) ...

---

(١) الديانات والعقائد فى مختلف العصور ج١ ص١٦٧ : أحمد عبد الغفور عطا

(٢) نفس المصدر السابق باختصار من ص١١٦ : ١٢٠ .

النرفانا :

تروى الأساطير أنه أثناء جلوسه تحت ظل الشجرة ، وهى شجرة تين فى رواية – فاض عليه العلم ، وانكشفت له كثير من أسرار العالم[1] ، أو أنه حصل على الإشراقة التى كان يترقبها[2] ، فما هى هذه الأسرار ؟ وما صفة هذه الإشراقة وطبيعتها وثمرتها ؟

لندعه أولا يعبّر عن نفسه حيث يقول : (جلست تحت تلك الشجرة فى تلك الليلة من شهر الأزهار ، وقلت لعقلى وجسدى : اسمعا ، لاتبرحا هذا المكان حتى أجد ذلك الحق ، لينشف الجلد ، ولتتقطع العروق ولتنفصل العظام ، وليقف الدم عن الجريان ، لن أقوم من مكانى حتى أعرف الحق الذى أنشده فينجينى) .

وإذا تأملنا إفصاحه عن تجربته الإشراقية نراها لا تروى غليلنا فى معرفة (الحق) الذى كان يبحث عنه ، وصلة الحق بهدف (النجاة) ، وممّ يطلب النجاة ؟ [3].

وما دامت قد أعيتنا الحيلة ، فلنجرّب الاسترشاد بشروح الباحثين ، ومنهم أحد علماء الهند – محمد عبد السلام الرامبورى – حيث يصف (بوذا) بأنه استغرق فى التأمل فغاب عن نفسه ، وعن كل ما حوله وانتقل من حال إلى حال وأخذ شعوره يتجلّى رويدا رويدا فأشرق له الكون ، وتجرد عقله من شوائب المادية ورأى العالم فى تقلباته ثم يمضى مستطردا (وقد غلّب اللاهوت وتنّور اللاهوت ، فذاق سرورا ماخطر بباله قبل ، ووجد قوة مااستشعر بها قط ، فأبصر ينابيع الحياة وأحاط بمنابع الآلام ، واستوعب منابت البؤس ، واكتشف مقاليد السرور ، ورأى سبيلا يهدى إلى تلاشى الأحزان وزهوق الآلام ، فأدرك متمناه ونال مبتغاه وتخلص من

---

(١) أبو فيض المنوفى : الدين والفلسفة والعلم ص٥١ .

(٢) د /أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ص١٤٢ .

(٣) اتفق الباحثون على صعوبة تفسير النرفانا لأن بوذا نفسه رفض شرحها بطريقة مفهومة كما يقول (ردها كرشنن) ويقرر أنه لايجدى نفعا أن نحاول فهمها بل ربما كانت اللغات البشرية لاتستطيع شرح النرفانا(نفس المصدر ص١٦١) .

تقلبات الحياة ونجا من حزازات الآلام ، وتيقظ شعوره وتنورت بصيرته)[1] .

تلك هى خلاصة الصورة البيانية لتجربة بوذا حيث يدور معظمها حول معانى مبهمة أقرب إلى الصور الخيالية منها إلى التعبير الدقيق عن الأحوال التى مر بها . وكل ما نستخلصه من شرح أحواله أنه تقلب من الآلام إلى السرور بعد أن غاب عن نفسه وعمّن حوله ، وأشرق له الكون حين تجرد عقله من شوائب المادية هذا ، وقد بلغ من سيطرة فكرة النرفانا حداً جعلتها تختلط عند كثير من الباحثين بمفهوم التركيز الإبداعى بأوروبا وأمريكا . يقول الدكتور شاكر عبد الحميد بمقال « عمليات التركيز الابداعى فى الأدب والفن » : ولكن بقى أن نفهم المقصود (بالفناء) حيث تروى الأساطير أن رحلة الروح تصعد إلى (النرفانا) حيث العدم العام ، وفناء النفس ، الذى يفسّره بعض فلاسفة البوذيين العصريين بأنه ليس الفناء المعروف (وإنما هو وجود يفنى فى وجود مثل فناء ألوان الطيف فى الشمس فى البياض الناصع الذى لا لون له . . ولايتم الوصول إلى النرفانا إلا بعد صفاء النفس والانفصال عن عالم الحس والواقع ، ولايمكن الوصول إلاّ بتعذيب النفس والعبادة الظاهرة) .[2]

وحاصل البحث والتنقيب فى كل ما تقدم يدفعنا إلى الكف عن المضّى فى التفسير والتحليل ، مكتفين بقبول التصور العام للنرفانا كطريقة موصلة إلى المعرفة الإشراقية بعد تخليص النفس من رغباتها .

إن هذا الإيضاح نجده بالتفصيل لدى الدكتور أحمد شلبى ، حيث خلص إلى

---

(١) بحث فى ثقافة الهند (ديسمبر ١٩٥٢) نقلا عن أديان الهند الكبرى ص١٦١

(أما مفهوم التركيز الإبداعى فقد بدا وكأنه أهمل أو أشير إليه بطريق عابرة أو اختلط لدى عديد من الباحثين بمفهوم (التأمل المتعالى) أو (الصفاء الروحى أو النرفانا) الآتى من جنوب شرق آسيا ، وقد انتشر التدريبات الخاصة به فى الولايات المتحدة وأوربا فى العقد الثامن من هذا القرن(١٩٧٠ - ١٩٨٠) وتتكون من جلستين كل منهما من ١٥ - ٢٠ دقيقة يوضع الفرد فيها فى وضع مريح مغلق العينين ويركز على صوت أو فكرة معينة ويسمح لذهنه بالتعامل الحر معها ، ويقال أن هذا يتيح للذهن أن يكون حرا فى أن يتحرك اكثر إلى المستويات الإبداعية من التفكير)

مقال : عمليات التركيز الإبداعى فى الأدب والفن : مجله المنهل - العدد٤٧٤ السنه٥٦ المجلد ٥١ صفر سنه١٤١٠هـ / سبتمبرسنه١٩٨٩م . د. شاكر عبد الحميد سليمان اداب القاهرة .

(٢) الديانات والعقائد فى متخلف العصور - أحمد عبد الغفور عطار ج١ ص١٢١

تقرير أن النرفانا مرت بمراحل تاريخية إذ كان مفهومها عند بوذا فى البداية الاندماج فى الله والفناء فيه ، وعندما أنكر وجود إله ، أصبح للنرفانا أحد معنيين :

(١) أن يطهّر الفرد نفسه بالقضاء على جميع رغباته وأغراضه لأن الأغراض الشخصية الباطلة تجعل الحياة دنيئة أو ذليلة .

(٢) إنقاذ نفسه من تكرار المولد بالقضاء على الرغبات والتوقف عن عمل الخير والشر .[١]

. . . . ولنقومّ الآن النرفانا بميزان الإسلام :[٢]

النرفانا فى ميزان الإسلام :

قبل المضى قدما فى عرض المذهب الأخلاقى للدين البوذى ، نرى ضرورة تحليل موقف بوذا من النرفانا من وجهة النظر الإسلامية :

وتمهيدا لذلك نرى أولاً أنه من المحتمل أن بوذا أصيب بنوع من المرض النفسى أو العصبى نتيجة حياة الحرمان والتقشف والانقطاع عن الناس والحياة داخل الكهوف ، ومزاولة طريقة المعيشة المخالفة للطبيعة البشرية السوية المتوافقة مع الفطرة ، فخيّل إليه سماع ذلك الهاتف ، وسيطر عليه ، وملك نفسه وساعد على التمكن منه الضعف الجسمانى والاستهلاك العصبى الشديد .

أما تقويم ما حدث لبوذا فى تجربة النرفانا ، فتتلخص فيما يلى :

أولا : لو سلمنا بصحة سماعه لصوت هاتف فإننا نرجّح أنه استمع إلى هاتف شيطانى . وتفسيرنا يستند إلى الاعتقاد بأن الشيطان يتسلط على كل من يبعد عن

---

(١) أديان الهند الكبرى ص١٦١ .

(٢) وسنقصر التعليق على الرواية المنقولة عن بوذا بأنه سمع صوتا من داخله ، ثم غالى بعض الباحثين الغربيين فاعتبروه وحيا – نفسه ص١٤٢ .

ذكر الله تعالى وعبادته ، حيث يذكر الإمام ابن القيم إن العبد إذا أصبح وأمسى والدنيا همّه ، حمله الله همومها وغمومها وأنكادها ووكله إلى نفسه ، وهذا شأن كل من أعرض عن عبودية الله تعالى وطاعته ومحبته مستشهدا بقول الله تعالى ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴾ الزخرف /٣٦ (١)

والذى لايعرفه أتباع النحلة البوذية أن الإنسان يتلقى هاتفين . أحدهما من الشيطان والآخر من الملك . ومالم يستطع التمييز بينهما ، فإنه سرعان ما يستأثر به الشيطان لنفسه ويزيّن له الباطل ويقوده حيث يريد . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (فالاعتقادات والإرادات الفاسدة تحصل بسبب شياطين الإنس والجن . والاعتقادات الصحيحة والإرادات المحمودة قد تحصل بسبب الملائكة وصالحى الإنس ، فإن سماع الكلم قد يؤثر فى قلب المستمع . فالمتكلم فاعل فإن كان السامع قابلا انتقش كلامه فى قلبه ، وإن لم يكن قابلا لهم ينتقش فيه) . (٢)

إنه يستند فى ذلك إلى قول سلف الأمة الإسلامية والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين(فإنهم يقولون : إن الشياطين توسوس فى نفوس بنى آدم كالعقائد الفاسدة والأمر باتباع الهوى ، وأن الملائكة بالعكس إنما تقذف فى القلوب الصدق والعدل . قال ابن مسعود(أن للملك لمسة وللشيطان لمسة ، فلمسة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق ، ولمسة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق . وفى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال : « ما منكم من أحد إلا وقد وكّل به قرينه من الملائكة ومن الجن . قالوا « وإياك يارسول الله ؟ » قال : وإيّاى ، إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم » — وفى لفظ فلا يأمرنى إلا بخير » . (٣)

(١) ابن القيم : الفوائد ص٧٧ الناشر زكريا على يوسف — مطبعة العاصمة بالقاهرة بدون تاريخ .

(٢) الرد على المنطقيين ص٥٠٩ — المكتبة الإمدادية بمكة المكرمة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م . ويذكر أن العاصم من الوقوع فى الزلل هو خبر الأنبياء عليهم السلام .

(٣) الرد على المنطقيين ص٥٠٦ وقد خرّج محقق الكتاب الشيخ عبد الصمد شرف الدين الحديثين على النحو الآتى : الأول : رواه مسعد عن عطاء وابن السائب أبى الأحوص عن ابن مسعود موقوفا . ورواه الترمذى والنسائى وابن حبان ، وابن ابى حاتم ، عن ابن مسعود مرفوعا . والثانى : أخرجه مسلم فى كتاب وصفة القيامة والجنة والنار . . وقولة « فأسلم » برفع الميم وفتحا فمن رفع قال معناه (أسلم أنا من شره وفتنته) ومن فتح قال (إن القرين أسلم من الإسلام) ، وصار مؤمنا لا يأمرنى إلا بخير) — النووى .

ثانيا : لا تتحقق السعادة الكاملة فى الحياة الدنيوية ، بل يستحيل النجاة من الأحزان فيها لأنها دار ابتلاء وامتحان ، وأنها موضوعة على الكدر والمعاناة ، فلا راحة فيها ، فمن طلب فيها الراحة فإنه يبتغى من الدنيا (ماليس فى طبيعتها ولا موجود فيها ولها) .(1)

ولكن لا يدفعنا هذا الاعتقاد إلى تبنّى النظرة التشاؤمية الغالية التى تلقى بشباكها فقط على منابع الآلام ومنابت البؤس ، فإن من يفعل ذلك كمن ينظر إلى الحياة الدنيوية بعين واحدة ، فإن الدنيا لاتمضى على وتيرة واحدة ، بل لابد فيها من اليسر والعسر ، والخوف والطمأنينة ، والراحة والتعب ، والحزن والسرور ، والفقر والغنى وهكذا دواليك ، إذ ربما لايسير نهر الحياة فى مجرى مستقيم يجتاز خطاً واحدا ، بل يتفرع وينساب هنا وهناك حسب طبيعة الأرض التى يجتازها مجراه ، ولكن لايمنعه ذلك من استمرار جريانه حتى يصل إلى مصبه .

إن البديل إذن مستمد من نظرة أوسع للحياة وللمصير ، يغذيها إيمان لا يتزعزع بالحكمة الإلهية التى تتصر أفهامنا عن إدراكها لأول وهلة ، وربما يأتينا الفهم بعد انقضاء الأحداث والوقائع التى نظن أنها – للوهلة الأولى – مؤلمة للنفس .

كذلك لا يتحقق التكيف النفسى المؤدى إلى انشراح الصدر إلا بالاقتناع بحقيقة الابتلاء فى الدنيا ومن ثم فإن المسلم يكيف حياته وفق هذا القالب ، ويصحح نظرته ويعد لها أولا بأول إذا ما مر بتجارب مؤلمة ، أو عانى من الاخفاق فى نيل بعض أغراضه ومقاصده .

وها هو ابن الجوزى (٥٩٧هـ) يضع الصياغة الملائمة للموقف الصحيح المؤدى إلى تقبل آلام الحياة عن اقتناع بمبادىء خمسة هى :

١ – إن طلبت النفس أغراضها ولم تصبر على الحرمان ، فإن ذلك ينافى طبيعة الدنيا كدار ابتلاء واختبار (وهل الابتلاء إلا الإعراض وعكس المقاصد) ؟

---

(١) تفضيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الأصفهانى ص٣٩ – سلسلة الثقافة الإسلامية – ذو القعدة١٣٨٠هـ /ابريل١٩٦١م .

٢ – إن النفس مملوكة لخالقها عز وجل وواجبها أداء حقه ، ولا يجب على المالك تبليغها ما تهوى .
٣ – تقف المعاصى عقبة فى طريق إجابة الدعاء وتحقيق الرغبات ، بينما سبب الراحة التقوى ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ ﴿ ... **يجعل له من أمره يسرا** ﴾ ... الطلاق : ٣ .
٤ – ربما تطلب النفس ما لا تعلم عاقبته وربما كان فيه ضررها ، والمدبّر لها – عز وجل – أعلم بالمصالح ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم** ﴾. البقرة : ٢١٦ .
٥ – إن المطلوب ينقص الأجر ويحطّ من المرتبة ، فالأولى طلب ما يصلح الآخرة[١] .

ثالثا : إذا حاول الإنسان التحليق بروحه فى الآفاق ظنا أنه يتخلص من دوافع النفس ، وهواتف الغرائز ، فكأنما يبحث عن المحال ، اللهم إلا إذا توهم (الفناء) . أى العدم – أمرا ممكن التحقيق .

فإذا علمنا أن الموت نفسه ليس فناءً ، بل هو نقله من حياة الدنيا إلى الحياة البرزخية ، فكيف نتصور أو نصّدق تجربة بوذا التى هى أقرب إلى الوهم والخيال منها إلى الحقيقة والواقع ؟ دعك من اتخاذها دينا يدين به الملايين ، ويحق التساؤل أيضا هاهنا : (وكيف تكون الآراء والخيالات وسوانح الأفكار دينا يدان به ؟).[٢]

النرفانا وأثرها عند الصوفية :

وكانت للنرفانا بتجربتها النفسية والأخلاقية بريق خاص فى دائر الصوفية كما كان لفكرة (الفناء) عند الهندوس صداها أيضا كما قلنا من قبل :

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزى ص٢٤٤-٢٤٥ بتصرف – تحقيق عبد القادر عطا – مكتبة الكليات الأزهرية بمصر ١٩٧٩م .
(٢) الفوائد : لابن القيم ص٩٨ .

إن الحديث عن النرفانا كطريقة للمعرفة تثير لدينا قضية تسللها إلى الصوفية إذ دار النقاش بينهم وبين المتكلمين ، لأن الصوفية تبنّوا المنهج القريب من النرفانا ، فمنهم من رأى أن (صاحب) الرياضة قد يسمع كلام الله كما سمعه موسى بن عمران عليه السلام)[1] ، ويقصدون بالرياضة تصفية القلب والتقرب إلى الله تعالى بالنوافل والإكثار من العبادات كالصلاة والصوم ومداومة الذكر .

ومثال ذلك ما رواه ابن الجوزى ، قال :

(فرأيت أبا حامد الطوسى يحكى عن نفسه فى بعض مصنفاته قال : شاورت متبوعا مقدماً فى الصوفية فى المواظبة على تلاوة القرآن فمنعنى منه ، وقال : السبيل أن تقطع علائقك من الدنيا بالكلية ، بحيث لا يلتفت قلبك إلى أهل وولد ومال وعلم ، بل تصير إلى حالة يستوى عندك وجود ذلك وعدمه ، ثم تخلو بنفسك فى زاوية ، فتقتصر من العبادة على الفرائض والرواتب ، وتجلس فارغ القلب ، ولا تزال تقول : الله الله إلى أن تنتهى إلى حالة لو تُرك تحريك اللسان رأيت كأننّ الكلمة جارية على لسانك ، ثم تنتظر ما يُفتح عليك مما فُتح مثله على الأنبياء والأولياء)[2] .

وعارضهم المتكلمون أصحاب المنهج العقلى ، ونفوا دور الرياضة وتصفية القلب فى نيل العلم .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية حاسما للنقاش بين الطرفين عندما أوضح – بناء على تفسيره للآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن (التقوى وتصفية القلب من أعظم الأسباب لنيل العلم) .[3]

ويؤيد من جانب ما يأمر به كثير من أرباب العبادة والتصوف بملازمة الذكر يلتمسون الوصول إلى الحق ، فأن هذا حسن إذا ضمّوا إليه تدبر القرآن والسنة واتباع

---

(١) الرد على المنطقيين لابن تيمية ص٥١١ .

(٢) صيد الخاطر ص٤٢٠ تحقيق عبد القادر عطا – مكتبة الكليات الأزهرية بمصر ١٩٧٩م .

(٣) المرجع نفسه ص٥١١ .

ذلك .[1]

ولكنه فى الوقت نفسه يحدّد الشرط العاصم للإنسان من الزلل والخطأ - حتى لايقع فيه المفتونون بتجربة « النرفانا » - ، حيث يقيد ذلك بقيد ضرورى محكم لا بّد منه فى طلب المعارف الإلهية وحقائق عالم الغيب ، لكى يوازن بين الصواب والخطأ ، فيقرر أنه (لايستغنى أحد عن معرفة الغيب عما جاء به الرسول ﷺ ، فما وافق كشف الإنسان وقياسه وافقه ، ومالم يكن كذلك خالفه لأن الإنسان معرض بعد تصفية نفسه أن يلقى الشيطان فى نفسه أشياء ، فإن لم يعتصم بالذكر المنزل وإلا اقترن به الشيطان ، كما قال الله تعالى : ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطانا فهو له قرين** ﴾ ، وقوله : ﴿ **فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى** ﴾[2]

ويلاحظ أن النقاش لم يتوقف عند هذا الحد ، فقد كان للصوفية صولات وجولات حول (النرفانا) أو (الإشراق) ، يلاحظ ذلك بوضوح بالقارة الهندية حتى العصر الحديث ، حيث نجد الإمام أحمد السرهندى (١٠٣٤هـ /١٦٢٦م) المشهور فى الهند بمجدّد الألف الثانى - يحدد موقفه وموقف الإمام الدهلوى بقوله :

(بأنهما كانا فى مقام استولت عليهما فكرة وحدة الوجود ، وكانت هذه النظرية تبدو لهما مؤيدة بالمقدمات الكشفية والدلائل اليقينية ، ولكنه أدركهما التوفيق الإلهى فسما بها إلى مقام أسمى من هذا المقام رجعا عنها)[3] .

---

(١) نقض المنطق ص٣٥ - ونذكرها هنا أيضا عبارته الثانية عن الفناء المحمود وهو عنده يعنى (تحقيق الحنيفية وهو إخلاص الدين لله ، وهو أن يفنى بعبادته عن عبادة من سواه ، وبمحبته عن محبة ماسواه ، وبطاعته عن طاعة ما سواه ، وبخشيته عن خشية ماسواه ، وبالحب فيه والبغض فيه عن الحب فيما سواه والبغض فيه ، فلا يكون لمخلوق من المخلوقين - لالنفسه ولا لغير نفسه - على قلبه شركة مع الله تعالى) . ص٥١٧

(٢) الرد على المنطقيين ص٥١١ والآيتان : ٣٦ سورة الزخرف ، و١٢٣ سورة طه ويذكر أيضا أن المعرفة لابد لها من شرطين : أحدهما قدرة العبد ثم السبب الآخر : كالقوة فى الهم والقبول فى المحل ، ولاريب أن النظر هو السبب فإن كان ذلك فى دليل هاد - كالقرآن - تضمن ذلك النظر العلم والهدى (نقض المنطق ص٣١ :٣٢) .

(٣) أبو الحسن الندوى : بين الدين والمدنية ص٣٣ :٣٤ مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م .

والذى يشدّ انتباهنا متابعة تلميذه الشيخ عبد الباق الدهلوى له أيضا ويتضح ذلك من ردهّ على سؤال خلاصته الاستفسار عن إمكان العقل بعد التزكية والتصفية الاقتراب من الله تعالى من غير حاجة إلى نبى يبعث ويتلقى الوحى بواسطة الملك .

وكانت إجابته على السؤال متضمنّة نفس الرأى الذى انتهى إليه ابن تيمية مما يدل على استقلال المنهج الإسلامى فى المعرفة بذاتيته الخاصة وتحذير علماء السنّة الدائم من الجرى وراء المناهج تقليدا ومتابعة هنا وهناك .

وبذلك أوصد الشيخ عبد الباقى الباب أمام كل صوفى يحاول اتباع طريقة الكشف المستوحى من (النرفانا) ، قال :

(مهما اقترب العقل واتصل بالله تعالى إلا أن علاقته بهذا الجسم المادى لا تزول بتاتا ولا يستطيع أن يتجرد عنه تماماً ، فلابد من حدوث الأوهام والشبهات بصفة دائمة ، ولاتفارقه القوة المتخيّلة والشهوانية والغضبية بأى حال ، وكذلك رذائل الطمع والشره ترافقه بصفه مستمرة ، أضف إلى ذلك صفات السّهو والنسيان والخطأ التى هى من لوازم النوع البشرى لاتنفك عنه أبدا .

ولذلك فأن العقل ليس موضع ثقة فى قضية الأحكام الإلهية التى(إذا تلقاها لم تكن بنجوة عن موضع الشك والارتياب ، ولاتفارقه شائبة النسيان ومظنّة الخطأ بخلاف الملك الذى هو مصون عن جميع هذه الصفات البشرية ، وبعيد عن هذه الرذائل ، فلا بد من أن يكون محفوظاً عن كل شائبة من شوائب الوهم والخطأ والنسيان) .(١)

انتهينا إذن من عرض النرفانا كطريقة للمعرفة والإشراق عند بوذا وصداها عند الصوفية ، وسنبحث الآن فى البوذية كمذهب أخلاق ، ومنهج إصلاحى اجتماعى .

المذهب الأخلاق فى البوذية :

إن السمات الأخلاقية بارزة أمام دارسى البوذية ، بما تشمل عليه من الحث على

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٥ :٣٦ .

الفضائل واجتناب الرذائل .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : (الجزء الخصب فى البوذية هو مذهبها فى الأخلاق وإصلاح المجتمع وتخفيف مافيه من شقاء)[1]

كذلك فإن بوذا أدرك – كشأن أصحاب الدعوات الذين يريدون نشرها بين الناس – دور الدعاة فى نشر دعوته ، فاعتنى بتربيتهم لاكتساب الخصال النفسية والفضائل الأخلاقية اللازّمة لأداء رسالتهم على أحسن وجه ، فأخذ يربيّهم على الصبر واحتمال أذى المعارضين والخصوم ، كما سنرى بعد قليل ، وإن لاحظنا أن التربية اقتصرت على طرق المعاملة والتفاهم – أى الوسائل دون الغايات – فلم نعدّ التربية بالعقائد فى الأوقات المصيبة ، كما تحدد الغايات بوعدها للطائعين بالثواب ويتوعدها للعصاة بالعقاب .

ومهما يكن من أمر ، فإن الروايات المنقولة عن بوذا تمضى فتذكر أنه تردد فى أول أمره بين أن ينعم وحده بالمعرفة التى نالها ، أو أن يبشرّ به وينشره ثم استقر رأيه على دعوة الناس إليه بعد أن تغلب الخير على نفسه .

وبعد ذلك جمع عددا من الشبان بلغ تعدادهم الستين ، وأخذ يعلمهم مبادئه ويلقنهم دعوته فاشتهرت دعوته بتسميتها (بالنظام) أو (عجلة الشريعة) .

وهناك نموذج من اختيار أعوانه أو مريديه بعد تربيتهم يعبّر عن مدى التصميم على الدعوة والاستعداد لتقبل التضحية مهما كانت الصعاب .[2]

كان هذا المريد (ويسمى بودنا) يريد الذهاب إلى إحدى القبائل المعروفة بالشراسة والخشونة ، فأراد بوذا اختبار مدى قدرته على التحمل ، فقال له : إن رجال هذه القبيلة قساة سريعو الغضب فإذا وجهّوا إليك ألفاظا بذيئة خشنة ثم غضبوا عليك وسبّوك فماذا كنت فاعلا ؟ فأجاب بودنا : أقول : لاشك أن هؤلاء قوم طيبّون ، لينو العريكة ، لأنهم لم يضربونى بأيديهم ، ولم يرجمونى بالحجارة .

---

(١) الديانات القديمة ص٧١ .

(٢) باختصار من كتاب ديانات الهند الكبرى ص١٤٦ :١٤٧ – للدكتور / أحمد شلبى .

– فإن ضربوك بأيديهم ورجموك بالحجارة ، فماذا كنت قائلاً ؟

– أقول إنهم طيّبون لينّون إذ لم يضربونى بالعصى ولا بالسيوف .

– فإن ضربوك بالعصى والسيوف ؟

– أقول إنهم طيبون لينون إذ لم يحْرمونى الحياة نهائيا .

– فإن حرموك الحياة ؟

– أقول إنهم طيبون لينّون إذ خلصوّا روحى من سجن هذا الجسد الشىء بلا كبير ألم .

فيعجب به بوذا ويطلب منه الذهاب إلى تلك القبيلة موجهًا إياه بالوصية التالية : (وكما تخلصت فخلصهّم ، وكما وصلت إلى الساحل فأوصلهم معك وكما تعزيت فعزهم ، وكما وصلت إلى مقام النيرفانا الكاملة فأوصلهم إليها مثلك)[1]

وعلى أية حال ، فإذا مرت بنا بعض الصعوبات فى تحليل تجربة النرفانا لغموضها ، فربما استطعنا أن نتقدم خطوة جديدة لفهمها عن طريق تحليل المذهب الأخلاقى للبوذية وشرح الطريق الذى خطّه للقضاء على الآلام ، وتحقيق المسرّات ، لأن المذهب نفسه منبثق من النرفانا .

الفضائل الأخلاقية وطرق اكتسابها :

تتدرج عناصر المذهب الأخلاق حيث تبدأ بالنص على أركان أربعة ، ثم تتلوها خطوات السير الحثيث فى ثمان شعب :

أما الأركان الأربعة فهى :

(١) الاعتراف بوجود الألم والشقاء .

(٢) التسليم بوجود سبب للألم والشقاء .

(٣) التصميم بإمكان إزالة هذا السبب .

(١) دائرة المعارف لفريد وجدى ج ٢ ص٣٨٩ : ٣٩٠ نقلا عن الديانات الهند الكبرى ص ١٤٧ : ١٤٨ .

(٤) وجود السبيل لتحقيق إمكان هذه الازالة .

وتتلخص سبل إزالة الألم فى (قتل الشهوة التى تربطنا بملذات الجسد وتدفعنا لطلبها ، مع أن مانطلبه يزول ويتغيّر ، وكل ما يزول ويتغير ألم وشقاء ، ولا نجاة ولا خلاص الا بأن ننبذ ماتريده الشهوة ، وفى ذلك قتلها ، وفى قتلها النجاة والخلاص) .[1]

لهذا كان عماد بوذا فى مذهبه الأخلاق أن يجاهد الشخص الشهوات ويروضّ إرادته على الصبر على الحرمان من اللذات ، ويتحقق ذلك بسلوك الجادة المستقيمة بتقييد حياته بثمانية أمور هى :

(١) الاتجاه الصحيح المستقيم إلى مايريده اتجاها خاليا من كل سلطان للشهوة واللذات وماتبعثه من أمانى .

(٢) الإشراق الصحيح المستقيم ، ذلك بأنه عندما يتجه الاتجاه الصحيح المستقيم ، بناء على الأمر الأول ، وتعتريه نورانية تجعلة يستطيع الوصول إلى حقائق الأشياء .

(٣) التفكير الصحيح المستقيم ، وذلك أن العقل عند خلوه من شوائب اللذة أصبح تفكيره مستقيما لايؤثر فيه نزعة هوى ولا جموح شهوة .

(٤) ويترتب على الخطوات الثلاث السابقة أمر رابع وهو اطمئنان العقل والقلب إلى الاعتقاد الصحيح الذى يطمئن له القلب .

(٥) يأتى بعد ذلك نطق الإنسان وأقواله مطابقة تماما لاعتقاده ولما ارتاح إليه .

(٦) يصبح السلوك مستقيما فيكون العمل مطابقا للعلم لامجافاة بينهما .

(٧) تتحقق بعد ذلك الحياة الصحيحة وقوامها هجر اللذات هجرا تاما ولا تشذ عن السلوك القويم .

(٨) ويتّوج ذلك كله المثابرة على بذل جهود الإنسان كلها فى سبيل أن تكون

---

(١) الديانات والعقائد فى مختلف العصور ص١٢٧ ، أحمد عبد الغفور عطار .

الحياة مستقيمة .[1]

وهنالك أيضا الوصايا العشر التى تشكّل آدابا عامة صالحة وهى :

(١) لا تزهق روح أحد .

(٢) لا تكذب .

(٣) لا تزن .

(٤) لا تأخذ مالا محرما .

(٥) لا تتناول مسكرا .

(٦) لا تأكل طعاما غير ناضج .

(٧) لا تشهد حفل رقص وغناء .

(٨) لا تتزيّن ولا تستعمل عطرا .

(٩) لا تتخذ أى فراش وثير .

(١٠) لا تقبل من أحد ذهبا أو فضة .[2]

وقبل تناول المذهب الأخلاقى بالتحليل والنقد التفصيلى ، نلاحظ على عموم المذهب خلو الخطوات الثمانى من تجديد أو تعريف للصحيح ، فكيف تتجدد الصحة ؟ ، وما مقدارها وحدّها ؟ فإن الناس قد يختلفون فى الاتفاق على الصحيح .

كذلك لا نجد ما يقابل الثواب أو العقاب لمن يطع أو يخالف الوصايا العشر فكيف نلزم الناس على اتباعها ؟

نترك الإجابة على هذه الأسئلة الآن ، مكتفين بتأمل توجيهاته لأتباعه المنحصرة فى (الألم) ، إنه يقول لهم : (أيها المريدون لاتفكروا كما يفكر الناس بل فكروا هكذا : هذا ألم ، هذا مصدر الألم ، هذا إعدام الألم ، هذا سبيل إعدام

(١) الديانات القديمة : محمد أبو زهرة من ص٧٢ :٧٤ باختصار .

(٢) المرجع نفسه ص٧٦ – وانظر الديانات والعقائد فى مختلف العصور ص١٢٧ – أحمد عبد الغفور عطار .

الألم) .[1]

ومما يلفت النظر كما أشرنا إلى ذلك من قبل اقتصاره على توجيه أتباعه إلى الآلام والالحاح عليها والدوران حولها بشكل يورث التشاؤم ، ويصبغ النفس بالكآبة حيث يصبح فى مستقرها الآلام ، وتدور فى داخلها معركة التخلص منها بحيث يظل شغلها الشاغل .

وربما يؤدى استمرار هذه الحالة ألا يتخلص المرء من الألم ، بل ربما ازداد لأن المثابرة على ذلك تجمّع وتعمّق الإحساس بالألم أكثر وأكثر . إن التفكير بهذه الطريقة ، والاقتصار على متابعة الألم وحده تجعل الإنسان وكأنه يغرق فى دوامة من دوامات البحر فتغوص بالسابح ولاتترك له فرصة الطفو على السطح لأنها لا تقدم له طوق النجاة .

وطوق النجاة فى رأينا هو النصح بالتوازن فى رؤية الحياة ، لأن رؤية الألم وحده لاتعبر عن واقعية الخبرات الانسانية التى تمر بها ألوان من السرور لا ينكرها أحد : فإن الحياة – بالرغم من آلامها – تكتنفها ألوان من السرور والبهجة أيضا متعددة المصادر : كالصحة والمال والأهل والأولاد والتمتع بالنعم التى لاتحصى من مآكل ومشارب وملابس ، بل هناك أيضا مصادر للسرور والبهجة غيرها ، تتمثل فى رؤية آيات الله تعالى فى الكون والمخلوقات من حوله على الأرض فى رؤية البحار والأنهار والشمس والقمر والنجوم ، وغيرها من آيات الجمال التى تبهج النفس وتحبب لها الحياة .

وكان الإمام ابن حزم أكثر توفيقا وواقعية بما اقترحه لنا من علاج نداوى به آلام الحياة ، ويرجع توفيقه إلى الانطلاق أولا من عقيدة ايمانية راسخة ، ثم رؤية للحياة أشمل ثانيا تتسع لحياة الدنيا والآخرة ، فأرشدنا إلى (كل ما يعصم من الدنيا من جميع المخاوف والمكاره ، ونخلّص فى الأخرى من كل هول ومضيق)[2]

(١) ديانات الهند الكبرى ص١٦٧ :١٦٨ .

(٢) (كتاب الأخلاق والسير) فى(مداواة النفوس) ص المقدمة تحقيق أحمد عمر الحمصانى – مطبعة السعادة بمصر .

ويخبرنا ابن حزم فى المقدمة عن خلاصة تجاربه التى كان يراقب خلالها أحوال الناس بغية العثور على غرض واحد يجمعون على استحسانه والسعى إليه فعثر على غرض واحد سمّاه (طرد الهم) أى الحزن [1] – أو القلق بلغة عصرنا – فإن الناس فى رأيه لا يسعون فى تحقيق أهدافهم من الأكل والشرب واللبس والأسفار والزواج واللعب وغيرها ، الا ليطردوا عن أنفسهم أضداد هذه الأفعال ومع ذلك فإنها قد لاتتحقق بسبب عوارض كثيرة تعترضها كالعجز وظهور الآفات والخوف من التنافس وطعن الحسّاد وغيرها من العقبات التى تحول دون تحقيق الأغراض ، وفى الوقت نفسه لم يجد عملا سالما من كل عيب خالصا من كل كدر ، موصلا إلى طرد الهم على الحقيقة إلا العمل لله تعالى لأن العامل للآخرة (إن امتحن بمكروه فى تلك السبيل لم يهتم بل يسّر إذ رجاؤه فى عاقبة ماينال به عون له على ما يطلب وزايد فى الغرض الذى إياه يقصد) .[2]

فأين ذلك من آراء بوذا ؟ ...

إننا إذاً أفضنا في الشرح والمقارنة فلكي تصبح أحكامنا أدنى إلى الصحة بدلا من الفتنة ببوذا وآرائه التى دفعت بأحد الباحثين إلى القول بأنه نبيّ وهو ما لا يمكن تقديم الدليل عليه ، بل إن صحت روايات إنكاره الألوهية تجعله أحد الملاحدة![3]!. وأمام هذه الفتنة نرى ضرورة وضع الأخلاق البوذية في مكانها الصحيح بعد النقد والمقارنة ، إذ لا نستطيع الإغضاء عن أثر المديح الذي يملأ الكتب في نفوس القراء ما لم يتسلحوا بالمعارف الصحيحة .

(١) يفسر الأصفهانى الهم بأنه (الحزن الذى يذيب الإنسان) المفردات ص٥٤٥ .

(٢) ص١٢ – الأخلاق والسير فى مداواة النفوس .

(٣) تنظر الدراسة التى أجراها الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار بكتابه (الديانات والعقائد فى مختلف العصور) ص١٣٦ :١٣٧ وما بعدها حيث ناقش الدكتور محمد توفيق صدقى صاحب كتاب(الصلب والفداء) الذى سجلّ فيه هذا الرأى .

مآخذنا على المذهب البوذي في الأخلاق :

١ – من الناحية النظرية :

عندما اطلعنا على المذهب بدى في ظاهره لامعا جذّابا لاحتوائه على إرشادات قويمة في شعبه الثمانية تتصل بمحاربة أهواء النفس ورغباتها في اجتناب اللذات – إذا قصد بها اللذات المحرّمة وحدها – لأن الاستغراق في اللذات يورث الآلام ، فضلا عن الوصايا العشر الايجابية ، وتقابلها الرذائل المنهي عن الاتصاف بها .

كل ذلك حسن ، ويبدو في مظهره أنيقا أخاذا ، ولكن إذا دققنا النظر فيه وكانت لدينا فكرة عن النظم الأخلاقية المتكاملة ، وجدنا المذهب البوذي يتهاوى ويتساقط أمامنا ، وهاكم نتائج تأملنا المدقق للمذهب البوذي :

أ – تنقصه الفضائل المتنوعة بتنوع الحياة الإنسانية في علاقتها المتشعبة كالفضائل في العلاقات الإجتماعية ، والفضائل العامة والعلاقات الدولية وأيضا في مجال الفضيلة الشخصية نفسها ، كمبدأ (النية) باعتبارها لبّ العمل الأخلاقي[١] .

ب – تنقصه أيضاً ما يسمى في علم الأخلاق بعناصر الإلزام (أو وسائل الردع) ، وهى التى تلزم الناس بسلوك الطريق القويم ، وتردع المنحرفين الخارجين عنها .

جـ – ويخلو المذهب أيضا من العقيدة التى لولاها لما استطعنا إقامة بناء أخلاقي متكامل ، فقد رأينا بوذا أميل إلى إنكار الإله ، وكان يتحاشى كل ما يتصل ببحث ما وراء الطبيعة (أو عالم الغيب) ، فإنه جعل كل همه صرف أتباعه عن البحث في هذه القضايا ، وحثهم على الخوض فقط في أعمالهم ودواعيها وميولهم وعواطفهم[٢] .

---

(١) انظر الدراسة المستفيضة للدكتور محمد عبد الله دراز بكتابه (مدخل إلى القرآن الكريم ص١٠٥ ومابعدها) .

(٢) أديان الهند الكبرى ص١٦٧ :١٦٨ .

ونحن نرى في ذلك هروبا من مواجهة الإجابات عن الأسئلة المنبعثة من بواعث النفس السويّة ، فضلا عن ضرورة العقيدة في أي مذهب أخلاقي فهنالك من ألوان السلوك ما يكون الدافع إليها بعيدا عن تحقيق أى نفع عاجل ، ويتضح ذلك في عقيدة الإسلام خاصة – كعقد النية والإخلاص في العمل ابتغاء مرضاة الله تعالى ، وأملا في ثوابه ، إلى جانب الترهيب من عقابه عز وجل .

وسيتجلى ذلك بصورة أوضح وأشمل إذا ما عرضنا للسمات الأخلاقية في الإسلام بعد أن نستكمل نقدنا للمذهب البوذي لتعذر تنفيذه كمنهج للحياة اليومية .

٢ – المنهج البوذي والتطبيق العملي في حياتنا اليومية :

والآن ، نأتي إلى مرحلة التجريب ، فنحاول تنفيذ المنهج البوذي لإصلاح الأخلاق ، فماذا نفعل لنحقق السعادة المنشودة ونتخلص من الآلام ؟

إذا بدأنا في التنفيذ ، فإن أول ما نلاحظه أن الطريقة البوذية أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع ، حيث تجمع بصورة تكاد تتشابه بين الاتجاه والإشراق والتفكير والاعتقاد ، وكلها ذات صبغة تأملية عقلية نظرية ، يختلط فيها الإدراك بالخيال ، فلا نقف أولاً على حدود مميزة تعرّفنا كيفية اجتياز مرحلة الاتجاه إلى مرحلة الإشراق ثم التفكير فالسلوك ... إلخ .

هذا ، بينما يبدو من الأمور الثمانية التى يتقيد بها الشخص في شئون الحياة أنها على شكل مراحل متدرجة .

وإذا ما توقفنا لإعادة النظر ومحاولة التطبيق العملي مرة أخرى ، اتضح لنا أن هذا المران العقلي التأملي المتخيل عند بوذا يفترض إنساناً آلياً يسير على قضبان كالقاطرة ، وينتقل تلقائياً من محطة إلى أخرى ، ويقطع مسافة ما ؛ لينتقل إلى غيرها ، فلا ينحرف يميناً أو يساراً بحكم طبيعة الخط الحديدي الذي يحكم حركته .

وإذا سلمّنا جدلاً بإمكان نجاح البعض جزئيا في رياضة إرادته على النحو الذي اقترحه بوذا ، فلا يصلح تعميم الحكم على صنوف البشر جميعا ، أى إذا صلح هذا

البرنامج في مرحلة عمر الإنسان المتأخرة وبواسطة الرجال الحكماء الذين يغلبّون صوت العقل وتضعف شهواتهم وانفعالاتهم ، فلا يصلح لمرحلة الشباب المتسمة بالحيوية والنشاط المليئة بالآمال والطموحات .

وإذا ناسب المشتغلين بالفكر والأدب والعلوم فأنه لا يناسب العاملين في حقول الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من الأنشطة الإنسانية التي تستنفذ جهود أصحابها ولا تترك لهم وقتاً للتأمل النظري البحت إلا فيما ندر !

أما إذا أريد للإنسان أن يتجه دائما (الاتجاه الصحيح) فلابد من توافقه مع فطرته السوية التى خُلق بها ، لأن حرمان النفس من اللذائذ المباحة يمنعها من الاستمرار في الاتجاة الصحيح والحياة الصحيحة أيضا .

ونحن نملك البديل الإسلامي الكفيل بالمضى قدما في الاتجاة الصحيح – أي عبادة الله تعالى في أعمال الإنسان وسلوكياته أثناء اجتيازه للحياة الدنيا – كما سبق الإشارة عند حديثنا عن مفهوم (العبادة) الواسع .

لا يصلح إذن المنهج البوذي للتقويم الأخلاقي أو تدعيم النفس (المطمئنة) ، ولكن الذي يصلح منهج آخر (مُفصّل) بحكمة بالغة على تركيبة الإنسان الروحية والجسدية ، وملائم لأنشطته وحركاته ، ويمدّه بالذخيرة الإيمانية لمواصلة حياته مهما كانت طبيعتها . يقول الدكتور محمد عثمان نجاتي (وقد اتبع القرآن في تربيته لشخصيات الناس وفي تغيير سلوك أسلوب العمل والممارسة الفعلية للأفكار والعادات السلوكية الجديدة التى يريد أن يغرسها في نفوسهم . ولذلك فرض الله سبحانه وتعالى العبادات المختلفة : الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج . إن القيام بهذه العبادات في أوقات معينة بانتظام يعلمّ المؤمن الطاعة لله تعالى ، والامتثال لأوامره ، والتوجّه الدائم إليه في عبودية تامة ، كما يعلمّه الصبر ، وتحمل المشاق ، ومجاهدة النفس والتحكمّ في أهوائها وشهواتها)[1] .

---

(١) القرآن وعلم النفس ص٢٥٥ ط دار الشروق ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م

نبذة عن السمات الأخلاقية في الإسلام :

يطول بنا الحديث لو استقصينا السمات الأخلاقية في الإسلام ، ويكفينا عرض بعض الملامح ، ثم نترك للقاريء حرية الموازنة مع الأخلاق البوذية ، التي تبدو حينذاك كقطرات في مياه المحيط .

ومن هذه السمّات :

أولا : أن الشريعة الإسلامية نفسها بأوامرها ونواهيها تصطبغ بالصبغة الأخلاقية . يقول الأصفهاني : (ومكارم الشريعة هى الحكمة والقيام بالعدالة بين الناس والحلم والإحساس ، والفضل والقصد منها أن تبلغ إلى جنّة المأوى وجوار ربّ العزة تعالى)[1] .

والشريعة في هذا المجال لها دوران :

أ – دور الردع والإلزام كما يرى ابن حزم حيث تكف الناس عن القتل الذي فيه فناء الخلق ، وعن الزنا الذي فيه فساد النسل وخراب المواريث ، وعن الظلم الذي فيه الضرر على الأنفس والأموال وخراب الأرض ، وعن الرذائل من البغي والحسد والكذب والجبن والبخل والنميمة والغش والخيانة وسائر الرذائل[2] .

ب – دور الحث على الاتصاف بمكارم الاخلاق كقول الله تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا** ... ﴾ (الآيات) إلى انقضاء تلك الخصال [في سورة الأنعام : من الآية ١٥١ وما بعدها] .

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٩١ تحقيق د /أبو اليزيد العجمي – ط دار الوفاء ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ..

(٢) الفصل في الملل والنحل جـ ١ ص٧٩ : ٨٠ ط صبيح ١٣٤٧هـ .

والآيات كثيرة في هذا الغرض حيث تحقق الاخلاق الفاضلة بحيث تجعلنا نؤيد الرأي القائل بأن (الشريعة إنما هى تخلق بمكارم الأخلاق)[1] .

ثانيا : تنّوع الفضائل بتنوع شعب الحياة الإنسانية :

أ – ففي مجال الفضيلة الشخصية – يكشف لنا الدكتور دراز عن مبدأ جديد لم تقرّه الشرائع من قبل – ألا وهو مبدأ (النية) باعتبارها لب العمل الأخلاقي . فقد كان موسى عليه السلام يغري قومه بأرض الميعاد ، والرخاء في الحياة الدنيا والنصر على أعدائهم ويظهر من دعوة عيسى عليه السلام ، طلب الانصراف عن الحياة الدنيا لأن السعادة لا تتحقق فيها ، ولكن في ملكوت السماء[2] .

ويجمع القرآن الكريم بين هذين الوعدين ، لا كباعث أخلاقي وإنما باعتبار أن الغاية التى يقصدها الإنسان الفاضل أعلى من هذا كله (إنه في الخير المطلق ، أى في ابتغاء وجه الله تعالى الذي يجب استحضاره في القلب عند أداء العمل الإنساني بتنفيذ أوامره)[3] .

ب – الفضيلة في العلاقات بين الأفراد : وتتضح من الآيات القرآنية العديدة التى أتت بتقنين عال في الأدب والذوق الاجتماعي . ومن هذا الآيات قوله تعالى : ﴿ **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا** ﴾ [النساء : ٨٦] ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا** ﴾ [الحجرات آية رقم ١٢[4]

---

(١) تفسير القاسمى (محاسن التأويل) ج١ ص٩٠ تصحيح محمد فوأد عبد الباقى – عيسى البابى الحلبى ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .

(٢) د /محمد عبد الله دراز : مدخل إلى القرآن ص١٠٥ .

(٣) المرجع نفسه ص١٠٦ .

(٤) وينظر أيضا أية ٢٢ سورة النور وآية ٥٩ سورة الأحزاب .

جـ - الفضائل الجماعية والفضائل العامة : يعلمنا القرآن أنه توجد خارج الأخوة في الله تعالى الأخوة في آدم عليه السلام قال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وقال عز وجل : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** ﴾ [الممتحنة : ٨٨]

وفي الوقت نفسه ينبغي إعداد القوة الكافية لقمع العدو والقضاء عليه ، وقد قال تعالى في هذا الأصل : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوكم** ﴾ [الأنفال] ، وأمر بالحذر والتحرز من مكائد العدو وانتهازه الفرص فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا خذو حذركم** ﴾ ، وقال : ﴿ **وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم** ﴾ النساء[1] .

أما داخل الجماعة الإسلامية فإن القرآن الحكيم يحدد مبدأين :

أحدهما : دعوة المؤمنين ليكونوا جماعة واحدة متماسكة ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

والثاني : مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** ﴾ [آل عمران : ١١٠] ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ [الأنفال : ٢٥] ﴿ **وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ [العصر : ٣] .

د - الفضيلة في المعاملات الدولية وبين الأديان : لم تتح للديانتين اليهودية والمسيحية إقامة علاقات مع دول معادية ولكن الوضع اختلف في عصر النبي ﷺ ،

---

(١) الإسلام دين كامل ، محمد الأمين الشنقيطي ص٢٢-٢٣ مكتبة ابن تيمية - الجيزة .

حيث أصبح أسوة في مجال الأخلاق ، وقائدا في مجال السياسة أيضا .

ونورد بعض المبادئ التى وضعها القرآن – بالإضافة إلى ماسبق – في الحرب الشرعية لدفع العدوان ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا** ﴾ [البقرة :١٩٠] ، ثم تتوقف الحرب عند انتهائها ﴿ **وإن جنحوا للسّلم فاجنح لها وتوكل على الله** ﴾ [الأنفال :٦١] ، والأمر باحترام العهود والمواثيق في العلاقات الدولية ﴿ **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها** ﴾ [سورة النحل : ٩١] .

لقد اقتضت مهمة الرسول ﷺ كسياسي وقائد ، تشريعا أخلاقيا لظروف الحرب والسلم ، كما تبيّن لنا هذه الآيات وغيرها ، إلى جانب القواعد التى حددتها السنة[1] .

ثالثا : جاءت طرق الإلزام في القرآن الكريم متنوعة كاملة ، ففي الدراسة التي أجراها الشيخ نديم الجسر في هذا الصدد ، بينّ طرق الإلزام التى فصّلها القرآن الحكيم وشعبهّا ، كما أوضح الكبائر والصغائر والأخلاق والآداب ، مفصلا أبواب الترهيب والترغيب ، متبعا طرق التربية الأخلاقية التى تهذب النفس وتقومها .

وتكاد تنحصر طرق الإلزام في القرآن الكريم في ستة أنواع ، كما استخلصها الشيخ نديم الجسر في بحثه الجامع بين دراسة النفس والأخلاق في الإسلام ، نلخصها فيما يلي[2] :

---

(١) المرجع نفسه ص١١٣ .

(٢) القرآن فى التربية الإسلامية للشيخ نديم الجسر ، وهو بحث جامع عميق يحتوى على دراسة قضايا حيوية فى النفس والأخلاق ، ويقع فى نحو ٧٥ صفحة من القطع الكبير ، منشور فى مجلة مجمع البحوث الإسلامية ، عدد خاص بعنوان (التوجيه الإسلامى للشباب) ١٣٩١هـ/١٩٧١م ، ويعرف الإلزام بأنه إلزام المكلف بتصديق ماقرره من الحق وتنفيذ ما شرعه من الاحكام والأخذ بما وصى به من مكارم الاخلاق ، والعزوف عما نهى عنه من مساوئها .

(١) الإلزام بوازع العقل :

إن مزية الإسلام الكبرى على باقي الأديان هو منحه العقل السلطة في الفهم واستنباط الأحكام ، والآيات القرآنية التى تحث على تحكيم العقل ، وترك اتباع الظن لا تكاد تحصى ، ذلك لأن عقل الإنسانية في بدايته ، وأثناء مراحله الأولى كان عاجزاً أمام التجارب المحدودة أن يدرك الخير ، وأن يحدد مكارم الأخلاق ومساوئها ، وكان الوحى السماوي يتولى هذا التحديد بواسطة الرسل . وعندما تكامل العقل الإنساني ، وبلغ حدّا يستطيع أن يعرف الحق والخير (أنزل الله سبحانه وتعالى آخر كتبه على آخر رسله – ﷺ – وجعل للعقل بمقتضى هذه الشريعة الأخيرة السلطان الأعلى في إدراك حكمة ما حدده القرآن من المباديء العامة لخدمة الحق والخير ومكارم الأخلاق)[١] .

إن آيات النظر العقلي ، والحض على النظر والتفكير والتدبر كثيرة في القرآن الحكيم ، مع وصفه للغافلين بأنهم يعيشون كالأنعام ، لا حظ لهم في تزكية الأنفس أو تثقيف العقول ، وهكذا أبطل القرآن الحجر على حرية التفكير ، حيث كانت التقاليد الدينية قد كبلت بهذا الرق البشرية (وأن أكثر ما ذكر فعل العقل في القرآن قد جاء في الكلام على آيات الله ، وكون المخاطبين بها ، والذين يفهمونها ويهتدون بها ، هم العقلاء)[٢] .

ولئن كان من (أشرف ثمرة العقل معرفة الله تعالى وحسن طاعته ، والكف عن معصيته)[٣] ، فإن من البديهي أيضا الإلزام بوازع العقل في المحيط الأخلاقي[٤] .

(٢) الإلزام بوازع الضمير (أو النفس اللوّامة) :

ولكن الإلزام العقلي لا يتم إلا للقلة من الحكماء ، الذين يعبدون الله تعالى ،

(١) نفس المصدر ص ٨٨ .

(٢) الوحى المحمدى – محمد رشيد رضا ص١٨٣ – المطبعة السلفية .

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة – للراغب الأصفهانى ص٦٦ .

(٤) القرآن فى التربية الإسلامية لنديم الجسر ص١٠٤ .

ويطيعون أوامره ، لأنه سبحانه مستحق بذاته للعبادة ، وأن أوامره مستحقة الطاعة .

ولكن الكثرة الغالبة لا يكفيها وازع العقل ، وتحتاج إلى وازع الضمير كزاجر يبعدها عن الذنوب التي تخفي على أعين الناس ، ولا ينالها العقاب الأرضي بواسطة البشر . وضمير المؤمن موصول بالله سبحانه وتعالى ، فهو يعيش في حراسة ضميره ، ويقظة (نفسه اللوامة) ، وهى بمثابة (محكمة أمن) داخل الإنسان (لا يمكن خداعها ولا الإفلات منها ولا تجدي عنها المعاذير ، لأنها مرتبطة برقابة عليا ، إنها لوّامة دائما ، توجه إلى صاحبها إنذارات التأنيب ، حتى تزده إلى الخير)[1] .

(٣) الإلزام بالترهيب والترغيب :

تنوّعت أساليب القرآن الحكيم من حيث الترهيب والترغيب .

ففيما يتصل بالترهيب : فإن الله سبحانه وتعالى يحّذر العاصي من انتقامه في النفس والأولاد . . والثمرات ، هذا في الدنيا . أما في الآخرة ، فالتحذير من أهوال القيامة وعذاب النار .

وفي جانب الترغيب : وعد بخير الدنيا وزيادته لمن يشكر وحفظ النعمة على من يحافظون على سلوك الطريق المستقيم . ووعد المتقين بالجنة في الآخرة بما فيها من نعيم دائم ، لتعويض المحرومين من خير الدنيا في المآكل والمشارب والمساكن وغيرها (وهو وصف يعترض عليه بعض الجهّال والمشككيّن الذين يملأ الزيغ قلوبهم ، أما الذين يدركون خفايا النفس البشرية في شدة حبها للخير والنعيم ، ونقمتها من الحرمان ، فإنهم ليعلمون أنه وصف لازم وضروري ، وفي منتهى الحكمة)[2] .

(٤) الإلزام بوازع الكفّارات :

ومن أساليب تربية الضمير ، تفويض الله سبحانه وتعالى إلى العبد أن يعاقب نفسه جزاء لما اقترفت يداه ، وتكفيرا عن بعض الذنوب كالصوم ، وهى عقوبة

---

(١) دروس ونفوس ج١ ص٢١٠ للدكتور / توفيق سبع – ط مجمع البحوث الإسلامية .

(٢) القرآن فى التربية الإسلامية للشيخ نديم الجسر ص١٠٥ .

جسدية أو عتق رقبة ، أو إطعام المساكين وهى عقوبة مالية . وهكذا يظهر لون من امتحان الإيمان وتعود الإنسان على محاسبة نفسه ، بعد الإقرار بذنبه والإذعان لحكم ربه (.وفيها تربية للضمير ، واستحضار للرقابة الإلهية ، وتعويد على حفظ الإيمان ، والكف عن بعض المخالفات .

(٥) الإلزام بوازع الرأى العام :

ومن الأساليب التى امتاز بها القرآن في التربية ، هو الأخذ بمبدأ الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر على قدر الطاقة ، ولا سيما في النهي عن منكرات الأخلاق التى لا تمتد إليها يد القوانين ، والحديث أيضا يؤيد هذا الأسلوب وهو قول النبي ﷺ : « **من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه** » .

(٦) الإلزام بوازع السلطان :

وقد لا يصلح مع بعض الناس أنواع الإلزام السابقة ، لذلك كان لابد من وازع أعظم ، وهو وازع السلطان ، حيث قيل : (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) (وهي العقوبات المختلفة التى فرضها القرآن على بعض الجرائم ، وفوض أمرها إلى الحكام)[1] .

وبعد هذه الدراسة المختصرة للأخلاق في الإسلام ، رأينا كيف تتضاءل الأخلاق البوذية إلى جوارها ، وكيف تصبح متجرّدة من أية مقومات لترتفع بقامتها إلى المذهب الأخلاقي المتكامل كما وجدناه بشموخه وكماله متحققا في الإسلام مما يؤكد مصدره الرباني .

ونتحول الآن لنعقد موازنة أخرى لكي يعرف منها كيف أثرت البوذية في الديانة المسيحية ، مكتفين ببعض النصوص المتطابقة في المضمون ، ولا تختلف إلا في وضع اسم المسيح عليه السلام بدل (بوذا) .

---

(١) المرجع نفسه ص١٠٦ .

المسيحية	البوذية
أقوال النصارى فى المسيح ابن الله	**أقوال البوذيين في بوذا ابن الله**
– ولد يسوع المسيح من العذراء مريم بغير مضاجعة رجل .	– ولد بوذا من العذراء مايا بغير مضاجعة رجل .
– ولد يسوع ابن العذراء مريم التي حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد (أي في ٢٥ كانون الأول – ديسمبر) .	– ولد بوذا ابن العذراء مايا التي حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد أي في ٢٥ كانون الأول– ديسمبر) .
– لما كان يسوع طفلا قال لأمه مريم (أنا ابن الله) .	– لما كان بوذا طفلا قال لأمه مايا أنه أعظم الناس جميعا .
– لما أرسل يسوع إلى المدرسة أدهش أستاذه ذاخيوس وقال لأبيه يوسف : (لقد أتيتني بولد لأعلمه مع أنه أعلم من كل متعلم) .	– لما أرسل بوذا إلى المدرسة وهو ولد أدهش الأساتذة مع أنه لم يدرس من قبل وفاق الجميع في الكتابة والرياضيات والعلوم العقلية والهندسة والتنجيم والكهانة والعرافة .
– وعمل يسوع عجائباً وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكر أعظم العجائب مما يمكن تصوره .	– وعمل بوذا عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكر أعظم العجائب مما يمكن تصوره .
– ولما مات يسوع ودفن انحلت الأكفان وفتح القبر بقوة غير اعتيادية (أي بقوة إلهية) .	– ولما مات بوذا ودفن انحلت الأكفان وفتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية (أي بقوة إلهية) .

– وصعد بوذا إلى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض .	– وصعد يسوع بجسده إلى السماء من بعد صلبه لما كمل عمله على الأرض .
– ولسوف يأتي بوذا مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها .	– ولسوف يأتي يسوع مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها .
– قال بوذا أنه لم يأت لينقض الناموس كلا بل أتى ليكمله وقد سرّه عدّ نفسه حلقة في سلسلة المعلمين الحكماء .	– وقال يسوع : (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل) .
– وجاء في كتب البوذية القانونية المقدسة أن الجموع طلبوا من بوذا آية كي يؤمنوا به [1] .	– وجاء في كتب النصارى الدينية المقدسة أن الجموع طلبوا من يسوع علامة (أي آية) ليؤمنوا به .

---

(١) مختارات من كتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) ، محمد طاهر التنير – الفصل الثامن عشر – مقابلة النص الصريح بين بوذا ويسوع المسيح من ص١٣٢ :١٤٧ – مكتبة ابن تيمية بالكويت .

وهناك مقارنات أخرى أجراها السير أرثر فندلاي بكتابه (صخرة الحق) حيث سجل به اكتشاف لوحة أثرية في بابل تثبت أن إلههم (بعل) كان يتصف بنفس الصفات التي ألحقت بعيسى عليه السلام ، وأن هذه اللوحة كتبت حوالي ٢٢٠٠ ق . م . كما قارن أيضا بين المسيحية وعقيدة الفراعنة في أوزوريس (من كتاب محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن) ص٧٩–٨١ – إبراهيم خليل أحمد – مكتبة الوعي العربي بمصر .

خاتمة :

لقد حققنا – بعد هذا العرض الوجيز والموجز للبوذية – بعض الأهداف على طريق دراستنا للأديان ، منها :

١ – زيادة الإيمان بأن الإسلام يتفوق على غيره ﴿ **ليظهره على الدين كله** ﴾ وقد لاحظنا ذلك حتى في الجزئيات والفروع ، فإن المذهب الأخلاقي البوذي بدا متهافتا أمام المذهب الأخلاقي في الإسلام .

٢ – تسليح الدعاة بالمعارف اللازمة لمعرفة المدخل إلى دعوة أصحاب الأديان الأخرى إلى الإسلام ، أى معرفة المحاسن ، والمساؤي في عقائدهم ، وتقديم البديل الأكثر إقناعا وواقعية وملاءمة للإنسان أيا كان عصره وبيئته ، وبخاصة ونحن في عصر يتشوق أهله لمعرفة الحق وتحقيق الحياة الطيبة في هذه الدنيا بعد إخفاق الأنظمة الوضعية يقول جارودي : (فللإسلام اليوم إمكانيات واحتمالات للانتشار في العالم أكثر حتى من الوقت الذي وصل فيه إلى ذروته . فالمنهج الأمريكي والمنهج السوفيتي قد أثبتا فشلهما . أما الإسلام فهو يمنح الإنسان الأمل في عالم يسوده الآن الخوف حتى على استمراره وعلى بقائه)[1] .

٣ – إزالة الغشاوة عن أبصار البعض المفتونين بكثير من النحل التى تتمتع ببريق زائف كالبوذية والتحذير من الوقوع في حبائلها تحت ستار رياضة (اليوجا)[2] ، أو توهم تحقيق السعادة عن طريقها ، خاصة إذا جاءتنا عن طريق الكتاب الأوروبيين والمروجين لأفكارهم ترفل في ثوب المديح الزائد . ويفيدنا الاستشهاد هنا برأي الأستاذ العقاد حيث يقول : (وعلينا أن نحترس من مغالاة الشرّاح الأوربيين بهذه

---

(١) من محاضرته التى ألقاها بجامعة الأزهر بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفى بعنوان (مستقبل الإسلام فى الغرب) ص٤٩ من كتيب صادر من وزارة الإعلام بمصر – ترجمة الدكتور رجاء ياقوت رئيس القسم الفرنسى بكلية الدراسات بجامعة الأزهر .

(٢) يذكر الدكتور أحمد شلبى أن (منظمة اليوجا) ذات صلة بالصهيونية ، وهى منظمة تدّعى أنها تباشر ألوانا من الرياضة البدنية والتدريبات الروحية أوما يسمى (باليوجا الروحية) . وأهم ماتعنى به محاربة الأديان ، والعمل على تحقيق مايسم (٢)الرباط الإنسانى ، ثم يصلون بذلك إلى الدفاع عن اليهود باسم الإنسانية . ص ٣٥٩ من كتاب(اليهودية) ط١٩٧٨م/ مكتبة النهضة المصرية . وينظر أيضا كتاب (اليوغا فى ميزان النقد العلمى) للدكتور فارس علوان

الفلسفة البوذية . لأنهم يتعصبون لكل منسوب إلى الأرية على اعتبارها عنصر الأوربيين الأقدمين والمعاصرين ، فقد رفعوها فوق قدرها بلا مراء)[1] .
٤ – وهناك ملاحظة أخيرة لابد من ذكرها ، إذ تحولت البوذية عندما انتقلت من الهند إلى اليابان ، فبعد أن كانت في مصدرها الأصلي مليئة بالتشاؤم والانقباض والحزن ، تحولت في اليابان إلى (ديانة مرحة ضاحكة متفائلة ، فيها بشر وغبطة وفرح ، وحفلات واجتماعات ومعابد وإلهيات وبهجة وأعياد وفيها وعد للصالحين بالجنة وللأشرار بالجحيم)[2] .

وهذا يثبت أنه في غياب عقيدة محفوظة بالوحي ومصونة بمنهج ثابت تتلوّن العقائد بمزاج الأمم التي تدين بها .

كذلك لا يفوتنا في النهاية التحذير من رياضة (اليوجا) التي أغرم بها البعض تقليداً ومحاكاة – لا سيما عندما دارت دورتها وانتقلت من الشرق إلى الغرب بزعم تحقيقها للشباب الدائم والصحة والسعادة ، إذ أثبت الدكتور فارس علوان – وهو طبيب متخصص – أنها على النقيض من هذا ، فهي علميا وعملياً تؤدي إلى أضرار وأخطار تصيب الجسم ، وتقوض عقيدة التوحيد لأنها تلزم صاحبها السجود للشمس وترديد اسمها بانتظام : (وفيها تقليد للوثنيين ، وتضر بالصحة ، وتضيع الوقت ، وتدعو إلى التشبه بالحيوانات ، وقد يتردى ممارسوها في تعاطي المخدرات ...)[3] .

---

(١) (الله) – بحث فى نشأة العقيدة الإلهية ص٧٩ – ط دار المعارف بمصر عام ١٩٤٩م .
(٢) الديانات والعقائد فى مختلف العصور ، أحمد عبد الغفور عطار ص١٩٢ .
(٣) اليوغا فى ميزان النقد العلمى ، د. فارس علوان .

الفصل الرابع

الزرادشتية (أو المجوسية)

زرادشت بين الحقيقة والخيال :

تُعدّ الزرادشتية من أديان الفرس ونحل المجوس ، وقد فصّل المسعودي هذه الأديان ، فذكر منها ديانة الصابئة عبدة الكواكب ثم الزرادشتية ، وما تلاها من مانوية – نسبة إلى مانى وهو القائل بالنّور والبراءة من الظلمة ومزدكية – نسبة إلى مزدك وكان يدعو إلى المساواة في المال والنساء[1] .

وإذا أردنا الحديث عن زرادشت فسنجد أنفسنا أمام روايات مختلفة ، كالشأن عندما نفتقد الروايات التاريخية الموثّقة الأسانيد بطريقة علمية ، لذا فإننا أمام افتراضات حول حقيقة شخصيته وتاريخ حياته وعقائده ، اختلط فيها أحياناً الواقع بالخيال : فمن الباحثين من أنكر وجوده بالكلية ، واعتبره شخصية خرافية نسجت حولها الأساطير والروايات الخيالية التى لاسند لها من الواقع .

وفريق آخر خلط بين زرادشت وبين إبراهيم الخليل عليه السلام لاشتراكهما في اتجاه كليهما (إلى التأمل في كواكب السماء وملاحظة بزوغها وأفولها والانتهاء من هذا التأمل وهذه الملاحظة إلى أن كائنات هذا شأنها لايمكن أن تكون آلهة ، وما يتعلق بمحاربة كليهما لما كان يعكف عليه قومه من عبادة الكواكب وما يمثلها ويرمز إليها من أصنام ، وما يتعلق بإلقاء كليهما في النار وجعلها برداً وسلاماً عليه)[2] .

ويستبعد الدكتور وافي رأي هذا الفريق لعدة أسباب : منها أن زرادشت ظهر – في أصح الروايات – في القرن السابع قبل الميلاد ، على حين أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان ظهوره حوالى القرن السابع عشر قبل الميلاد . وأن إبراهيم عليه السلام

---

(١) منهج المسعودى فى بحث العقائد والفرق الدينية ، د / هادى حسين جمود ص١٤٤ مطبعة عصام بيغداد ١٩٨٤م (دار القادسية للطباعة) .

(٢) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ، د / على عبد الواحد واق ص١٢٦ /١٢٧ .

نشأ في بلدة أور ببلاد الكلدان وإنه سامي الجنسية على حين أن زرادشت نشأ بأذربيجان في بلاد إيران ، وأنه آرى الجنسية ، وأن القرآن الكريم يحدثّنا عن رحلة إبراهيم عليه السلام إلى مكة المكرمة ، وإسكانه فيها ابنه إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر وبناء الكعبة ، بينما يدل تاريخ زرادشت على أنه لم يرحل إلى بلاد الحجاز ، ولم تكن له صلة بمكة المكرمة ، ولا بالبيت الحرام .

وبعد استبعاد رأي الفريقين السابقين ، يصبح من الأرجح الأخذ برأى فريق ثالث يذهب إلى أن زرادشت شخصية حقيقية غير إبراهيم عليه السلام ، وأنه إيراني الجنسية ولد حوالي ٦٦٠ ق .م بأذربيجان ، وإنه مات قتيلا في بيت من بيوت النار في بلخ حوالي سنة ٥٨٣ ق .م أثناء إغارة الطورانيين[(١)] .

وكتاب الزرادشتية المقدّس هو (زندا فستا) ، والكلمة مركّبة من كلمتين : (زند) ومعناها شرح ، وافستا : النص الأصلي ، فمعنى الكتاب النص والشرح ، والكتاب (يتضمن التاريخ الأدبي لأمة في مدة طويلة من الزمن ، مثلهم في ذلك مثل كتاب اليهود المقدّس أى العهد القديم . ومن المعروف أن هذا الكتاب المقدس ظل قرونا طويلة يعتمد على الرواية الشفوية قبل التدوين)[(٢)] .

وعندما دالت دولة الفرس للمسلمين الأوائل ، وبدأت تتسرب بعض الأفكار أو مانسميّه بالغزو الثقافي – كما سنرى – إلى المجتمع الإسلامى ، كان من أبرز الآثار التى سجّلها المسعودي المؤرخ هذا التمييز بين الأصل والشرح ، أو النص والتأويل . يقول المسعودي (وكان من أورد في شريعتهم شيئاً بخلاف المنزّل الذي هو البستاه ، وعدل إلى التأويل الذي هو الزند ، قالوا : هذا زندي ، فأضافوه إلى التأويل ، وإنه منحرف عن الظواهر من المنزّل إلى تأويل هو بخلاف التنزيل ، فلما أن جاءت العرب أخذت هذا المعني من الفرس ، وقالوا : زنديق ، وعرّبوه والثنوية هم الزنادقة ،

(١) المرجع نفسه ص١٢٨ .
(٢) فى العقائد والأديان – الديانات الكبرى المعاصرة د / محمد جابر عبد العال ص١٦٤ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م .

وألحق بهؤلاء سائر من اعتقد القدم ، وأبي حدوث العالم)[1].

وإننا لنجد تضارباً كبيراً بين الباحثين في الديانات عند تناولهم للعقائد الزرادشتية ، وربما يرجع ذلك إلى عدّة عوامل ، منها صعوبة قراءة كتابها المقدس ، (فإذا حاول الإنسان قراءة الأفستا فإنه يدرك لأول وهلة أن قراءتها مستحيلة ، ذلك لأن الفصل فيها لا يتلاءم ليكون وحدة ، ولا يتسّق أى جزء مع جزء آخر ، فهى أجزاء مفكّكة يتلو بعضها بعضا يصدق عليها القول أنها مجموعة جمل مفككّة لاينظّمها عقد واحد)[2] .

ومنها النقص في الأسانيد والاضطراب في الروايات التي نقلت لنا عقيدة زرادشت ، مع اختلاف وجهات النظر بين من رأي أن عقيدته مستوحاة من تأملاته في الحياة والصراع الدائر بين الخير والشر ، ومن رأى أنها جاءته بطريق الوحى باعتباره نبياً !

وممن يميلون إلى الرأي الأول جيمي هنري برستد الذي تحدث عن عناصر العقيدة الزرادشتية بقوله (تأمل زرادشت الصراع المستمر بين الخير والشر ، هذا الصراع الذي كان يراه حوله أينما سار . . وبدا له أن هذا الصراع قائم بين مجموعة من قوى الخير ومجموعة من قوى الشر ، واعتقد أن الخير ليس إلا كائناً إلاهيا أطلق عليه أسم (مازدا) الذي كان اسما لاحد الآلهة القدامى ، أو (أهورا مازدا) ومعناها رب الحكمة ، الذي رأي فيه أنه هو الله . . ويقف ضد أهورا مازدا وأعوانه جماعة شريرة قوية اطلقوا عليها اسم (أهريمن) ، وهو الذي أخذه اليهود ثم المسيحيون من بعدهم وعرفوه تحت اسم الشيطان)[3] .

أما الرأي الثاني الذي يستند إلى بعض النصوص المرجّح أصالتها وتصور زرادشت على أنه نبي ، فقد ورد فيها ما يدحض الرأي الأول حيث يقول فيها مناجياً ربه

---

(١) منهج المسعودى فى بحث العقائد والفرق الدينية ، د/ هادى حسين ص١٤٨ .

(٢) فى العقائد والأديان للدكتور محمد جابر عبد العال ص١٦٤ .

(٣) انتصار الحضارة ، جيمس هنرى برستد ترجمة د /أحمد فخرى ص٢٦٠ /٢٦١ نقلا عن المصدر السابق .

(إلى أي أرض أفر ؟ وإلى أي اتجاه يكون المهرب ؟ إلى النبلاء والسادة وهم يقاطعونني ؟ . . أم إلى النّاس وهم غير راضين عني ؟ ، أم إلى حكّام الأرض الخونة ؟ كيف أبلغ رضاك يا أهورا مازدا)[١] .

العقيدة بين زرادشت والأتباع :

يذكر الشهرستاني أن زرادشت دعا إلى التوحيد وإبطال الأصنام حيث أورد وصفاً كاملاً لعقيدته ، ملخّصاً إياها في عبارة قال فيها (وكان دينه عبادة الله والكفر بالشيطان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الخبائث) .

كذلك فصّل عقيدته حيث وصف الله تعالى بأنه واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند ، وأنه خالق النور والظلمة ، ولا يجوز أن يُنسب إليه تعالى وجود الظلمة .

أما عن نظرته للعالم أو المخلوقات فهى خاضعة لمبدئي النّور والظلمة ، حيث فسّر عنصري الوجود من نور وظلمة وخير وشر . فالأول أى النور – له وجود حقيقي – والثاني – أى الظلمة والشر – ليس لهما وجود حقيقي ، مثل ظل الشخص حيث يرى أنه موجود ولكن ليس وجوداً حقيقيا كوجود الشخص نفسه .

كذلك يفسّر حركة الموجودات بواسطة نظريته عن النور والظلمة كأصلين متضادين ، فالخير والشر ، والصلاح والفساد ، والطهارة والخبث ، إنما حلت حسب تفسيره من امتزاج النور والظلمة ، ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم . والباريء تعالى هو الذي مزجها وخلطهما لحكمة رآها في التركيب .

وبينما يحدّثنا عن امتزاج النور والظلمة ، ينقل عنه أيضا أنهما يتصارعان ويتغالبان ، إلى أن يغلب النور الظلمة ، والخير الشر ، ثم يتخلص الخير فيرقى إلى عالمه الأعلى ، وينحط الشر إلى عالمه الأسفل .

وينسب إلى زرادشت أيضا تكليف الإنسان بحركات ثلاث هي :
١ – الاعتقاد .

---

(١) فى العقائد والأديان ص١٦٦ .

٢ - القول .
٣ - العمل[1] .

وإذا قصّر الإنسان فيها خرج من الدين والطاعة ، إما إذا جرى في هذه الحركات على مقتضى الأمر والشريعة فاز الفوز الأكبر

ويبدو من عرض الشهرستاني للزرادشتية أنه يلتزم بالوصف ويقرر مشاهداته ويسجل معلوماته المستقاة من مصادرها إذ يقول (هذا ما وجدته من مقالات أهل العالم ونقلته على ما وجدته ، فمن صادف خللاً في النقل فأصلحه ، أصلح الله عز وجل بفضله حاله ، وسدد أقواله وأفعاله) .

لذلك فإن تمييزه بين عقيدة زرادشت وعقيدة أتباعه لابد أن تؤخذ في الاعتبار عند النظر في تعليل الاختلاف بين العقيدتين ، فنلاحظ أن الشهر ستاني ميّز بين زرادشت الذي نص على أن للعالم قوة إلهية هي المدبّرة لجميع ما في العالم ، وبيْن الفرق المنتسبة للزرادشتية بعقائدها التفصيلية الخارجة عن هذا الأصل .

ونحن نرى أن هذا التغيير ربّما استحدث بفعل الأتباع والمريدين - لا سيما المتأخرين منهم عن عصر زرادشت - وهذه هي الآفة الغالبة على معظم أصحاب الديانات والعقائد والنظريات الفلسفية ، إذ تحدث على أيدي الأتباع تحولات ملحوظة ، منها ما يتناول الفروع ، ومنها ما يتحول عن الأصول الجوهرية ويقطع الصلّة بما قاله واعتقده الأوائل فلا يبقى إلاّ الإسم والنّسبة ، والدليل على تحول الزرادشتية أن الاعتقاد في النار أخذ يتدرج خطوة خطوة ، فبعد تعظيمها في أول الأمر بالاتجاه إليها وإلى الشمس ساعة الصلاة لأن (النور) رمز الإله في زعمهم ، انحرف بهم طائفة رجال الدين إلى اتخاذها بذاتها قبلة في العبادات ، ثم جاءت الخطوة الأخيرة فعبدوا النار ، وصاروا يبنون لها الهياكل والمعابد ، بحجّة أنها جوهر شريف علوى ، وإنها لم تحرق الخليل عليه السلام ويظنون أن تعظيمها سيُنّجيهم من عذابها يوم القيامة !

---

(١) الملل والنحل .

ومن المؤيدين لهذا الرأي أيضا في العصر الحديث الدكتور على عبد الواحد وافي إذا يري أن الديانة الزرادشتية كانت في أصلها ديانة توحيد ، تدعو إلى عبادة إله واحد هو « آهورا مزدا » وتحارب الشرك وعبادة الأصنام والكواكب وقوى الطبيعة ، فأهورا مزدا يطلق في (البستاق) على الذات المتصّفة بصفات القدم والبقاء والقدرة والإرادة والعلم ، وإنه يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار ، ويعلم حقيقة ما في السماوات والأرض ، ولا يصل أحد إلى معرفة حقيقته . بل ان اسم (أهورا مزدا) يدل على معناه في الفارسية على ذلك ، فهو مركب من ثلاث كلمات وهو (أهو) و (را) و (مزدا) ومعناها على الترتيب :

أنا – الوجود – خالق ، أى أنا وحدي خالق الوجود[1] .

وجاءت المرحلة التالية في تغيير العقيدة بسبب دخول الرّمز على الذات الإلهية في الزرادشتية حتى تقوى الجماهير على إدراكها باعتبارها ذاتاً روحانيةً خالصةً مجردةً من شوائب المادة ، فأشير إليها برمزين أحدهما سماوي وهو الشمس ، والآخر أرضي وهو النار (فكلاهما عنصر متلألئ مضيء طاهر مطهر لا يتطرّق إليه الخبث ولا الفساد ، وتتوقف عليه الكائنات ، وهذه الصفات تشبه طائفة من صفات الخالق نفسه ، وترمز إليه)[2] .

وانتهت الزرادشتية كما بيّنا آنفا إلى تقديس النار في ذاتها وعبادتها بعد أن كانت رمزاً للإله[3] .

منهج العامري (٣٨١هـ) في دراسة الزرادشتية :

بقدر اتساع منهج دراسة الأديان وشموله ، بقدر ما يتمكن الباحث من تقويمها ، فإن بعض العلماء من ينظر إلى الأديان بأفعال المتدينين ، ومن يقومها بعقائدها وتصوراتها ، وهناك من يقدّرها بقيمها ومثلها العليا ، وما تحث عليه من فضائل

---

(١) الأسفار المقدسة ص١٤٣ .

(٢) نفسه ص١٤٣ /١٤٤ وترجمة معنى الإله نقلا عن كتاب(زرادشت الحكيم) لحامد عبد القادر .

(٣) نفسه ص١٤٦ .

الأعمال وترك رذائلها . وهناك من ينظر إلى آثارها في إقامة المجتمعات وبناء الحضارات .

وربما انفرد عالمنا العامري بتقويم الزرادشتية من هذه الجوانب كلها ، مقارنا بينها وبين الأديان الستّة الواردة بالآية الكريمة ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة** ﴾ [سورة الحج :١٧] .

ولكن تظهر جدّة الدراسة التى أجراها العامرى في تناوله للعنصر السياسي التاريخي (ولذلك يشير إليها على أنها « الأديان الستّة التى لها خطط وممالك » . أي أن كل دين منها قد كون مجتمعا ، وأقام دولة في فترة من فترات التاريخ)[١] غير أن المجتمعات التى نشأت عن الأديان الستة تختلف فيما بينها ، فلما جاء الإسلام ناصبته باقي الأديان العداء لأسباب مختلفة ، منها أنه أطاح بنفوذ رجال الدين كما أنه ألغى النظام الطبقي الجائر ، لاسيما في المجتمع الفارسي ، حيث قسّم ملوك الفرس رعاياهم إلى خمس طبقات أعلاها رجال الدين يليها الوزراء ثم قوّاد الجيش ثم الكتاب ثم الشعب أو الطبقة العاملة .

يقول العامري (إن دين الإسلام لما كان ناسخاً للأديان كلها وكان ملكه قادحاً في الرياسات بأسرها ، وقد امتلاءت القلوب غيظاً عليه ، لهدمه كراسي علماء الكتابيين ، وطيّه مقاعد الملوك والسلاطين ، ثم كان مع ذلك في نهاية الحُسن) ويعني بذلك أنه جاء بمبادئ تهدم هذه المزايا المصطنعة من وضع البشر ، فقال تعالى : ﴿ **إن اكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [الحجرات : ١٣] .[٢]

وقال الرسول ﷺ : « إن النّاس كلّهم لآدم وآدم من تراب » وقال أيضا « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمّتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم»[٣]

---

(١) مقدمة كتاب العامرى(الإعلام بمناقب الإسلام) للدكتور أحمد عبد الحميد غراب ص٤٣ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بمصر ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م .

(٢) نفسه ، المتن ص١٩٤ .

(٣) نفسه ص١٧٦ .

وإذا كان الفرس قد أقاموا مدنية أيام الأكاسرة ، إلاّ أنهم ابتلوا – في رأي العامري – بمحنتين عظيمتين لايدانيهما شيء من المحن الدنيوية في الفظاعة والنّكر :

أحداهما : عوق الموابذة (وهم أعلى طبقة من رجال الدين الزرادشتي) لدهمائهم – بالقهر – عن اقتناء الحكمة الإلهية ، أى احتكارهم لتفسير الدين ومنع العامة من النظر والاستدلال . ويفسر العامري هذا الاحتكار بحرصهم على الإبقاء على نفوذهم وسيطرتهم على العامة ، وحتى لا يكتشف الناس – إذا ما نظروا وتحققوا – زيف اعتقادات زرادشت (وكان سببه أن زرادشت المتنبّي لمّا أسمى لهم في الأبواب الاعتقاد بتلك الأصول الدالة على نزارة حظه من الحكمة للنظرية : نحو كون العالم من قديمين ، وحول جبلته من امتزاج الضدين ، وأنواع هذيانه في العفاريت والشياطين ، وخطئه الفاحش في شكل الأرض وتخطيط الأفلاك – صيّرهم بالمأخذ التقليدي مزجورين عن الحكمة الإلهية ، تحرزًا من أن يتنبّه الناظر فيها ، والمتحقق لبراهينها ، على سخافة دعاويه)[1] .

والأخرى : التمييز الطبقي ، فإن طبقاتهم بأسرهم كانوا مضطهّدين بسياسة الاستعباد ، ويزيدنا البيروني إيضاحا فيصف النظام الطبقي الصارم الذي طبّقه الملوك القدماء ، فكانوا يلزمون كل طبقة ما إليها من عمل أو صناعة أو حرفه ، ولا يرخّصون لأحد في تجاوز رتبته ويعاقبون من لم يكتف بطبقته[2] .

إن الفكرة التى تنبّه إليها العامري سبق بها عصره – لا لأنه عرف فكرة المساواة التى نصّ عليها الإسلام – فهى مطروقة منذ نزول الوحى ، وطُبقّت في العصور الأولى ، ولكن العامري تنبّه إلى صلة العقيدة الدينية بالبنية الإجتماعية ، وقد ثبت أنه بغير الدين الحق لا تتماسك المجتمعات ، بل تظهر فيها إحدى الآفتين : إما النظام الطبقي المرزول الذي وجدناه في المجتمع الفارسي وقيام فئة بالإمساك بزمام الأمور

(١) نفسه ص١٧٤ ونلاحظ أنه اعتبر زرادشت من المتنبئين الكذبة !
(٢) نفسه ١٧٥ وتعليق محقق الكتاب د / أحمد عبد الحميد غراب .

في مجتمعاتها ، والتسلط على غيرها من الفئات بوسيلة أو بأخرى ، أو التعرض للتفتت .

وبتطبيق ذلك على مجتمعاتنا المعاصرة نجد أنموذجا متحققا في المجتمعات الغربية :

ويتلخصّ التحليل العلمي الذي قام به الدكتور حسين مؤنس إلى أن الدين جزء من البِنْية ، بل هو نواة البِنْية نفسها ، **فهو وحي من الله وإرادة إلهية لا ظاهرة اجتماعية أو فكر بشري** . وعلى ضوء افتقاد هذه البنية بهذا المفهوم ، فإنه بالنظر إلى المجتمعيْن الروسي والغربي ، نجد أن كليهما استعاض بالبنية الدينية وسائل أخري ، فلم تصل روسيا إلى ما وصلت إليه بواسطة الماركسية – كما زعمت من قبل (ونحن الآن نراها تتهاوى) – بل بالمذابح التى أنزلها الشيوعيون بالناس في المجتمعات التى يسودونها ، وبتخلخل البنية الدينيّة في الحضارة الغربية بدأ الانحدار الذي يعللّه أرنولد توينبي بسبب التوسع والسيطرة على البشر جعلت منها ما يسمّيه (الحضارة العالمية أو الجماعة العالمية) نتيجة لابتلاعها لكل ما استطاعت ابتلاعه من عناصر الحضارة المعاصرة ، فدخلت في تركيبها اليوم عقائد غير مسيحية مثل **البوذية والهندوكية** ، وظواهر حضارية غير غربية مثل الموسيقى الزنجية ، وهى عناصر من حضارة البدائيين .. وأخذوا من الهند والصين أشياء **مثل اليوجا والكاراتية** وكل ذلك ناشيء من أن بنية مجتمعتهم تخلخلت وفقدت تماسكها الأول[1] .

ويرى الدكتور حسين مؤنس أن حالة التقلقل في قواعد المجتمع نتيجة فساد البنية أدّت إلى محاولة البحث عن وسائل أخرى ما دامت المناعة الداخلية للمجتمع قد ضعفت ولم تعد كافية للحفاظ على المجتمع ، فاتجهت الكتلة الغربية إلى الحماية الخارجية عن طريق التسلحّ والإنفاق في غير حساب على غزو الفضاء وما إلى ذلك .

ونعود إلى العامري في كتابه (الإعلام بمناقب الإسلام) الذي التزم بمنهج المقارنة متتبعا الأدلة ، باحثاً عن آثار الدين الحق وثمراته على الفرد والمجتمع ، مميّزا بين ذلك وبين صور التدين المنحرف وآثاره الاجتماعية ، وقد شغل أيضا بتعليل مواقف

---

(١) التاريخ والمؤرخون ، د / حسين مؤنس ص٤٤١ /٦٤١ باختصار ط دار المعارف بمصر ١٩٨٥ .

الخارجين على الدين الصحيح أو المنكرين له ورأى أنهم لايتعدون أسبابًا ثلاثة :

١ – المشرك وأكثر آفاته هو ما يظهر لحاستيّ سمعه وبصره في الأوثان المنحوتة من أنواع الأعجوبات ، ثم (بمرور الزمن يتطور تعظيم الأصنام إلى عبادتها)[١] .

٢ – الملحد بسبب استحباب اللذّات الحسية التى تعميه عن تأمل العواقب وتدعوه إلى إشباع نفسه بالشهوات .

٣ – الكتابي وأكثر آفاته هو ما وقع في كتبهم من التأويلات المختلة وتسلط على إنجيلهم من الأهواء المضلّة .

ويضيف إليهم كل من المجوس والثنوية الذين يشبهّون المشرك مرة ، والكتابيّ مرّة أخرى[٢] .

أثر الفرس في بعض عقائد الشيعة :

يبدو أن بعض الفرس ظلوّا مستمسكين بعقائدهم الأصلية ، محافظين على شعائرهم ، حتى بعد اعتناق الأغلبية للإسلام ، وكان هذا دأبهم منذ غزو اليونان لبلادهم ، فإن الإسكندر الأكبر عندما غزا بلاد الفرس بعد موت زرادشت بنحو ثلاثمائة عام ، مزّق الأفستا وأقام بدل الزرادشتية عقيدة اليونان ، ولكن الشعب الفارسي ظل محافظاً على ديانته يعلمّها سراً لأبنائه وأحفاده .

وبعد إنتهاء الاستعمار اليوناني – أى نحو خمسمائة عام – جمع الشعب ما تبقى من الأفستا في كتاب واحد ، بالرغم من ضياع أجزاء كثيرة منها ، وبنى معابد جديدة للنيران[٣] ، مما يدل على أن الغزو اليونانى لم يفت فى عضدهم ، ولم يستطع اجتثاث العقائد المجوسية من قلوبهم بالرغم من مضي نحو خمسة قرون . (وبعد أربعمائة عام أخرى غزا العرب فارس وجاءوا بدينهم الجديد الذي أرسل به محمد ﷺ وهو الإسلام ، ولكنّ عددا من الناس في إيران فضلوا الموت على اعتناق الدين

(١) الإعلام بمناقب الإسلام ص١٦٦ /١٦٧ وتعلق د /غراب .

(٢) نفسه ص١٦٧ .

(٣) قصة الديانات : سليمان مظهر ص١٣٨ ط دار الوطن العربى ، بدون تاريخ .

الجديد ، وإن فضل عدد آخر منهم اعتناق الإسلام . أما الآخرون فقد هربوا إلى بلاد سمح لهم فيها بممارسة طقوس عبادتهم كما يشاءون)[1] .

لذلك فإن بعض الباحثين في عقائد فرق الشيعة – لاسيما الباطنية – يلاحظون تشابهاً بينهم وبين الفرس ، بل أطلق اسم (المجوس) على (القدرية) أيضا كما سنرى :

قال الأستاذ أحمد أمين (والحق أن التشيع كان مأوى لجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد ، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية .. وتستّر بعض الفرس بالتشيّع وحاربوا الدولة الأموية وما في نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم ، والسعي لاستقلالهم) ، ويستند أيضاً إلى ما ذهب إليه المقريزي في تعليله لاختفاء بعض الفرس وراء الإسلام بعامة والتشيّع بخاصة لمحاربة الإسلام ، لأنهم كانوا أهل ملك وعلوّ على جميع الأمم ، يعدّون سائر الناس عبيداً لهم ، فلما انتصر العرب المسلمون عليهم وكانوا يعتبرون العرب أقل الأمم خطراً ، تضاعفت لديهم المصيبة ، فأرادوا كيد الإسلام بالمحاربة عن طريق الحيلة لعجزهم عن المواجهة الصريحة المباشرة (فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبّة أهل البيت واستبشاع ظلم عليّ ثم سلكوا بهم مسالك شتى أخرجوهم عن طريق الهدى)[2] . ولكنهمّ لو فحصوا مادار حول الخلافة منذ تولاها أبو بكر ، لعلموا أن عليًّا لم يُظلم كما يتوهمون ، بل إنه بايع وأقرّ بخلافة الخلفاء قبله رضى الله عنهم جميعا .

ويرى المستشرق « دوزي » أن الشيعة كانت في حقيقتها فرقة فارسية مستنداً إلى أن الفرس لم يعرفوا غير مبدأ الوراثة في الحكم ، لهذا اعتقدوا أنه مادام محمد ﷺ لم يترك ولداً يرثه ، فإن عليًّا – رضى الله عنه – هو الذي يجب أن يخلفه وأن الخلافة يجب أن تكون وراثية في آل على ، ويضيف أيضا أنهم اعتادوا أن يروْا في

---

(١) نفسه ط ٣١٩ .

(٢) فجر الإسلام ، أحمد أمين ص٢٧٦ /٢٧٨ نقلا عن(الشيعة والتشيع – فرق وتاريخ) ، احسان الهى ظهير ص٤٠١ ط ادارة ترجمان السنه بباكستان ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

ملوكهم أحفاداً منحدرين من أصلاب الآلهة الدنيا ، فنقلوا هذا التوقير الوثني إلى علي وذريته[1].

ولا نجد للشيعة سنداً يُعتد به في هذا الانحراف العقدي ، ولو درسوا التاريخ بأمانة لوجدوا الاعتراض التّام عليه إذ عبّر المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عن دهشته واعتراضه على اتخّاذ الفرس بعضهم أرباب بعض حيث كان الأكاسرة يدّعون أنه يجري في عروقهم دم إلهي ، ولذلك علق المغيرة على ما لاحظه من تلك المظاهر مخاطباً رستم قائدهم : (وإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نفعله) معَبّراً بذلك عن عقيدة التوحيد التى تجعل من المسلم عبداً لله تعالى وحده .

ولما زحفت تأثيرات الزرادشتية على العالم الإسلامي في عصور متأخّرة ، رأينا ابن تيمية يحذّر من الوقوع في براثنها مذكّراً المسلمين بالحديث الصحيح « لتأخذن مأخذ الأمم قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا : فارس والروم ؟ ، قال : فمن غيرهما » .

ويرى شيخ الإسلام أن هذا الحديث ينطبق على كلّ من اتخذ عقيدة أو سلك سلوكاً مشابها لهاتين الأمتين . ونحن نعلم أنهما في عقيدتهما يعبّران عن الشرك في جميع صورة ، والمتدبّر للقرآن الحكيم يدرك لِمَ لمْ يُعن بالرد على منكرى وجود الله عز وجل -؟ وكأنه لم يفرض وجودهم أو كأنه نظر إليهم على أنهم خارجون عن نطاق البداهة والعقل ، ولذلك لم يوجّه إليهم قولاً يشعر بأن لهم وزن ، وإنمّا وجه حديثه الأكثر إلى المشركين مع الله تعالى آلهة أخرى .

مكانة الشيطان ودوره في الزرادشتية :

كان للفصل القاطع بين الخير والشر والتمييز بين فاعل كل منهما في العقيدة الزرادشتية الوثنية أثره في المغالاة في دور الشيطان وتأكيد فاعليته ، فممّا عُرف عن

(١) نفسه ص٣٩٤ ويرى ذلك أيضا المستشرق الألمانى ولهوزن المتعاطف مع الشيعة فيذكر انه لا سبيل للشك فى أن آراء الشيعة كانت تلائم الإيرانيين (نفسه ص٣٩٤)

زرادشت أيضا اعتقاده (أن « أهورا » هو الخالق أو هو الحياة ، أو هو خالق الحياة أو هو الخير ، وأن (مازدا) هو خالق المادة أو هو الشر أهو **الشيطان** أو مدمّر الحياة أو هو المميت)[1] .

هذا فقد وصف الأديب الإيطالي جوفاني بابيني ما فعله زرادشت بقوله (إن زرادشت هو أول من ارتفع بمستوى الشر في التاريخ ، فهو الذي جعل **الشيطان شريكا في الخلق** ، وملحاً لكل طعام ، ومرضاً لكل جسم ، ولهيباً يحرق كل شيء)[2] .

ولتصحيح هذا الوضع الخاطيء الذي التبس على الكثيرين **فلابدّ من الاستنارة بعقيدة** أهل السنة والجماعة إذ يتضّح على ضوئها أن الإنسان هو الفاعل الحقيقي للشرّ إذا ما اقترفه وفعله ، وليس الشيطان هو الفاعل ، فللشيطان الهاتف والوسوسة فقط ، ولكنه لا يمسك بتلابيب الإنسان أو يدفعه مستخدما قوّته أو يجذبه من يديه أو رجليه كل ما هنالك أنه يغري ويغوي ويظل يهتف حاضاً على فعل الشر .

أما (الشيطان) الوارد في الآية ﴿ **وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي** ﴾ ، فإن العلاّمة ابن مفلح يفسرّ السلطان المنفى في هذه الآية بالحجّة

---

(١) ديانات أخرى ، أنيس منصور ص٢٦ /٢٧ .

(٢) نفسه ص ٣١ .

وقد وجد المؤلف صدى لزرادشت عند الفيلسوف الألمانى (نيتشه) بكتابه (هكذا تكلم زرادشت) ، الذى نسب أقوالا إلى زرادشت لم يقلها ولكنه – أى نيتشه – أراد (أن يتجاوز الإنسان إلى عبادة الإنسان الأعلى . إلى عبادة النبل والقوة والسمّو فى الإنسان نفسه . . أليس الإنسان أسمى مخلوقات الله ؟ إن عبادة الإنسان للإنسان هو تقديس لأقدس ما خلق الله) . ومن المعروف أن نيتشه كان فيلسوف القوة ومنظّر النازية . (نفسه ص٣٣) .

ولابد من الإشارة أيضاً فى عجالة إلى العمل الأدبى المشهور للشاعر الألمانى (جوته) الذى صور فى رواية شعرية موضوع غواية إبليس لآدم – عليه السلام – وانتقل به إلى الأرض مصوراً مأساة الإنسان مع الشيطان معبرا عن ذلك فى الصراع الذى دار فى كيان (فاوست) العالم المسّن ، حيث انشطر كيانه نصفين وأصبح (مفيستوفيليس) هو الشيطان وفاوست هو (الإنسان) ويصوّر انتصار الشيطان فى النهاية بعد أن أغراه بفتاة جميلة ، ومات العالم فى النهاية على أسوأ صورة ، لأنه باع روحه واتبّع خطوات الشيطان .

والبرهان ، استناداً إلى قول ابن عباس (إني ما أظهرت لكم حجة إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي وصدقتم مقالتي واتبعتموني بلا برهان ولا حجة) . وأما السلطان الذي أثبته الله تعالى في قوله : ﴿ **إنما سلطانه على الذين يتولّونه** ﴾ فهو تسليطه عليهم بالإغواء والإضلال وتمكنّه منهم بحيث يؤزهم إلى الكفر والشرك ويزجهم إليه كما قال : ﴿ **ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزّا** ﴾[1] .

ولكن لا يحملنا ذلك على الاستهانة بالشيطان ، أو التهوين من شأنه بل ينبغى الحذر منه والتحصن ضدّه بأنواع الأدعية والأذكار الواردة في السنة . يقول ابن مفلح (اعلم أن الشيطان يقف للمؤمنين في سبع عقبات : الكفر ، فإن سلم منه ففي عقبة البدعة ثم في عقبة فعل الكبائر ثم في عقبة فعل الصغائر ، فإن سلم منه ففي عقبة فعل المباحات فيشغله بها عن الطاعات ، فإن غلبه شغله بالأعمال المفضولة عن الأعمال الفاضلة ، فإن سلم من ذلك وقف له في العقبة السابعة ، ولا يسلم منها المؤمن إذ لو سلم منها أحد لسلم منها رسول الله ﷺ وهى تسليط الأعداءِ الفجرة بأنواع الأذى)[2]

ولكن في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة لا يستقلّ الشيطان بفعلٍ ما بغير مشيئة الله تعالى وإرادته ، مع نسبة فعل الشر إلى الإنسان الفاعل حقيقة . ونكتفي بمثال واحد ضربه الأصفهاني في تفسير قوله تعالى : ﴿ **نحن قدّرنا بينكم الموت** ﴾ فإنه تنبيه أن ذلك حكمة من حيث أنه هو المقدّر ، وتنبيه أن ذلك ليس كما زعم المجوس

(الإسلام حضارة للدكتور حسين منصور ص ١٤ /١٥ واسم العالم فى الرواية الشعرية (مفيستوفيلس فاوستوسى) ط الدار السعودية بجدّه ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م .

(١) مصائب الإنسان من مكائد الشيطان ، ابن مفلح ص٤٩ الناشر على رحمى / دار مرجانة للطباعة بمصر ١٩٨٠م .

(٢) نفسه ص٦٩ .

وينظر مادة (شطن) بكتاب المفردات للراغب الأصفهانى ص٢٦١ إذ قال : (شطن : الشيطان النون فيه أصلية وهو من شطن أى تباعد ومنه بئر شطون وشطنت الدار وغربة شطون .

وقيل بل النون فيه زائدة من شاط يشيط احترق غضبا فالشيطان مخلوق من النار كما دل عليه ﴿ **وخلق الجان من مارج من نار** ﴾

=

أن الله يخلق وابليس يقتل)[1] .

المجوس ونفاة القدر (أو القدرية) :

وهذا ما أدىّ إلى تشبيه نفاة القدر (أو القدرية) بالمجوس ، وتضمنت كتب العقائد الإسلامية آراء علماء الإسلام في ذمّهم وبيان انحرافهم عن العقائد الصحيحة ، بل أثبت بعضهم صحة الحديث المروى عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « القدرية مجوس هذه الأمة » ورواه الترمذي وحسنه وصحّحه الحاكم[2] .

ومهما كان الاعتراف في تصحيح هذا الحديث فإن المتن يعني أن هؤلاء الذين ينفون القدر ، يثبتون للإنسان قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى ، ونفوْا أن تقع الأفعال بقدر الله تعالى وقضائه !

وفي حديث آخر روى مرفوعاً عن أبي هريرة رضي الله عنه (تكون قدرية ثم تكون زنادقة ثم تكون مجوس ، وإن لكل امة مجوسا وإن مجوس أمتي المكذّبة بالقدر ، فإن مرضوا فلا تعودوهم ، وأن ماتوا فلا تشهدوهم ولا تتبعوا لهم جنازة) . وقال الخطابي في شرح الحديث : « إنما جعلهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين : وهما النور والظلمة ، يزعمون أن الخير من فعل النور ، والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية ، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشرّ إلى غيره ، والله تعالى خالق الأمرين جميعا)[3] .

= ولكونه من ذلك اختص بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة وامتنع من السجود لآدم . قال أبو عبيدة (الشيطان اسم لكل عارم من الجن والإنس والحيوانات ، قال ﴿ **شياطين الإنس والجن** ﴾ . وقال ﴿ **الشياطين ليوحون** ﴾- ﴿ **وإذا خلوا إلى شياطينهم** ﴾) .

(١) المفردات ص٣٩٥ .

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للسفاريني ج١ ص٣٠٥ المكتب الإسلامي – بيروت مكتبة أسامة – الرياض

وإن كان ابن الجوزى قد عده من الموضوعات ، وذكر الحافظ المنذرى أن فى سنده انقطاعا . إلا أن السفارينى يميل إلى تصحيحه .

(٣) نفسه ص٣٠٥ وينظر أيضا الحديث المروى بصيغة أخرى مع اتفاق المضمون حيث ورد بلفظ (والمكذبّ بقدر الله) .

ويأتي فصل الخطاب على لسان شيخ الإسلام ابن تيمية الذي أوضح الموقف العقدي الصحيح بين فريقيّ الجبرية والقدرية ، مرجّحا عقيدة أهل السنّة والجماعة باستعراضه لقصة خلق الإنسان منذ البداية ، وطاعة آدم عليه السلام لربّه عز وجل وعصيان إبليس ، مبيناً أن الإيمان بالقدر لا يتنافي مع الإقرار بمسئولية الإنسان عن أفعاله .

قال ابن تيمية : (فمن نظر إلى الحقيقة القدرية وأعرض عن الأمر والنهي والوعد والوعيد كان مشابها للمشركين ، ومن نظر إلى الأمر والنهي وكذّب بالقضاء والقدر كان مشابها للمجوسيين ، ومن آمن بهذا وبهذا ، فإذا أحسن حمد الله تعالى ، وإذا أساء استغفر الله تعالى ، وعلم أن ذلك بقضاء الله وقدره ، فهو من المؤمنين . فإن آدم عليه السلام لما أذنب تاب فاجتباه ربه وهداه ، وأبليس أصرّ واحتج فلعنه الله وأقصاه ، فمن تاب كان آدميا ومن أصر واحتج بالقدر كان إبليسيا ، فالسعداء يتبعون أباهم والأشقياء يتبعون عدّوهم إبليس)(1) .

دور الفرس في الغزو الثقافي :

ونأتي أخيراً إلى بعض الأدلة التى نقدّمها لمن يشكك في الغزو الثقافي الغربي المعاصر ، إذ أنه في حقيقته كسلسلة في حلقات الغزو المتكررة في تاريخنا ، ولكن لم تستطع تفريغ نتاجها كاملا أيام سطوة الحضارة الإسلامية ، فحوصرت وضعفت فاعليتها بما لا يقاس بما أدته في العصر الحاضر بسبب سطوة الحضارة الغربية وانحسار حضارتنا .

وعلى أية حال فإننا نقدّم في هذا الحيز من البحث بعض الأدلة من تاريخ احتكاك ثقافتنا بثقافات الأمم قبلنا – كالفرس واليونان – وأمامنا علامات ودلالات على طريق الغزو الديني والثقافي ، رأينا شقّه الأول – أى الديني – في التشيع ، وسنراه الآن بشقه الثاني – أي الثقافي – في بعض الأعمال الأدبية ، وقد يجتمعان معاً ويختلطان بحيث يتعذر فرزهما :

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج٨ ص٦٤ طبعة الرياض .

كما قام العامري بإبراز حقيقة ربما كانت خافية من قبل ، وهى أن كتاب « الأدب الكبير » لابن المقفّع ، يحتوي على ترجمة ملخصة للوصايا الأخلاقية والآداب الموجودة في (الأوستا) – الكتاب الديني للزرادشتية[1] . ويذكر المسعودي ضمن الأخبار الموضوعة من خرافات مصنوعة بكتب منقولة إلينا من الفارسية والهندية والرومية مثل كتاب (خزار افسانه) وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية (ألف خرافة) والخرافة بالفارسية يقال لها أفسانه ، والناس يسمّون هذا الكتاب (ألف ليلة وليلة) ، وهو بخبر الملك والوزير وابنته وجاريتها وهما شيرزاد وينازاد)[2] .

كذلك أوْرد الجويني بكتابه (الشامل في الأصول) ما ذكرته طائفة من الثقات المعتنين بالبحث عن البواطن أن الحلاج والجبائي القرمطي وابن المقفع تواصوا على قلب الدول وإفساد المملكة واستعطاف القلوب ، وارتاد كل منهم قطراً ، فقطن الجبائي في الإحساء ، وتوغل ابن المقفع في أطراف بلاد الترك ، وقطن الحلاج ببغداد[3] .

وجاء ابن تيمية فنوّه بجهود العلماء قبله الذين قاموا بالكشف عن أستار هؤلاء المتآمرين على عقائد الإسلام وأمّته ، مبيّناً طريقتهم في التمويه والخداع ، حيث حاولوا إدخال عقائدهم الوثنية ضمن عقائد المسلمين بإلباسها ثوبا إسلاميًّا خادعاً لستر حقيقتها الباطلة . قال (وكذلك ذكر الكاشفون لأسرار القرامطة والهاتكون لأستارهم كالقاضي أبي بكر بن الطيب = ٤٠٣هـ – والقاضي أبي يعلي – ٤٥٨هـ – وطوائف كثيرة ما وجدنا مصداقه في كتب القرامطة من أنهم وضعوا لأنفسهم اصطلاحات روّجوها على المسلمين ، ومقصودهم بها مقصود الفلاسفة الصابئين والمجوس الثنوية)[4] .

---

(١) مقدمة كتاب (الإعلام) للدكتور أحمد غراب ص٦١ /٦٢ .

(٢) مروج الذهب للمسعودى ج٢ ص٢٦٠ ط دار الفكر ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

(٣) صيد الخاطر ابن الجوزى ص٥٤٨ ، وان صح النقد الموجه منه للجوينى فى الخطأ التاريخى ولكن ألا يتفق الثلاثة فى الهدف ولو اختلفت عصورهم ؟ ، مع العلم بأن زمان الحلاج والقرمطى متقاربان .

(٤) بغية المرتاد فى الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ص١٩٣ /١٩٤ تحيق ودراسة / موسى بن سليمان الدوينى – مكتبة العلوم والحكم ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

الفصل الخامس

- اليهودية
- تاريخ بنى إسرائيل .
- أهم الواقعات التاريخية لبنى إسرائيل .
- مصادر العقائد اليهودية .
- التلمود .
- التلمود كمصدر للفكر الماسونى .
- مسئولية الماسونية عن الثورات الكبرى فى العالم .
- بروتوكولات حكماء صهيون .
- الألوهية .
- الأنبياء .

اليهـــــــودية

تمهـيد :

إن ما يغنينا عن الاستطراد فى عرض العقائد والأديان باستقصائها جميعا أننا اكتفينا بتلك التى سادت فى أقطار واسعة من العالم واعتنقتها الملايين كالهندوسية والبوذية والزرادشتية وبقى علينا أن نعرض للديانتين اليهودية والنصرانية :

وتمهيدا للحديث عنهما فنود أن نبين أولا الغرض من هذه الدراسة فى دائرتين :

الأولى : فى داخل مجتمعاتنا لتصحيح المفاهيم العقائدية فى ضوء حملات التشكيك والتجهيل ، حيث تخرجت أجيال وفق المناهج التعليمية التغريبية التى كان من أغراضها : إما أن تصبح العقيدة باهتة منزوع منها إيجابية الجهاد والاضطلاع بمسئوليات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وغيرها من شعب الإيمان الكفيلة بتحقيق المجتمع الإسلامى الذى يعين الأفراد على الحياة وفق تعاليم الإسلام وآدابه ، أو إشاعة فكرة التقريب بين الأديان ، أى تمييع فكرة ذاتية الحق تفرده دون صور الباطل المتعددة .

الثانية : فى التعامل الخارجى ، ونقصد بذلك معرفة نفسيات وأخلاقيات من نتعامل معهم من أهل الكتاب ، فلا تخدعنا الكلمات والعبارات المعلنة لأغراض سياسية وأهداف اقتصادية أو دعاوى للتقارب والنقاش وتبادل الرأى لمواجهة الإلحاد ، بينما خطط التبشير تمضى قدما لاجتياح الأقطار الإسلامية فى أفريقيا وآسيا لاينبغى أن تخدعنا هذه المظاهر وتحول بيننا ، وبين الفهم الحقيقى للنفسيات والأمراض ، ويصبح المفتاح المؤدى للفهم هو معرفة العقائد[1] الدينية التى يحملونها في قلوبهم ، وتنطوى عليها جوانحهم فإن اليهود مثلا عندما يبالغون فى القتل والتمثيل والتعذيب ، فإنما ينفّذون التعاليم المدونة فى كتبهم المقدسة بتأكيد

(١) قالت جولدا مائير ذات يوم : (إن هذه الدولة - إسرائيل - موجودة نتيجة وعد أعطاه لها الله ، ويكون من السخف أن يطلب الاعتراف بشرعيتها) من مقال بيتر مانسفيلد - الشرق الأوسط - ١٩٩٠/٦/١٦ .

وإصرار ، مع التهديد بسؤ مصيرهم إن هم أخلوّا بتطبيقها[1] ويعلق الأستاذ كمال عون على ذلك بقوله : (لو كان ما يأتيه اليهود من جرائم بشعة عملا طارئا يخالفونه تثبيتا لحكومة أو تأكيدا لسياسة ، أو دفاعا عن النفس ، ولو أن تلك القسوة التى يمثلوها كانت من وحى الظروف المحيطة بهم أو من آثار الويلات التى طالما كرثتهم على مدى تاريخهم ، أو من باب المعاملة بالمثل لرجى أن تزول بزوال الباعث عليها ، أما أن تستمد روحها من تعاليم الدين ، وتنزل من نفوسهم منزلة اليقين ، وتسقاها قلوبهم منسوبة إلى الهداة المرشدين ، فذاك الداء الذى لا أمل معه فى دواء ، ولا يرجى منه شفاء ، مادام للدين أتباع ، وما قامت باتباعه تلك التعاليم) .[2]

يحدث هذا على مسمع من العالم وبصره ، وفى العصر الذى راجت فيه – إلى وقت قريب – طنطنة زوال صراع العقائد والأديان ، وأنه عصر التسامح .

وأسفرت الأحداث أننا كنا نعيش فى أوهام ، فإذا كان الاستعمار العسكرى قد انتهى ، فإنه يحاول استعادة نفوذه – كما يذكر الدكتور أحمد شلبى – بطريق المبشرين احيانا وأحيانا بطريق عملائه من السكان الأصليين ، ويقول(وكان كثير من السكان الأصليين يتجمعون حول راية الإسلام إبان الصراع للتحرر ، إذ كانت المسيحية تعد دين المستعمر ، والإسلام دين المقاومة ، فلما انتهى الاستعمار خفت صوت التجمع الإسلامى ، وقلت شوكته بوصفه أدى مهمته ، وانتهت أغراضه فى حين زاد التجمع لنشر المسيحية وكثرت وسائله) .[3]

كذلك ينبهنا الدكتور / أحمد شلبى إلى آثار عمليات التنصير فى بلاد المسلمين

(١) اليهود من كتابهم المقدس – أعداء الحياة الإنسانية ص٤٣ – كمال أحمد عون – ط دار الشعب بالقاهرة ١٩٦٩م .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) مقارنة الأديان (٢ – المسيحية) ص٣١ مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٦٥ وينظر كتابه (الحروب الصليبية : بدؤها مع مطلع الإسلام واستمرارها حتى الآن) مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٦م . وقد صدّره بعنوان (تحذير للمسلمين) أورد فيه كلمة نيكسون الرئيس الأسبق لأمريكا بمجلة الشئون الخارجية عام ١٩٨٥م قال فيها : (روسيا وأمريكا يجب أن تعقد تعاونا حاسما لضرب الصحوة الإسلامية) .

التى تستغل جهل بعض المسلمين بدينهم أو تنتهز فرص الفقر والمرض لجذب المعوزين والمحتاجين ، وآثار ذلك سياسيا واقتصاديا ، لأن المسيحية التى يعلّمها المبشرون ليست المسيحية التى جاء بها عيسى – عليه السلام – (إنما هى التى نسميها « المسيحية السياسية » التى ترمى أولا إلى ربط دول آسيا وأفريقية بعجلة الغرب عن طريق نشر الدين ، وترمى ثانيا إلى خلق فكر مسيحى يقف أمام المسلمين وأمام الفكر الإسلامى فى جميع الميادين السياسية والاقتصادية والدولية)[1]

وتقتضي المناسبة شرح بعض أبعاد الحركة المسكونية المتولدة من الحركة التبشيرية التي تبناها المؤتمر التبشيري العالمي بأدنبره سنة ١٩١٠م ، وقد حضر هذا المؤتمر ١٢٠٠ مندوب أغلبهم من الإنجليز والأمريكان ، من بينهم (بلفور) واعتذر (روزفلت) الرئيس الأمريكي الأسبق في آخر لحظة .

ورأس المؤتمر جون موت الأمريكي ومخطط أعمال التبشير في المؤتمرات على مدى نصف قرن ، وكان شعاره : تنصير العالم خلال ٣٠ عاما . ومن أقوال بلفور عقب انتهاء المؤتمر : (إن المبشرين هم ساعد لكل الحكومات في أمور هامة ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيرا من العقبات)[2] .

وعندما نقوم بدراسة الديانتين اليهودية والنصرانية لا ننسى الصلة الوثيقة بين عقائد اليهود والبروتستانت من النصارى :

وسنبدأ أولا باليهودية ممهدين لذلك بإعطاء فكرة عامة عن تاريخ بنى إسرائيل .

تاريخ بنى إسرائيل :

إن دراسة تاريخ بنى إسرائيل يشكل ركنا هاما فى دراسة العقيدة اليهودية والتطورات التى مرت بها ، حيث حرّفوا الوحى الإلهى بالتوراة الأصلية الضائعة

(١) المسيحية ص١٣ .

(٢) من خطاب اللواء أحمد عبد الوهاب إلى جريدة الأهرام في ١٩٨٩/٢/٢٣م .

التى أنزلت على موسى عليه السلام ، فقد اصطبغت العقيدة اليهودية بصبغة الأحداث على مراحل تاريخ الإسرائيليين ، وصاغها الحاخامات فى كتبهم ، ومنها (التلمود) ، و(بروتوكلات صهيون) اللتين تعد محتوياتهما المفتاح الحقيقى لفهم شخصية الصهيونى المعاصر . يقول الدكتور على عبد الواحد وافى : (الأسفار الخمسة بالتوراة مكتوبة بأقلام اليهود ، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التى كانت سائدة لديهم فى مختلف أدوار — تاريخهم الطويل) .[1]

كذلك فإن الإحاطة بتاريخهم يوضح الحقائق المحيطة بقضايا كثيرة ، فإن من أبرز معالم تاريخهم صور العداء مع الشعوب المختلفة . يقول الأستاذ العقاد فى وصفه لطباعهم : (لايعرف التاريخ لهؤلاء القوم فترة واحدة جمعتهم على ألفة ووئام مع جيرانهم ، فدخلوا مصر ونفر منهم المصريون ، وعادوا إلى كنعان ونفر منهم الكنعانيون ، وقامت لهم فى عهد النبى داود — عليه السلام — فشغلتهم الاغارة على جيرانهم ، واتقاء الغارة من أولئك الجيران ، ثم جاء سليمان الحكيم — عليه السلام — فبنى لهم الهيكل فثاروا عليه . . ثم انقسموا بعده قسمين : إلى الشمال وإلى الجنوب . وحفظت كتبهم ماقاله الشماليون فى الجنوبيين ، وما قاله الجنوبيون فى الشماليين ، ثم سباهم البابليون ، وحملوهم إلى أرض بابل ، فلم تنعقد الألفة بينهم وبين جيرانهم ، وسرحهم (كورش) عاهل الفرس بعد حين . . إلى أن يقول فى ختام وصفه لهم : (وجملة تاريخهم بعد العودة من السبى تكرار لهذا التاريخ ، ولما تفرقوا فى البلاد بعد هدم الهيكل ، حدث لهم ، فى كل بلد ما حدث فى البلد لآخر)[2] . . . . هذا هو التاريخ العام لهم ، وسنعود له مرة أخرى

---

(١) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ، الدكتور على عبد الواحد وافى — مكتبة نهضة مصر بالفجالة — مصر — ١٣٨٤هـ :١٩٦٤م .

(٢) الصهيونية العالمية ، عباس محمود العقاد ص٤١ مكتبة غريب بالقاهرة١٩٦٨م أما الانقسام المذكور بالمقصود به : اسرائيل فى الشمال ويهوذا فى الجنوب وقامت الحروب بينهما وظلت مشتعلة الأوزار يرثها خلف عن سلف ، حتى لتقرأ فى ختام الحديث عن كل ملكين متقابلين فى يهوذا واسرائيل هذه العبارة بنصها (وكان بينهما حرب كل الأيام) . وقال تعالى ﴿ **بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لايعقلون** ﴾) ص٦٦ . وينظر كتاب (اليهود من كتابهم المقدس) للأستاذ كمال أحمد عون ، ص٦٦ /ط دار الشعب عام ١٩٦٩م .

معللين مفسّرين .

أما عن القسوة والوحشية فى الحروب ، فحدّث ولا حرج عن بشاعتها مما سجلّته التوراة نفسها ، كما يقرر العلامة غوستاف لوبون (ويعرف جميع قراء التوراة وحشية اليهود التى لا أثر للرحمة فيها ، وما على القارىء ، ليقنع بذلك ، إلا أن ، يتصفح نصوص سفر الملوك التى تدلنا على أن داود كان يأمر بحرق جميع المغلوبين وسلخ جلودهم ونشرهم بالمنشار ، وكان الذبح المنظم بالجملة يعقب كل فتح مهما قلّ ، وكان الأهالى الأصليون يوقفون فيحكم عليهم بالقتل دفعة واحدة فيبادون باسم (يهوه) من غير نظر إلى الجنس ولا إلى السن ، وكان التحريق والسلب يلازمان سفك الدماء) .[1]

وإذا عرفنا من هذه اللمحات فى تاريخ بنى إسرائيل بعض الحقائق المتعلقة بنفسياتهم وطبائعهم التى لم تتغير فى واقعهم المعاصر ، فإننا نريد بعد ذلك الوقوف على بعض الواقعات الهامة فى تاريخهم توطئة لاستقراء وقائعها وتحليل أبعادها ، بل إن الديانة اليهودية نفسها قد تأثرت بديانات ومعتقدات بابل - بإقرار أحد مراجعهم وهو قاموس التوراة الذى يقرر : (أن تفهم الديانة العبرية مستحيل ما لم تؤخذ بعين الاعتبار ، وبشكل مستمر ، الديانات والثقافات الأخرى التى نمت وترعرعت فى وادى الفرات .. إن الأصول القضائية البابلية ، وكذلك الطقوس المعمول بها فى المعابد البابلية ، يجب أن تؤخذ كعوامل حاسمة التأثير على الشرائع العبرانية فى الأصول القضائية والطقوس الدينية)[2].

إن هذا الخليط من الديانات والثقافات والطقوس أفقد التوراة وحدة الموضوع

(١) اليهود فى تاريخ الحضارات ص٤٧ ، غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر - ط عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٩٧٠م . وإننا نعتقد براءة داود عليه السلام مما نسب إليه ، ولعل صاحب هذا النص يحاول تبرئة قومه من هذه الأفعال بنسبتها إلى النبى داود عليه السلام ، وقد أشار لوبون إلى أن التوراه كتاب ألف فى أدوار مختلفة أشد الاختلاف(ينظر ص٧٢ من المرجع السابق) .

(٢) قاموس التوراة - منشورات سكرينبر - نيويورك ١٩٠٩م نقلا عن : التوراة - تاريخها وغاياتها ص٢٨ - سهيل ديب - ط دار النفائس ١٤٠٦هـ -

لأنها ترجع إلى مصادر متعددة (وهو الرؤى الذى يجمع عليه العلماء اليوم سواء كانوا من رجال اللاهوت أو غيرهم)[1].

أهم الواقعات التاريخية لبنى إسرائيل :

سنقتصر على أهم الواقعات التاريخية لبنى إسرائيل بغية الإجابة على السؤال التالى :

هل أقاموا حضارة مستقرة بفلسطين ، وكان لها صفة الاستمرار ومن ثم يصبح دعوى إعادتها دعوى مقبولة على ضوء تاريخ الحضارات التى أقامها غيرها من الأمم ؟ ؟ ؟

وربما كان التطلع إلى إجابة سؤال آخر أهم وهو . . . . .

إذا أقيمت لهم دولة مرة أخرى ، هل تلتزم بالقيم الأخلاقية وتقيم كيان حضارى يفيد البشرية ، أم تستأنف نشاطها الهدام العدائى للأمم والشعوب كدأبها طوال تاريخها ، ومن ثم يصبح مصيرها إلى الزوال مادامت قائمة على الاستعمار والظلم واغتصاب الأرض – فلسطين – من أهلها الأصليين ؟[2]

إذا بدأنا بتاريخ هجرة يعقوب – عليه السلام – (الملقب بإسرائيل) من بلاد كنعان (فلسطين وما إليها) إلى مصر بسبب المجاعة ، فقد كان الوزير حينذاك بمصر هو يوسف – عليه السلام – وظلت سلالات بنى إسرائيل بمصر تنعم بالحياة هناك ، ثم تغيّر موقف المصريين القدماء حيث اتخذوا من بنى إسرائيل خدما وعبيدا .

وبقى بنو إسرائيل كذلك إلى أن أرسل الله تعالى إليهم وإلى فرعون وقومه رسولين من نسل (لاوى) (ليفى Levi) – أحد أبناء يعقوب هما موسى

---

(١) التوراة الهيروغليفية ص٤٦ .

(٢) زوال إسرائيل حتمية قرآنية ، الشيخ أسعد التميمى ، ط المختار الإسلامى بمصر

وأخوه هارون عليهما السلام يدعوانهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الكواكب وأرواح الموتى والملوك والحيوان والنبات . . وظل موسى وفرعون وقومهما فى مشادات مع فرعون حتى أتيح لهم الخروج من مصر إلى سيناء .(١)

وخلال أربعين سنة كان بنو إسرائيل (يتيهون) فى صحراء سيناء عقابا لهم على رفض الانصياع إلى أوامر موسى – عليه السلام – بدخول الأرض المقدسة وهى فلسطين .(٢)

وبعد فناء هذا الجيل الجبان نشأ جيل آخر تمّرس بشئون القتال فأكمل الله تعالى دينهم ، وأتم عليهم نعمته بعد أن تلقى موسى عليه السلام من ربه عز وجل التوراة .

ثم يأتى الانتصار على يد يوشع خليفة موسى عليه السلام بعد وفاته على بلاد (كنعان ، فلسطين) واحتلوها بعد إبادة معظم أهلها .

ويرى جوستاف لوبون أنه (لم يكن هنالك فتح بالمعنى الصحيح على الرغم من أقاصيص مؤرخيهم المملوءة انتفاخا ومن تعداد الانتصارات ، وتقتيل الأهالى وانهيار أريحا) .(٣)

ويفسر سبب نجاح بنى إسرائيل بانقسام العشائر الكنعانية قائلا : (ويفسر انقسام العشائر الكنعانية الكبير حقيقة النجاح الذى ناله بنو إسرائيل القليلو الذوق والضعيفو

---

(١) يقول الدكتور عمر فروخ بكتابه الإسلام والتاريخ ص١٦٢ :١٦٣ – ط – دار الكتاب العربى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م . يقول : إن الأمة التى تزول حضارتها عن سطح الأرض لا تعود مرة ثانية إلى سطح الأرض وبالحضارة التى زالت معها بينما الأرض تموت (ويذوى نباتها ثم يتيبس ويكون حطاما) ولكنها ترجع فى(العام التالى) إلى الحياة بالنبات الذى كان لها فى العام السابق) .

(٢) باختصار من كتاب (الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة قبل الإسلام) ص٧ للدكتور عبد الواحد وافى .

(٣) اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ص ٣٤ – جوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعيتر – ط الحلبى بمصر١٩٧٠م ، ويدلل لوبون على مدى تضخيم الانتصارات بقوله : (إن من يقرأ سفر صموئيل وسفر القضاة بشىء من روح النقد يبصر دور العنت الذى جاوزه بنو إسرائيل فى استقرارهم بفلسطين ، غير أن – هذه الأقاصيص نفسها إذا مانظر إليها من خلال أبخرة الحماسة الدينية ألقت فى النفوس وهما قائلا إن ذلك الفتح ساطع معجز) ص٣٦ .

الأهلية للحرب والسيئو السلاح) .[1]

ولا يقّر جوستاف لوبون لبنى إسرائيل بإسهامهم فى أية حضارة ، معللا ذلك بأن فلسطين – أو أرض الميعاد – لم تكن غير بيئة مختلفة لهم ، فالبادية كانت الوطن الحقيقى لهم[2] ، ويحدد بداية تاريخ اليهود الحقيقى فى عهد ملوكهم وربما يقصد بذلك الفترة التاريخية التى أصبح فيها رؤساؤهم ملوكا ذوى سلطان كبير ومنهم داود وسليمان – عليهما السلام – بعد أن كان رؤساؤهم السياسيون هم القضاة .[3]

أما النكبات التى حلت بهم فإن من أشهرها غارة بختنصّر ملك بابل فى سنتى٥٩٦ و٥٨٧ق .م ، بما يعرف فى التاريخ (بنفى بابل) حيث ظلوا فى الأسر زهاء خمسين عاما حتى تغلب قورش ملك الفرس على البابليين عام٥٣٨ق .م . . فوقعوا تحت سيطرة الفرس زهاء قرنين كاملين ، ثم تحت سيطرة المقدونيين خلفاء الاسكندر الأكبر ثم تحت سيطرة الرومان .

وعندما قاموا بثورة فى عهد الامبراطور أدريان١٣٥م أخمد الرومان ثورتهم وأخرجوهم من ديارهم ، فأصبحوا مشتتين فى مختلف بقاع الأرض .[4]

وإذا عدنا إلى الفترة التى سمح لهم قورش بدخول فلسطين ، وإعادة بناء هيكلهم ، فإنهم لم يتمتعوا خلالها باستقلال حقيقى لأنهم كانوا (مهددين من قبل ملوك فارس الذين كانت تساورهم الريّب حول كل حجر يضاف إلى الأسوار آمرين قساة بوقف العمل فى غير مرة) ![5]

لهذا حق لجوستاف لوبون فى تأريخة للحضارات والأمم أن يستخلص أن استقلال اليهود لم يكن غير اسمى ، ويستطرد فيقول : (وما فتىء الفرس والأغارقة والرومان

---

(١) المرجع نفسه ص٦ (ولا يقر لهم بإنشاء أمة إلا ببداية شاول – أو طالوت) فاستحقوا أن تفتح لهم صفحة صغيرة من التاريخ الحقيقى الذى كان لهم فى العالم .

(٢) المرجع نفسه ص٣٢ ، ويقول فى مقدمة كتابه (لم يكن لليهود فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أى شيء تقوم به حضارة)ص١٥ .

(٣) الأسفار المقدسة للدكتور وافى ص٨ .

(٤) الأسفار المقدسة للدكتور وافى ص٩ .

(٥) اليهود فى تاريخ الحضارات ، جوستاف لوبون ص٤١ .

يسطون سلطانهم المرهوب بالتتابع على تلك المملكة الهزيلة ، فتتميز هذه المملكة غيظا من هذا الاستعباد المتصل ، فلا تجد ماتتعزى به عن عجزها سوى إلقاء فارغ الخطب) .[1]

ويبدو أن لوبون اكتفى بظاهر الوقائع والأحداث ، ولم يتتبع النشاط الخفى لليهود طوال تاريخهم ، إذ من دأبهم العمل من وراء الستار وتكوين الجمعيات السرية التى تضم لها الشخصيات من ذوى النفوذ والسلطان ، وتعويض النقص فى عددهم باستخدام غيرهم من أعضاء الأحزاب والجماعات والأندية .

ولكن المتابع لأنشطتهم الخفية يقف على محاولاتهم الدائبة للاستحواذ على الثروات ، والسيطرة على الأمم ، وسعيهم الحثيث للوصول إلى مراكز السلطة السياسية فضلا عن مسئولياتهم عن الكثير من الثورات والحروب فى تاريخ العالم .

ولقد صدرت فى السنوات الأخيرة - عقب نكبة فلسطين - الكثير من الكتب والبحوث والدراسات حول دور اليهود فى أبرز الأحداث التاريخية والمعاصرة .

ومن الوثائق التى تسربت من أحد اجتماعاتهم السرية ، مايكشف النقاب عن بعض هذا الدور ، تلك الوثيقة المتضمنة لخطبة أحد كبار الحاخامات فى روسيا قال فيها : (قد بلينا بسبى بابل ، وذقنا به مّر العذاب ، أما الآن فقد صرنا وحدنا القادرين على كل شيء ، هدمت هياكلنا ، وحرقت مذابحنا ، ولكننا شيدنا منها كثيرا ، وأقمنا بدلها الآلاف المؤلفة ، مضى علينا فى العبودية ثمانية عشر قرنا ، وخرجنا من وهدة الذل وعلونا على كل الشعوب) .[2]

وعلى أية حال ، فقد خدع اليهود الأمم عندما بنوا حركتهم على صلتهم التاريخية بفلسطين ، (مع أن هذه الصلة قد انتفت نهائيا منذ تخريب الإمبراطور تيطس للهيكل سنة ٧٠م وتشتيتهم فى أنحاء الامبراطورية الرومانية سنة ١٣٥م فى عهد الامبراطور

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) مكائد يهودية عبر التاريخ - عبد الرحمن حنبكة ص٤١٦ - ط دار القلم بيروت .

هادريان)[1] .

كما ظهر من بينهم من يعارض هذا الزعم . يقول ادوين مونتاجو - الوزير البريطانى (١٩١٦-١٩٢٢) : (إنني يهودى ، ولكننى أعترف بأنه لا توجد قومية يهودية وأن فلسطين ليس لها علاقة باليهود)[2]

ونكتفى بهذا القدر كى نبحث فى مصادر العقائد اليهودية ودرجاتها من الصحة والثبوت .

---

(١) إسرائيل فتنة الأجيال ، إبراهيم خليل أحمد ص٣٣١ - مكتبة الوعى العربى ١٩٧٠م
(٢) نفسه ص٣٠٨

مصادر العقائد والأفكار والخطط اليهودية

سنعرض هذا المبحث لمصادر العقائدِ والأفكار والخطط عند اليهود وهي تتكون من :

أولا :العهد القديم .

ثانيا :التلمود .

ثالثا :بروتوكلات حكماء صهيون .

أولا : العهد القديم :

وسنتكلم بإيجاز عن كل واحد منها بادئين بالعهد القديم مستندين إلى تقسيم الدكتور وافى بكتابه (الأسفار المقدسّة فى الأديان السابقة للإسلام) حيث قسّم العهد القديم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول :

كتب موسى عليه السلام ، أو الأسفار الخمسة وهى : سفر التكوين ، وسفر الخروج ، وسفر التثنية ، وسفر اللاوين ، وسفر العدد ، وتشتمل هذه الأسفار الخمسة على التوراة فى نظر اليهود .

(١) سفر التكوين :

ويقص تاريخ العالم من تكوين السموات والأرض إلى استقرار أولاد يعقوب فى

---

(١) ولكن الدكتور حسن ظاظا يحصره فى ثلاثة أقسام : التوراة والأنبياء والكتب (أو أسفار الحكمة) أما التوراة والأنبياء فإنهما يسيران فى نسق تاريخى متصل ، ويحكيان قصة حياة العبريين منذ البداية إلى عودتهم من السبى البابلى فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد . أما القسم الثالث وهو الكتب فإنه تراث أدبى يكثر فيه الشعر والأمثال والقصص .

ص١٢-١٣ من كتابه : الفكر الدينى اليهودى - أطواره ومذاهبه . دار القلم - دمشق ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

أرض مصر ، مع تفصيل فى قصص آدم (عليه السلام) ، وحواء ونوح والطوفان ونسل سام أحد أبناء نوح ، وهو الذى انحدر منه شعب بنى اسرائيل) .[1] وخاصة إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف والأسباط .

(٢) سفر الخروج :

يعرض تاريخ بنى اسرائيل فى مصر ، وقصة موسى (عليه السلام) وخروجه مع بنى إسرائيل ، وتاريخهم فى أثناء مرحلة (التيه) التى قضوها فى صحراء سيناء واستغرقت أربعين عاما . وبجانب هذه القصص يشتمل الخروج على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية فى العبادات والمعاملات والعقوبات .

(٣) سفر التثنية :

شغل معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب والسياسة وشئون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات .

(٤) سفر اللاوين :

شغل معظمه بشئون العبادات وخاصة ما تعلق منها بالأضحية والقرابين والمحرّمات من الحيوانات والطيور . وقد نسب هذا السفر إلى اللاوين ، وهم نسل (لاوى) Levi لأنهم سدنة الهيكل ، والمشرفين على شئون الذبح والأضحية والقرابين ، والقوانين على الشريعة اليهودية .

(٥) سفر العدد :

تضمن إحصائية عن قبائل بنى اسرائيل وجيوشهم وأموالهم[2] .

---

(١) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ، د /على عبد الواحد وافى ص١٤ – مكتبة نهضة مصر ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

(٢) المرجع نفسه ص١٥ .

أما عن اللغة التى دونت بها التوراة أصلا فهى ليست العبرية حيث يرى الدكتور فؤاد حسنين أنها دونت بالمصرية القديمة ، بل أن موسى عليه السلام وسائر الإسرائيليين لم يتكلموا العبرية بل الآرمية) ص٥٨ من كتابه : التوراة الهيروغليفية .

القسم الثانى :

ويسمى بالأسفار التاريخية ، وهى اثنا عشر سفرا تعرض لتاريخ بنى إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين فى فلسطين ، وتفصّل تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم والحوادث البارزة فى شئونهم .

القسم الثالث :

يسمى أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية ، وهى أناشيد ومواعظ معظمها دينى وعددها خمسة أسفار .

القسم الرابع :

يسمى أسفار الأنبياء ، وعددها سبعة عشر سفرا يعرض كل منها لتاريخ نبى من أنبياء بنى إسرائيل الذين أرسلوا إليهم بعد موسى وهارون .[١]

وبعد عرض هذا البيان الإحصائى ، ياتى دور عرض آراء الباحثين بالأعين الفاحصة المدققة .

موجز لآراء بعض الباحثين :

يلاحظ أنه لم يتعرض باحث – قديما أو حديثا[٢] – فى مقارنة الأديان لموضوع مصادر العهد القديم (أو التوراة)[٣] ، إلا وأثبت أنها ليست التوراة الأصلية التى تلقاها موسى عليه السلام بالوحى .[٤]

---

(١) المرجع نفسه ص١٥ :١٦ .

(٢) وسنعرض فى بحثنا هذا نموذج من كل منهما : أحدهما صاحبة الإمام ابن حزم ، والثانى موريس بوكاى .

(٣) يرى الأستاذ ابراهيم خليل أحمد أن (التوراة) كلمة عبرية بمعنى (قرآن) (كتابة محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن ص٣٥) ، بينما يفسرها الدكتور أحمد شلبى بأنها تعنى (الشريعة أو التعاليم الدينية) (كتابة اليهودية ص٢٣٨) .

(٤) وبناء على الدراسة النقدية للفيلسوف اليهودى سبينوزا أثبتت أن موسى (عليه السلام) لم يكتب الأسفار الخمسة ، بل كتبها شخص عاش بعدة بقرون عديدة ص٢٧١ ، ويقرر أننا نجهل مؤلفى كثير من الأسفار ، ولانملك هذه الأسفار فى لغتها الأصلية ص٢٥٥ /٢٥٦ من كتابه : رسالة فى اللاهوت والسياسة ترجمة د /حسن حنفى .

وينظر أيضا كتاب (التوراة الهيروغليفية) للدكتور فؤاد حسنين على حيث عرض لعدة شواهد تؤيد =

وفى مقدمة من فحص هذه الأسفار علماء الكنيسة الكاثوليكية أنفسهم ، حيث بحث المجمع المسكونى الثانى للفاتيكان (١٩٦٢ –١٩٦٥) هذه المشكلة التى تتعلق بوجود أخطاء فى بعض نصوص أسفار العهد القديم ، وأصدر صيغة تشير إلى وجود شوائب به . وفيما يلى نص الفقرة المدرجة بالوثيقة المسكونية الرابعة :

(بالنظر إلى الوضع الإنسانى السابق على الخلاص الذى وضعه المسيح تسمح أسفار العهد القديم للكل بمعرفة من هو الله ومن هو الإنسان ، بما لا تقل عن معرفة الطريقة التى يتصرف بها الله فى عدله ورحمته مع الإنسان غير أن هذه الكتب تحتوى على شوائب ، وشىء من البطلان ، ومع ذلك ففيها شهادة عن تعليم إلهى) .(١)

وتقول دائرة المعارف الأمريكية : (لقد كان هناك نشاط أدبى بين الإسرائيليين فى عهد مبكر فسجلوا تقاليدهم القبلية ، وقوانين الجماعة الاسرائيلية وهذا بجانب الأغانى الشعبية وترانيم العبادة ، وماينطق به الكهنة والأنبياء من كهانة ووحى . . وبعد أن استقرت حياة الطائفة الإسرائيلية بدأت تظهر بالتدريج ، وعن غير قصد عناصر من هذه الآداب ، اعتبرتها الطائفة ركائز لحياتها العقائدية . وبهذا أعطيت هذه العناصر وقارا خاصا تفردت به وتحولت بذلك إلى كتابات مقدسة . ولاشك أن الكتّاب الأصليين لهذه الكتب لم يدر بخلدهم أن ماكتبوه وسجلوه سيكون له مثل هذه القداسة فى حياة الطائفة الإسرائيلية فى يوم من الأيام) .(٢)

= الرؤى القائل بأن التوراة التي بأيدينا ليست لموسى عليه السلام ص٤٢ . كذلك يرجح أنها وثيقة الصلة بالعقيدة المصرية التى بشر بها إخناتون ص٥٩ – ط دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة – بدون تاريخ .

(١) النبوة والأنبياء فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص٢٦٢ ، للمهندس / أحمد عبد الوهاب – مكتبة وهبة بمصر ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م..

(٢) المرجع نفسه ص٢٥٥ .

وإلى نفس المضمون تشير دائرة المعارف الفرنسية لاروس فتقول تحت كلمة (توراة) : (العلم العصرى ولاسيما النقد الألمانى قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة فى الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات ، أن التوراة لم يكتبها موسى ، وأنها عمل أحبار لم يذكروا اسمهم عليها ، ألفوها على التعاقب معتمدين فى تأليفها على روايات سماعية) ص٩٩ من كتاب اليهود من كتابهم المقدس /كمال عون

ونفهم من ذلك أن القوانين والتقاليد وترانيم العبادة والأغانى الشعبية اختلطت بأقوال الأنبياء والكهنة ، ثم استمدت قدسيتها من كثرة تردادها جيلا بعد جيل ، وطغت الروح العامة للجماعة فلم يتوقف البعض للفحص والتمييز بين الوحى وغيره ، بينما تثبت الدراسة الفاحصة لنصوص كثيرة بالأسفار الخمسة من أول وهلة – كما فعل الأستاذ ديدات – أنها ليست من عند الله تعالى ، وقد أثبت ذلك فى أكثر من سبعمائة جملة .(وما عليك – هكذا يوجهنا – إلا أن تفتح هذه الأسفار عشوائيا وسوف ترى :

(وقال الرب لموسى) سفر الخروج ٦ : ١٣
(وكلم الرب موسى) سفر الأحبار ١١ : ١
(فتكلم موسى بين يدى الرب) سفر الخروج ٦ : ١
(فقال موسى للرب) سفر العدد ١١ : ١١
(ثم قال الرب لموسى) سفر التثنية ٣١ : ١٤

ومن الواضح هنا أن هذه ليست كلمات الرب ، ولا كلمات موسى – عليه السلام – فالضمير هنا هو ضمير الغائب كما هو واضح ، مما يعنى أن هذا الكلام لشخص ثالث يسجل أحداثا سمع عنها) .[١]

بمثل هذا المنهج تعرّض علماء كثيرون – مسلمون وغير مسلمين للتوراة بالنقد العلمى ، كالتثبت من صحة النصوص بالمقارنة بين السابق واللاحق أو مراجعة التسلسل للواقعات التاريخية ، أو التحقق من مدى الاحتفاظ بالنسخة الأصلية التى

---

(١) هل الكتاب المقدس كلام الله ؟ ص٣٩ ، أحمد ديدات ، ترجمة نورة أحمد النومان – ط مكتبة أبو القاسم /جّدة .

ويأتى الدكتور فؤاد حسنين أيضا بعبارات أخرى تتعلق بموسى عليه السلام يستحيل صدورها منه أمثال : (وأما الرجل موسى فكان حليما جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض) أو (وأيضا الرجل موسى كان عظيما جدا فى أرض مصر فى عيون فرعون وعيون الشعب) كذلك الخبر الخاص بوفاته (فمات هناك موسى عبد الله فى أرض موآب حسب قول الله ودفنه فى الخواء فى أرض موآب مقابل ...) . ص٤٢ من كتاب (التوراة الهيروغليفية) .

كتبها موسى عليه السلام ، أو الموازنة بين بعض النصوص وبين الديانات والثقافات التى كانت سائدة فى بابل .[1]

والحق أن كثرة المؤلفات الناقدة للتوراة توقعنا فى حيرة : فأيها نختار وأيها ندع ؟ وتزداد حيرتنا إذا كان أصحابها من أتباع اليهودية أو النصرانية أنفسهم فضلا عن من أسلم من كبار علمائهم .[2]

ومن بين هذه المؤلفات والبحوث سنقتصر على انتقاء بعض آراء كل من الإمام ابن حزم (المتوفى٤٥٦هـ) بكتابه (الفصل فى الملل والنحل) ، والطبيب الفرنسى المعاصر موريس بوكاى بكتابه (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) : سنعرض باختصار لنقد الإمام ابن حزم للعقيدة اليهودية ومصادرها ، وهو يعّد من أبرز العلماء الذين استخدموا المنهج النقدى لمصادر المعلومات للعقائد كاليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرها ، بعد عرضها على الأدلة العقلية :

---

(١) يقول الأستاذ موريس فودن ناظر المدرسة العليا فى باريس والمدرس فى القسم الدينى بها عن التوراة : لو سألنا فى أى وقت جمع كل كتاب من كتب التوراة وفى أى حال وظروف ، وبأقلام من كتب ، لانجد أحدا يجيبنا عن تلك الأسئلة وما شابهها إلا بأجوبة متخالفة جدا ، وإن كافة ما كتب مشكوك فى كاتبه ، وإن كل ما فى التوراة هو عبارة عن خليط من كتابات عديدة جدا جمعت فى أجيال متباينة ، وأن المذاهب العلمية ترفض أغلب أقوال العلماء النقل التى هى أساس اعتقاد اليهود والنصارى وتقّوض بنيان ادعاء السابقين وتبرىء الأنبياء من تلك الكتابات ، وأن تصحيح هذه الكتب كالنقش فى الماء أو البناء على الهواء ، ولكن ما الحيلة ونحن من مائة سنة حيارى بين أسانيد يمحو بعضها بعضا ، فالجديد يناقض سابقه والسابق يناقض الأسبق ، وقد تناقض أجزاء الدليل الواحد ، وأيسنا من الوصول إلى معرفة صاحب الكتاب الحقيقى . . . وقد صّدق على شهادة الأستاذ موريس فودن ٥٠٠ عالم فى جمعية دار المعارف الكبرى بباريس .

من كتاب (محمد ﷺ نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن) ص٧١ :٧٢ ، للمستشار محمد عزت الطهطاوى – مكتبة النور / مصر الجديدة ١٩٨٦م .

(٢) على سبيل المثال :

– الدين والدولة : على بن ربّن الطبرى – تحقيق عادل نويهض .

يقول ابن حزم : (نذكر إن شاء الله تعالى مافى الكتب المذكورة من الكذب لايشك كل ذى مسكة تمييز فى أنه كذب على الله تعالى وعلى الملائكة عليهم السلام وعلى الأنبياء عليهم السلام ، إلى أخبار أوردوها لايخفى الكذب فيها على أحد كما لايخفى ضوء النهار على ذى بصر).[1]

ويرى أن الإصرار على الاستمساك بما فى كتبهم من أكاذيب وأباطيل يرجع إلى مكابرتهم لعقولهم وغلبة أهوائهم عليهم وتقليدهم لأسلافهم وعصبية واستدامة لرياسة دنيوية .

ولا يفوته المسارعة بالمقارنة بين مصادرهم ومصادر الإسلام الثابتة اليقينية فيقول : (نحمد الله كثيرا على ماهدانا له من الإسلام ونحلة السنّة واتباع الآثار الثابتة ونسأله تثبيتا على ذلك ، وأن يجعلنا من الدعاة إليه حتى يدعونا إلى رحمته ورضوانه عند لقائه ... آمين).[2]

= – فى اثبات نبوة محمد ﷺ دار الآفاق الجديدة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

– رجال ونساء أسلموا (٣حلقات) ، عرفات كامل العشى – دار القلم – الكويت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

محمد ﷺ فى الكتاب المقدس للبروفسور عبد الأحد داود ترجمة فهمى شمّا – مراجعة أحمد محمد الصديق.– رئاسة المحاكم الشرعية بقطر ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

– افحام اليهود للسموأل بن يحيى المغربى – تقديم وتحقيق د /محمد عبد الله الشرقاوى ، دار الهداية بمدينة نصر /مصر /١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

– محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن لابراهيم خليل أحمد – مكتبة الوعى العربى .

– حوار فى المسجد النبوى : رزق هيبة – مكتبة التراث الإسلامى بمصر ١٩٨٣م ويحكى قصة إسلام الأستاذ /زكى عريبى عميد اليهود فى مصر .

– رسالة ر اللاهوت والسياسة ، سبينوزا ، ترجمة وتقديم د /حسن حنفى – مراجعة د /فؤاد زكريا .

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج١ص١١٦ ، ط مكتبة المثنى ببغداد .

(٢) المرجع نفسه ص١٧ .

ويّعد الإمام ابن حزم من أوائل علماء مقارنة الأديان ، حيث رسم المنهج ووضع الأساس ، كما ناقش بعض علمائهم وأفحمهم بالأدلة العقلية والبراهين المنطقية[1] .
وسنلخّص أبرز الانتقادات التى طعن بها التوراة التى بأيدى اليهود ، حيث حرفّت وبدّلت .

أما التوراة الحق التى أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام ، فإننا معشر المسلمين نقرّها (لأنه تعالى أخبرنا بذلك فى كتابه الناطق على لسان رسول الله ﷺ ونقطع على أنها ليست هذه التى بأيديهم بنصها) .[2]

وأول ذلك أن التوراة التى بأيدى (السامرية) غير التوراة التى بأيدى سائر اليهود ، يزعمون أنها المنزّلة ، ويقطعون أن التى بأيدى اليهود محرفة مبدلة ، وسائر اليهود يقولون إن التى بأيدى السامرية محرّفة ومبدلة .

ويستند أول ما يستند إلى نص فى التوراة منسوب إلى الله تعالى بقوله (أصنع بناء آدم كصورتنا كشبهنا) .

ويرى ابن حزم أنه لو لم يقل إلا كصورتنا لكان له معنى صحيح ، وهو أن نضيف الصورة إلى الله تعالى إضافة الملك والخلق ، لكن قوله كشبهنا منع التأويلات وأوجب شبه آدم لله عزوجل ، وهذا يعلم بطلانه ببديهة العقل .

وفى النص الذى يتناول لوط – عليه السلام – وعلاقته بابنتيه ، يروى الإمام القصة الواردة بالتوراة ، ويعلق عليها بوصفها فضائح وسوآت تقشعر من سماعها جلود المؤمنين بالله تعالى ، العارفين حقوق الأنبياء عليهم السلام .[3]

وكذلك وصفه لإطلاقهم على نبى الله يعقوب عليه السلام ، أنه خدع أباه وغشه

---

(١) انظر على سبيل المثال ص٢٠٥ حيث يقول (ولقد فضحت بهذا وجه بعض علمائهم) .
(٢) المرجع نفسه ص٢٠٣ .
(٣) المرجع نفسه ص١٣٣ .

بانه من الفضائح والأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات ، لأن هذا التصرف مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء ، فكيف من نبّى مع أبيه النبّى أيضا ؟[١]

ويلحق نقده للتوراة بنقده لسائر كتبهم التى يضيفونها إلى الأنبياء عليهم السلام :

منها كتاب يوشع ، ففيه براهين قاطعة بأن بعض متأخريهم ألفه لهم ، حيث يتضمن نصّا يفيد بناء سليمان بن داود - عليهما السلام ، لبيت المقدس .

(ومن المحال الممتنع أن يخبر يوشع أن سليمان - عليه السلام - بنى بيت المقدس ويوشع قبل سليمان بنحو ستمائة سنة) .[٢]

---

(١) المرجع نفسه ص١٣٧ .

(٢) المرجع نفسه ص٢٠٤ ، ويرى الدكتور حسن حنفى إن النقاد المسلمين اتبعوا هذه الوسيلة للكشف عن تلفيق الروايات ، وأن الغالب على دراسات المسلمين هى اثبات التناقض فى النصوص والتحريف فى العقائد ، وقد ضرب على ذلك مثلا بابن حزم . (مقدمته لكتاب : رسالة فى السياسة واللاهوت لسبينوزا ص٢٧ . وبهذه المناسبة يحسن توضيح معنى الحديث النبوى المتصل بهذا الموضوع ، ومصدرنا كتاب التوحيد للإمام ابن خزيمة حيث قال : أما الحديث (إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته) ص٢٦ ، أولا(لايقولن أحدكم لأحد قبّح الله وجهك ووجها أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته ، يقول الإمام ابن خزيمة فى شرحه للحديث : (أراد ﷺ إن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذى أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب) ص٢٦ من كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عزوجل للإمام ابن خزيمة ، تحقيق د /محمد مصطفى الأعظمى -ط دار الكتب السلفية بمصر ١٤٠٣هـ / .

وفى رواية (لاتقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن) ص٢٧ . ص٢٨ -أ - :ومناه عند الإمام ابن خزيمة إن اضافة الصورة للرحمن فى هذا الخبر إنما هو من إضافة الخلق إليه لأن الخلق يضاف إلى الرحمن إذا ، خلقه الله ، وكذلك الصورة تضاف إلى الرحمن لأن الله صورها ألم تسمع قوله عزوجل (هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) ؟ فأضاف الله عزوجل الخلق إلى نفسه إذ الله تولى خلقه ، وكذلك قوله عزوجل (هذه ناقة الله لكم آية) فأضاف الله الناقة إلى نفسه ، وقال : (تأكل فى أرض الله) . . فأضاف الله الأرض إلى نفسه إذ تولى خلقها فبسطها . . . إلى أن يقول (فما أضاف الله إلى نفسه على مضافين : إحداهما إضافة الذات ، والأخرى إضافة الخلق فتفهموا هذاين المعنيين لاتغالطوا) .

ب : فمعنى الخبر إن صّح عن طريق النقل مسندا - فإن ابن آدم خلق على الصورة التى خلقها الرحمن حين صور آدم ثم نفخ فيه الروح ، قال الله عزوجل (خلقكم ثم صوركم) . ص٢٨ من كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عزوجل للأمام ابن خزيمة . =

ويفحص الإمام ابن حزم بعناية نصوص الكتاب الذى يسمونه (الزّبور) ويتضمن المزامير المنسوبة إلى داود عليه السلام ، ويبين مخالفتها الصريحة لأدلة العقل الصحيحة ، منها فى المزمور الأول : (قال لى الرب ابن اليوم ولدتك) ويتساءل الإمام فى هذا الموضع فيقول : (فأى شىء تنكرون على النصارى فى هذا الباب ما أشبه الليلة بالبارحة) ؟ .

وفيه فى المزمور الرابع وأربعين منه (عرشك ياالله فى العالم وفى الأبد قضيت العدل قضيت ملكك أحببت الصلاح وأبغضت المكروه ، وكذلك دهنك إلهك بزيت القرح بين اشراكك) .(١)

ويتضح من هذا النص اثبات إله آخر وهذا دين النصارى ، وبعده يأتى نص آخر يخاطب الله تعالى : (وقفت زوجتك عن يمينك وعقامها من ذهب ، أيتها الابنة اسمعى وميلى بأذنيك وأبصرى ، وآنسى عشيرتك وبيت أبيك ، فيهواك الملك وهو الرب والله فاسجدى له طوعا) .

وعندئذ يعلّق ابن حزم مبديا تعجبه الشديد على النص والسابق عليه فيقول : (ماشاء الله كنّا أنكرنا الأولاد فأتونا بالزوجة والأختان ، تبارك الله فما نرى لهم على النصارى فضلا أصلا ونعوذ من الخذلان) .(٢)

---

(١) ويقول ابن حزم (هذه سوأة الأبد ومضيعة الدهر وقاصمة الظهر واثبات آله آخر على الله تعالى دهنه بالزيت اكراما له ومجازاة على محبته الصلاح واثبات اشراك الله تعالى . ص٢٠٥ .

ويلاحظ أن الفصل الثانى والعشرين من سفر الخروج يتكلم عن حكم الآلهة مرارا وتكرارا ولاسيما فى المباهلة (وإذا لم يوجد السارق يقدم صاحب المنزل إلى الآلهة ليحلف) .. (وكل دعوى جناية فإلى الآلهة ترفع .. ومن تحكم الآلهة عليه يعوض صاحبه مثلين) . من كتاب (التوراة بين الوثنية والتوحيد) سهيل ديب – دار النفائس ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م .

وما زال اليهود إلى الآن يدعون مع الله آلهة أخرى (انظر وثيقة الحاخام جوهاشيم برن، الذى شرح بها وثائق المخطط السرى اليهودى الأخير) وقال : [أيها الرفاق ، هنيئا لكم قرب تحقق وعود (يهوه) و(أدونارى) الكبير رب الأرباب ، هذه الوعود هى أكثر مما نستحق ، فلنتضرع إلى الآلهة لتستجيب دعاءنا) .

من كتاب (مكايد يهودية – عبد الرحمن حنبكة ص٣٩٥) .

(٢) المرجع نفسه ص٢٠٦ .

ويمضى فى نقده على هذا المنوال مستندا إلى عقيدة التوحيد والتنزية لله سبحانه وتعالى .

ثم ينتقل إلى عرض بعض النصوص التى تتصل بالإيمان بالآخرة والبعث فمنها مايتفق مغ قول الملحدين الدهرية مثل (الناس كالشعب إذا خرجت أرواحهم نسوا ولا يعلمون مكانهم ولا يفهمون بعد ذلك) .

ويرى الإمام ابن حزم أن دين اليهود يميل إلى هذا ميلا شديدا لأنه ليس فى توراتهم (ذكر معاد أصلا ولا لجزاء بعد الموت وهذا مذهب الدهرية) ثم يستنتج من أن ماحوته كتبهم من عقائد باطلة يصبح حجة لنا على قيامهم بالتبديل والتحريف ، ومعجزة لنبينا ﷺ .(١)

وقد اطلع ابن حزم على ماكتبه الأخبار فى (التلمود) مبينًا أن اليهود أخذوا دينهم من الأحبار وإليهم يرجعون فى نقلهم لتوراتهم ، وكتب الأنبياء وجميع شرائعهم ، وهم الذين بّدلوا الدين بأنهم عملوا لهم هذه الصلوات عوضا مما أمر الله تعالى به من القرابين(٢) ، ثم يسرد بعض النصوص التى تعد حقا من الخرافات التى كتبها الأحبار ، وقد حصنّوا أنفسهم بقداسة خاصة ومكانة يرتفعون بها حتى على الله تعالى ، (فمما أجمع أحبارهم لعنهم الله أن من شتم الله تعالى وشتم الأنبياء يؤدّب ، ومن شتم الأحبار يموت أى يقتل) .(٣)

ومن أعجب الوقائع التى يسجلها ابن حزم ما سمع علماءهم يذكرونه ولايتناكرونه أن أحبارهم اتفقوا على أنهم (رشوا بولس البنياميني – لعنه الله – وأمروه بإظهار دين عيسّى – عليه السلام – وأن يضل أتباعهم ويدخلهم إلى القول بألوهيته ، وقالوا له نحن نتحمل إثمك فى هذا ، ففعل وأبلغ من ذلك حيث قد ظهر) .(٤)

ثم يقارن بين ماأحدثه (بولس) فى النصرانية وما حاوله عبد الله بن سبأ المعروف

(١) المرجع نفسه ص٢٠٧ .
(٢) المرجع نفسه ص٢١٧ .
(٣) المرجع نفسه ص٢٢١ .
(٤) المرجع نفسه ص٢٢١ .

بابن السّوء اليهودى الحميرى لعنة الله ليضل من أمكنه من المسلمين (فنهج طائفة رذلة كانوا يتشيعّون فى علّى رضى الله عنه أن يقولوا بألوهية علّى) .[1]

وإن كان اليهود قد نجحوا عن طريق بولس فى إفساد دين النصارى فإنهم لم يحققوا مآربهم فى الإسلام ، إذ لم يؤثّر ابن سبأ إلا فى قلة ضئيلة ، وهم الباطنية والغالية من الشيعة .

وكان العاصم من الوقوع فيما وقع للنصارى سلامة منهج المسلمين فى القبول والتلقى ، حيث إننا (لا نصّدق فى ديننا بشىء أصلا إلا ماجاء فى القرآن وما صح بإسناد الثقات ثقة عن ثقة ، حتى يبلغ إلى رسول الله ﷺ فقط وما عدا هذا فنحن نشهد أنه باطل) .[2]

ويتضح لنا مما تقدم براعة الإمام ابن حزم فى نقده لنصوص الكتب الدينية عند اليهود ، ومن ثم فإنه قد سبق عصره من حيث وضع المنهج فى نقد نصوص الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى ، بينما لم يعرف علماء الغرب هذا المنهج إلا أخيرا جدا فى العصر الحديث . وفى هذا الصدد : يقول موريس بوكاى : (إن معالجة الكتب المقدسة من خلال علم الدراسة النقدية للنصوص شىء قريب العهد فى بلادنا ، ففيما يخص العهد القديم والعهد الجديد ، ظل الناس يقبلونها على ماهما عليه طيلة قرون عديدة) .[3]

ويعرض بعد ذلك للنتائج التى ترتبت على استخدام علم نقد النصوص حيث تم اكتشاف مشاكل مطروحة وخطيرة ، منها ماتوصل اليه بعض المؤلفين من المتناقضات والأمور البعيدة عن التصديق لكل من يريد أن يحتفظ بسلامة مقدرته على التفكير وحسّه الموضوعى ، وكان من المأمول التصريح بوجود هذه المتناقضات ولكن نرى الدكتور بوكاى يأسف حقا لذلك الموقف الذى يهدف إلى تبرير الاحتفاظ

---

(١) المرجع نفسه ص٢٢٢ .

(٢) المرجع نفسه ص٢٢٤ .

(٣) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم – دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة تأليف موريس بوكاى – الترجمة العربية – دار المعارف بمصر ١٩٨٧م ص٩ .

فى نصوص التوراة والإنجيل ببعض المقاطع الباطلة خلافا لكل منطق .

ويختم هذا الأسف بقوله : (ومع ذلك فقد أثبتت التجربة أنه إذا كان بعضهم قادرا على فضح بعض مواطن الضعف من هذا النوع ، فإن الغالبية من المسيحيين لم تدرك حتى الآن وجود هذا الضعف ، وظلت فى جهالة تامة من أمر ذلك التناقض مع المعارف الدنيوية المشهورة التى تعتبر غالبا من المعارف الأساسية جدا).[1]

وكشأن إمامنا ابن حزم ، أقدم الدكتور موريس بوكاى على عقد مقارنة بين نصوص كتب اليهود والنصارى وبين القرآن الكريم ، وخلص منها إلى التأكد بأن القرآن هو الوحى الذى أنزل على محمد ﷺ عن طريق جبريل – عليه السلام – وقد كتب فور نزوله ، ويحفظه ويستظهره المسلمون عند الصلاة ، وأنه لا يحتوى على مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث .

وكان لدى هذا العالم من الأمانة والشجاعة الأدبية بأن يصرّح بذلك معلنا عن نتيجة بحثه المنهجى الموضوعى ، فقال : (لقد قمت أولا بدراسة القرآن الكريم ، وذلك دون أى فكر مسبق ، وبموضوعية تامة بحثا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث . وكنت أعرف قبل هذه الدراسة ، وعن طريق الترجمات ، وأن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعية ، ولكن معرفتى كانت وجيزة . وبفضل الدراسة الواعية للنص العربى ، استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لايحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث).[2]

وسنعرض فيما يلى بايجاز لنقده للتوراة فى ضوء المعارف الحديثة :

---

(١) المرجع نفسه ص١٠ .

(٢) المرجع نفسه ص١٣ . وتأمل فى بيان ذلك قوله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) . ونحن نرى بوكاى فى اتباعه هذه الطريقة فى البحث عن الحق مستضيئا بنور الفطرة ، لينقذ نفسه من أسر البيئة وأغلال التقاليد حوله ، بخلاف أترابه الذين خضعوا لها . ويصوّر لنا الدكتور وولتر أوسكار لند برج التجربة التى يمر بها أثناء مراحل طلب العلم فيقول : (وحتى عندما تتحرر عقول الناس من الخوف ، فليس من السهل أن تتحرر من التعصب والأهواء ، ففى جميع المنظمات =

نقد موريس بوكاى للتوراة فى ضوء المعارف الحديثة :

تتكون التوراة من خمسة أجزاء كما بينّا آنفا حسب عقيدة اليهود وهى : التكوين ، والخروج ، والسفر اللاوين ، والسفر العدد ، وسفر التثنية .

وتتناول التوراة موضوعات كثيرة ، منها أصل الكون وحتى دخول الشعب اليهودى أرض كنعان ، الأرض الموعودة بعد الخروج من مصر ، وبالتحديد حتى موت موسى – عليه السلام – وتستخدم حكاية هذه الأحداث كإطار لعرض التدابير الخاصة بالحياة الدينية ، والحياة الاجتماعية للشعب اليهودى ، ومن هنا جاء اسم التوراة ، أى الناموس .[1]

وظلت اليهودية والمسيحية لقرون طويلة تعتبران أن موسى – عليه السلام – هو كاتب التوراة اعتمادا على ماورد فيها من أقوال مثل قول الرب (اكتب هذا تذكارا فى الكتاب) ، أو ماورد فى سفر العدد (وكتب موسى مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب) ، أو الآية الواردة فى سفر التثنية (وكتب موسى هذه التوراة) .

وابتداء من القرن الأول قبل الميلاد ، كان هناك دفاع عن الرأى القائل بأن موسى – عليه السلام – قد كتب الأسفار الخمسة كلها ، أما اليوم فقد هجر هذا الفرض تماما ، وبدأ العلماء يشككون فيه ، حيث رأى أحدهم استحالة أن يكون

= الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم فى إله هو صورة الإنسان ، بدلا من الاعتقاد بأن الإنسان قد خلق خليفة لله على الأرض . وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية ، فإن تلك الصورة التى تعلموها منذ الصغر لايمكن أن تسمح مع أسلوبهم فى التفكير ، أو مع أى منطق مقبول . وأخيرا عندما تفشل جميع المحاولات فى التوفيق بين تلك الأفكار الدينية القديمة ، وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمى نجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبذ فكرة الله كلية) . من كتاب (الله يتجلى فى عصر العلم) ص٣٨ ترجمة د /الدمرداش عبد المجيد سرحان ، مراجعة وتعليق د /محمد جمال الدين الفندى .

ونحن نحمد الله تعالى ، على أن علماءنا لا يمرون بهذه الأزمات لأن الحقائق العلمية الكونية والطبيعية لاتتعارض مع الآيات القولية – أى القرآن الحكيم – كما أثبت بوكاى وكما دلنا على ذلك علماؤنا من قبل ، ومنهم الإمام ابن القيم .

(١) المرجع نفسه ص٢٦ .

موسى – عليه السلام – قد كتب بنفسه كيف مات .[1]

وقد قام ريشار سيمون بدراسة هذه القضية بكتابه (التاريخ النقدى للعهد القديم) نشره ١٦٧٨م ، وفيه يؤكد على الصعوبات الخاصة بتسلسل الأحداث والتكرارات وفوضى الروايات وفوارق الأسلوب فى أسفار موسى الخمسة .

ثم قام جان استروك ١٧٥٣م بدراسة أخرى نشرها على الملأ بناء على ملاحظة أساسية هى : وجود نصيّن جنبا إلى جنب فى سفر التكوين يحتوى كل منهما على خاصية مختلفة فى تسمية الرب : إذ يسميه أحدهما بيهوه ، ويسميه الثانى بألوهيم .[2]

وهناك أخطاء أخرى ذات طابع تاريخى اكتشفها عدة مفسرين يهود ونصارى حيث وقفوا على عدة تعديلات مختلفة وإضافات لاحقة للنصوص الأصلية :

وعلى سبيل المثال قدّم الأب ديفو ، بالنسبة لأسفار موسى الخمسة وحدها فى المقدمة العامة التى تسبق ترجمته لسفر التكوين ، قدم تفصيلا بكثير من النقاط المتنافرة التى لايبدو لنا – أن الفكرة العامة التى نستطيع الخروج بها من هذه الأخطاء ، هو أنه لايجب أن نأخذ النص مأخذا حرفيا .[3]

---

(١) المرجع نفسه ص٢٧ . ويذكر الدكتور حسن حنفى ان آباء الكنيسة ظنوا قديما أن موسى – عليه السلام – هو مؤلف التوراه ، وظل هذا الاعتقاد فى العصر الوسيط حتى جاء سبينوزا ولوذز وشكاكى نسبة الأسفار إلى موسى عليه السلام ، ثم ظهر نقاد كثيرون حتى أتى فلاوزن وأعلن نظريته المشهورة القائمة على المصادر الأربعة متأثرا بأفكار هيكل عن تطور التاريخ) (مقدمة كتاب : رسالة فى اللاهوت والسياسة لسبينوزا ص٢٣ /٢٤ – وظهر نقاد كثيرون بفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة والدانمارك .

(٢) (٣) المرجع نفسه ص٢٨ ، ٣٩ .

ويرى الدكتور حسن ظاظا أن النص التوراتى ليس له سياق موحد بل يرتد إلى أربعة ينابيع هى :

١ – مصدر يحمل اسم (يهوه) علما على رب العبريين الوطنى القديم ورواته كانوا من الجنوب .

٢ – مصدر يحمل اسم (ألوهيم) علما على الله باسمه المنتشر فى أسباط إسرائيل بالشمال .

٣ – مصدر تشريعى بحت . ٤ – حواشى الكهنة (الفكر الدينى اليهودى ص٢٦–٢٧) .

كذلك يذكر الدكتور فؤاد حسنين أن نقاد التوراة أدركوا منذ قرنين أن قصص سفر التكوين تختلف فيما بينها حول لفظ الجلالة ، فأحيانا تستخدم لفظ (يهوه) وأخرى اسم (ألوهيم) وأدى ذلك إلى القول باعتماد التوراة على مصدرين مختلفين) . التوراة الهيروغليفية ص٤٦ .

وقد خلص موريس بوكاى فى دراسته القيّمة إلى القول بأن سفر التكوين يتضمن أكثر المتناقضات وضوحا مع العلم الحديث ويحصرها فى ثلاث نقاط جوهرية :

(١) خلق العالم ومراحله .

(٢) تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الإنسان على الأرض .

(٣) رواية الطوفان .[١]

أولا : خلق العالم ومراحله :

(أ) تتحدث بعض الآيات فى الإصحاح الأول عن (النور) الذى يضىء نهارا فى صباح اليوم الأول من أيام الخلق كما تروى التوراة ، بينما لاتذكر التوراة (أنوار) السموات فى سفر التكوين إلا فيما يتعلق بخلق اليوم الرابع .

يبدو من غير المنطقى هنا أن يوجد النور أولا ، ولأن الليل والنهار لايتعاقبان إلا بعد وجود الأرض ودورانها تحت نجمها الخاص بها أى الشمس .[٢] فكيف يظهر ضوء الشمس أولا – أى النور – بينما لم تخلق إلا فى اليوم الرابع حسب رواية التوراه ؟

(ب) تحتوى إحدى الفقرات التى تتحدث عن ترتيب المخلوقات على مزاعم لايمكن قبولها فى ضوء العلم الحديث ، إذ يشير سفر التكوين إلى خلق الحيوانات الأرضية فى اليوم السادس بعد ظهور الطيور ، وهذا الأمر غير مقبول على ضوء المعلومات العلمية الحديثة كما يرى موريس بوكاى .

(ج) وتنتهى رواية الخلق بالنص على أن الله تعالى فرغ فى اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح فى اليوم السابع (تعالى الله عما يقولون علّوا كبيرا) .

---

(١) المرجع نفسه ص٤٠ . والواقع أن الدراسة النقدية لم تقتصر على استروك والأب ديفو حيث توالى العلماء والباحثون فى نقد التوراة ، الأمر الذى أدّى بأن أنشأ البابا (لجنة التوراة) عام ١٩٠٦م من أجل الحد من النظريات النقدية ومع هذا توالت واستمرت (ينظر تعليق د /حسن حنفى بكتاب سبينواز (رسالة فى اللاهوت والسياسة) ص٢٣ /٢٤ .

(٢) المرجع نفسه ص٤١ .

ولا نستطيع المرور على هذا القول بغير تعليق ، فإن الله تعالى ليس كمثله شيء ، لا فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله ، وقد ردّ على هؤلاء المغضوب عليهم بقوله : ﴿ **ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب** ﴾ [ق /٣٨] .

وبيت القصيد فى النقد الموجه إلى النص التوراتى يتلخص فى أنه يقسّم روايته إلى أيام بالمعنى الدقيق ، أيام الأسبوع الذى نعرفه ونقدره فى حياتنا الدنيوية ، بينما من المعروف تماما من وجهة النظر العلمية فى أيامنا أن تشكّل الأرض والكون قد تم على فترات زمنية شديدة الطول ، لاتسمح المعطيات الحديثة بتحديد مدتها حتى تقريبيا .

لذلك فإن تعاقب الأحداث فى النص الكهنوتى يناقض المعلومات العلمية الأصيلة .(١)

وقد تنبه الأستاذ موريس بوكاى — عندما قارن بين الأيام فى التوراة والقرآن — إلى أنها تعنى (مراحل) ، أو (فترة زمنية) وليس الأيام المتداولة بيننا فى الدنيا ودليله على ذلك فى آيات منها ماقاله تعالى : ﴿ **فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون** ﴾ [السجدة /٥] ، وقوله عز وجل ﴿ **فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ [المعارج/٤] ، ويقرر بوكاى فى النهاية : (فمن حقنا إذن أن نقبل ، فيما يتعلق بخلق العالم ، بقول القرآن ضمنا بفترات زمنية طويلة رقمها بالعدد ٦ ، ولاشك أن العلم الحديث لم يسمح للناس بتقرير أن عدد المراحل المختلفة للعمليات هو ستة مراحل ، ولكنه قد أثبت بشكل قاطع أنها فترات زمنية طويلة جدا تتضاءل إلى جانبها الأيام

(١) المرجع نفسه ص٥٤ والكهنوتى نسبة إلى الكهنة الذين أعادوا روايتى الخلق على مشيئتهم .

كما نفهمها ، وتصبح شيئا تافها) .[1]

ثانيا : تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الإنسان على الأرض :

يحدد التقدير العبرى الوارد بالعهد القديم تاريخ خلق العالم بسبعة وثلاثين قرنا قبل الميلاد ، وهو مخالف تماما لما نعرفه بواسطة العلم الحديث إذ من العسير معرفة ما يتعلق بخلق الكون ، وكل ما يمكن تحديده على وجه التقريب هو تكّون النظام

---

(١) المرجع نفسه ص١٦٠ . « ويقول سبينوزا (اننا نرى معظم اللاهوتيين وقد انشغلوا بالبحث عن وسيلة لاستخلاص بدعهم الخاصة وأحكامهم التعسفية من الكتب المقدسة بتأويلها قسرا ، وبتدبير هذه البدع بالسلطة الالهية . . ويصفهم بأنهم الذين لم يتورعوا عن تحريف الكتاب فى مواطن كثيرة) . ص٢٤١ من كتاب (رسالة فى اللاهوت والسياسة) . وبمناسبةالحديث عن التأويل كأحد الطريق لتحريف النصوص بطريقة غير مباشرة ، فإننا نرى لزاما علينا تصحيح الخطأ الذى وقع فيه الدكتور حسن حنفى فى مقدمته لكتاب (سبينوزا) ص٤٣ عندما عرض لمنهج ابن ميمون الفيلسوف اليهودى ومؤداه (إذا تعارض العقل مع النقل « المعنى الحرفى » وجب تأويل النص) ورأى تدعيمه بنص لابن تيمية ظن أنه يؤيد هذا المنهج . ويلزمنا تصيحيح النص المقتبس بسبب اللبس الذى وقع فيه د /حسن حنفى حيث ظن أنه رأى ابن تيمية ، بينما الصحيح إن الشيخ أورده منسوبا إلى الرازى ومن نحا نحوه من المتكلمين الذين يرون تقديم الدليل العقلى على الدليل السمعى إذا تعارضا فى تصورهم .

والنص المنسوب لابن تيمية على هذا النحو مبتسر ، ولو أكمله الدكتور حسن حنفى لوجد فى نهايته ما ينقضه من أساسه لأن ابن تيمية عقبه بالتعليق عليه بقوله (ومثل هذا القانون الذى وضعه هؤلاء – يقصد المتكلمين كالرازى ومن اتبعه – يضع كل فريق لأنفسهم قانونا فيما جاءت به الأنبياء عن الله فيجعلون الأصل الذى يعتقدونه ويعتمدونه هو ما ظنوا أن عقولهم عرفته ، ويجعلون ماجاءت به الأنبياء تبعا فما وافق قانونهم قبلوه ، وماخالفه لم يتبعوه ، وهذا يشبه ما وضعته النصارى من أمانتهم التى جعلوها عقيدة إيمانهم وردّوا نصوص التوراة والإنجيل إليها) .

من كتاب (بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) ص٣ . على هامش كتاب منهاج السنّة) أو (درء تعارض العقل والنقل) بتحقيق د /محمد رشاد سالم . وينظر معجم أعلام الفكر الإنسانى - تصدير د / إبراهيم مدكور المجلد الأول – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر ١٩٨٤م - ماده - تيمية (ص٧١ –٨٤) .

الشمسى تقريبا بأربع مليارات ونصف من السنوات .[1]

كذلك أخطأت التوراة فى سفر التكوين عندما حددت الفترة الزمنية التى تفصل بين إبراهيم وآدم – عليهما السلام – فأدت إلى الزعم بأن آدم عليه السلام كان قبل المسيح بثمانية وثلاثين قرنا .

وقد ثبت أن هذه التقديرات الوهمية من عمل الكهنة اليهود فى القرن السادس قبل الميلاد ، وتتعارض من المكتشفات العلمية التى حددت تاريخ الخلق بعصر سابق بكثير .[2]

ويقرر موريس بوكاى بأنه لا أحد يستطيع أن يحدد بشكل دقيق تاريخ ظهور الإنسان ، ومع ذلك فيمكن التأكيد بوجود أطلال الإنسانية مفكرة وعاملة ويحسب قدمها بوحدات تتكون من عشرات من ألوف السنين .

وعلى أى حال فإن المعطيات العلمية تسمح بتحديد تاريخ الإنسان أبعد بكثير من العصر الذى يحدده سفر التكوين لأوائل البشر .[3]

ثالثا : رواية الطوفان :

يبدأ موريس أولا فيبين أن الإصحاحات ٦و٧و٨ من سفر التكوين مخصصة لرواية الطوفان ، ولكنها تتضمن روايتين منفصلتين فى مقاطع متداخلة كل فى الآخر مما يجعلها تتناقض مع بعضها البعض تناقضاً صارخا ، حيث يحاول اليهود تعليل هذا التناقض بسبب اختلاف مصدريهما ، أى المصدر اليهودى ، والمصدر الكهنوتى . وعلى أية حال ، فإن الرواية فى شمولها هى كما يلى :

(لما عم فساد البشر أراد الله تعالى تدميرهم ، فحذّر نوحا وأمره ببناء السفينة التى سيدخل بها وزوجته وأولاده الثلاثة بزوجاتهم الثلاث ، وكائنات أخرى حية ، ويختلف المصدران بالنسبة للكائنات الحيّة ، فهناك مقطع من الرواية (وهو كهنوتى الأصّل) يشير إلى أن نوحا قد أخذ زوجا من كل نوع ، ثم يحدد المقطع التالى (وهو

(١) ، (٢) ، (٣) المرجع نفسه ص٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ .

من الأصل اليهوى) أن الله قد أمر بأخذ سبعة من كل نوع من ذكر وأنثى من الحيوانات المسماه بالطاهرة ، وزوجا واحدا من الحيوانات المسماة بغير الطاهرة . ولكن بعد ذلك يتحدد أن نوحا لن يدخل إلى السفينة فعلا إلا زوجا من كل نوع من الحيوانات . ويؤكد المتخصصون ، مثل الأب ديفو أن المعنّى به هنا هو مقطع معدّل من الرواية اليهودية) .(١)

كذلك فما يدل على الاختلاف بين النص اليهودى ، والنص الكنهوتى أن الأول يشير إلى أن عامل الطوفان هو ماء المطر ، بينما يشير الثانى إلى أن الطوفان مزدوج أى ماء المطر والينابيع الأرضية .(٢)

كذلك هناك اختلاف بين النصيّن فى مدة الطوفان ، إذ تقول الرواية الأولى اليهودية أربعون يوما فيضانا ، على حين يقول النص الكنهوتى مائة وخمسون يوما .

وحسب تسلسل ميلاد الأنبياء الثلاثة آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام فإن التوراة تحدد مولد إبراهيم عليه السلام بثلاثة قرون بعد الطوفان .

ولكن حسب الرواية الواردة فى التوراة تبين أن الطوفان عّم كل الجنس البشرى ، وكل الكائنات الحية التى خلقها الله تعالى قد فنيت .

وعندئذ يتساءل موريس بوكاى : هل من المعقول أن البشرية – والأمر كذلك – قد أعادت تكوين نفسها ابتداء من أولاد نوح وزوجاتهم فى هذا الزمن القليل ؟

ويقرر بناء على هذه الملاحظة البسيطة عدم معقولية هذا النص(٣)

وتلك هى الملاحظة الأولى ...

أما الملاحظة الثانية فتتضح على ضوء المعارف الحديثة التى تثبت استحالة صحة رواية الطوفان الواردة فى التوراة : وتوضيح ذلك أن الطوفان حسب تقدير هذه

(١) المرجع نفسه ص٥٢ .
(٢) المرجع نفسه – ربما يقصد بوكاى بالمصدر اليهوى ، المصدر الألهى والكهنوتى نسبة إلى الكهنة .
(٣) ومما يجدر الاشارة إليه أن الآية القرآنية خصصّت قوم نوح فحسب (قال تعالى : ﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما ﴾ الفرقان /٣٧ .

الرواية يكون قد وقع فى القرن الـ ٢١أو الـ ٢٢ قبل الميلاد ، أى فى العصر كانت ظهرت قبله فى نقاط مختلفة من الأرض حضارات انتقلت أطلالها للأجيال التالية ، وهو ماتؤكده المعارف التاريخية الحديثة .[١]

ففى مصر مثلا يقابل التاريخ (٢١٠٠ق .م) الفترة الوسطى الأولى قبل الأسرة الحادية عشرة . وفى بابل أسرة أور الثالثة .

وعلى ذلك يتضح أنه لم يحدث انقطاع فى هذه الحضارات ، وبالتالى لم تفن البشرية كلها كما تقول التوراة .

وفى ضوء ذلك كله - كما يرى موريس بوكاى - فإن النصوص التوراتية التى وصلت إلينا لا تعبّر عن الحقيقة ، ثم يتساءل متعجبا : هل أنزل الله تعالى شيئا غير الحقيقة ؟

ولما كانت الإجابة قطعا بالنفى ، فلابد من افتراض وجود تحريف بواسطة البشر ، لاسيما إذا عرفنا أن مؤلفا مثل سفر التكوين قد عّدل على الأقل مرتين على مدى ثلاثة قرون .

ويستطرد متسائلا : (فكيف ندهش حين نجد فيه أمورا غير معقولة أو روايات يستحيل أن تتفق مع واقع الأشياء ، منذ أن سمح تقدم المعارف البشرية ، إن لم يكن بمعرفة كل شىء ، فعلى الأقل بامتلاك معرفة كافية عن بعض الأحداث تسمح بإقامة الحكم على درجة اتفاق الروايات القديمة بهذه المعرفة) .[٢]

وبعد هذا التعريف بالتوراة ، ونقد بعض نصوصها ، ننتقل إلى المصدر الثانى أى التلمود .

---

(١) المرجع نفسه ص٥٣

(٢) المرجع نفسه ص٥٤ .

ثانيا : التـــــــــلمود

يحتل التلمود المكان الأسمى كأحد مصادر العقائد والأفكار عند اليهود وقد يفضلونه على التوراة نفسها ، أو العهد القديم ، ويتخذونه (دستورا للعمل) بهدف السيطرة على البشرية ، واحتواء الأديان والأمم .[1]

والتلمود فى تعريف جامع هو (هذه الأحاديث الشفوية التى سجلت بعد ذلك – أى بعد التوراة – والتى كانت ثمرة النظر ودراسة الأسفار التى جاءت عن يهوه)[2] ، ويسمى متن التلمود (المشنا) ، وله شرحان أو (جمارتان) أحدهما جمارة أورشليم ، والأخرى جمارة بابل .[3]

وإذا أردنا فهم الشخصية اليهودية على حقيقتها والوقوف على خلفيات الأحداث الجارية الآن على مسرح السياسة العالمية أو المتصلة بجرائمهم التى يرتكبونها ليل نهار بفلسطين المحتلة ، فما علينا إلا دراسة هذا التلمود ، وتحليل بعض نصوصه ، ومعرفة كيفية تنفيذ تعاليمه بواسطة الجمعيات السرية كالماسونية .

---

(١) المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية : أنور الجندى ص١١ – دار – الاعتصام ١٩٧٧م .

(٢) فى العقائد والأديان للدكتور محمد جابر عبد العال ص٢١٨ – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م .

(٣) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود : د /محمد على البار ص٦١ ، ويذكر أن ما تدعى جمارة فلسطين أو أورشليم ، رغم إنها لم تكتب فى أورشليم القدس و (المشناة) بمعنى المثنى أو المكرر ، أى إنها تكرار وتسجيل للشريعة ، ثم (الجمادا) أى الشرح أو التعليق ، والتلمود بمعنى التعاليم (الأسفار المقدسة للدكتور وافى ص٢٢) .

وسنعرض لبعض النصوص ونحللّها ، ثم نبين كيفية تنفيذ تعليماته بواسطه جماعة الماسونية ، إذ لابد لمعرفة مكانة التلمود عند اليهود ، من إلقاء الضوء على بعض النصوص الواردة به ، وهى بنفسها تصور هذه المكانة :

- اعلم أن أقوال الحاخامات هى أفضل من أقوال الأنبياء .
- أن من يقرأ التوراة بدون المشنا والجمّارة (التلمود) فليس له إله .
- أن تعاليم الحاخامات لايمكن نقضها ولاتغييرها ولوبأمر الله .
- أن مخافة الحاخامات هى مخافة الله .(١) .

ويتضحّ لنا من دراسة أحد نصوصه مدى التغيير الذى أحدثه الحاخامات بواسطة التلمود ، حيث حولوا عيد الفطر الموجود فى التوراة إلى (طقوس يذبح فيها نصرانى أو غيره ، ويوضع دمه فى هذا الفطير المقدس . وقد جاء فى التلمود عندنا مناسبتان دمويتان ترضيان الاهنا يهوه ، إحداهما عيد الفطر الممزوج بالدماء البشرية ، والأخرى مراسيم ختان أطفالنا) .(٢)

وعندما نشر التلمود ، وقرأه بعض رجال الدين النصارى ، انفجرت عواطف المسيحيين بسبب الشتم والقذف الموجود فى التلمود لعيسى ابن مريم عليه السلام وقامت مذابح كثيرة لليهود فى أوربا بإيطاليا وبريطانيا وفرنسا وأسبانيا وروسيا كذلك تكررت أوامر إحراق التلمود بسبب ما يتضمنه من احتقار للدين المسيحى .

كل ذلك أدىّ إلى قيام حركات إصلاحية بين اليهود ، حذفت بعدها (المواد الموجهة إلى النصارى ، أو ترك مكانها غفلا ، أو وضع رموز لمعانيها يشرحها الأحبار

---

(١) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود للدكتور /محمد على البار ، ص١٦١ /١٦٢ وغيرها من النصوص التى تبين مكانة التلمود ، إلى جانب نصوص أخرى كوصف الاسرائيلى عند الله بأنه معتبر أكثر من الملآئكة ، واعتبار الشعب اليهودى هو الشعب المختار ، وباقى الشعوب فهم حيوانات ، ولايجيز التلمود أن يشفق اليهود على أعدائهم ، ولا يعتبر لأرواح غير اليهود حرمة ، كما ينص على إن من العدل أن يقتل اليهودى كل أممى لأنه بذلك يقرب قربانا إلى الله (ينظر كتاب اليهودية للدكتور شلبى ص٢٧٥ وما بعدها) .

(٢) المرجع نفسه ص٧١ .

لتلاميذهم)[1] ، أى أن هناك إصرارا من جانبهم على التمسك بتعاليم التلمود كاملة وتنفيذها ، وهذا ماتؤكده دائرة المعارف البريطانية التى تقول : (وتشهد إسرائيل حاليا عودة شديدة للتمسك بالتلمود والأصولية .[1] (Fundementalism)

وإننا نعبّر أمام هذه الأعمال عن ألمنا ودهشتنا معا . أما ألمنا ، فإنه يرجع إلى مشاهدتنا بأعيننا ما يقع على أرض فلسطين هذه الأيام ، وما حدث من قبل من مذابح مشهورة ، كمذابح دير ياسين وصابرا وشاتيلا وغيرها ، بحيث لا تعّد ضحايا الأعياد ومراسيم الختان شيئا يذكر إلى جانبها ، بالرغم من بشاعتها ومظهرها الإجرامى فى حق الإنسانية .

وأما دهشتنا فإنه بالرغم من النصوص التلمودية المهينة للمسيحيين ، فقد استطاع اليهود خداع الملايين منهم للانضمام إليهم فى مايسمى حركة بناء الهيكل ، على زعم أن المسيح المنتظر لن يظهر إلا بعد بنائه على أنقاض المسجد الأقصى ، (ومحاولات اليهود لهدم المسجد الأقصى أصبحت خبرا مكررا تنشره الصحف اليومية ، مع وثائق متعددة عن الخطط الجهنمية لتنفيذ هذا المشروع وضمان عدم ثورة العالم الإسلامى) .[2]

وربما يخفف من درجة عجبنا أن نقف على بعض أسرار الماسونية التى يتخذها اليهود كأداة لتنفيذ أهدافهم ، واتخاذ التلمود كمصدر للفكر الماسونى :

التلمود كمصدر للفكر الماسوني :

قلنا فيما سبق أن اليهود لقلة عددهم عوضّوا هذا النقص بتكوين الجمعيات والهيئات والنوادى ، تحمل شعارات جذّابة لتجذب إليها أصحاب النفوذ والأموال ورجال الأدب والصحافة والفن والوزراء ، وأساتذة الجامعات وغيرهم من رواد المجتمعات فى مختلف البلدان .

---

(١) نقلا عن المصدر السابق ص٥٦ .

(٢) المرجع نفسه ص١٢٨ ويقول الدكتور محمد على البار (وقد انضم إليهم ملايين النصارى فى الولايات المتحدة الأمريكية وتبرعوا بمئات الملايين . .الخ . .)

ومن هذه المجتمعات جماعة(الماسون) أو(البناؤن الأحرار) ... والماسونية هى جمعية سرية ترجع – فى الرأى الأرجح[1] – إلى بداية القرن الأول الميلادى فى عهد هيرودس أكريبا الثانى ملك الرومان الذى أهمّه ظهور المسيح – عليه السلام – فدعاه ذلك وبمعاونة مستشاريه إلى انشاء (جمعية سرية باسم « القوة الخفية » وكانت تتلخص مهمة هذه الجمعية فى التخلص والقضاء على المسيحية وأتباعها) .[2]

وقد حدد الملك هيرودس الهدف من إنشاء هذه الجمعية ، ويتلخص فى محاربة المسيحية التى تكاد تقوض الديانة اليهودية وتزعزع أركانها .[3]

والبيان الذى ألقاه آنذاك طويل ، إذا أوجزنا مضمونه فإنه يعبر عن عقائد اليهود نحو المسيح عليه السلام ، حيث ينكرون (ألوهيته) ونبوته ، ويخشون منه على ديانتهم اليهودية ، كما لا يقرون بأنه المسيح الذى ينتظرونه ، لذلك فإنهم حاكموه وأوقعوا عليه أشد العقوبات ، فصلبوه – حسب اعتقادهم – ودفنوه بعد موته ونصبوا حراسا على قبره ![4] ، ونرى فى هذا البيان العداء العميق للمسيحية والمسيحيين .

ثم قرر أن تكون أعمالهم خفية ، واختار دهليزا (سماه المحفل) لعقد الاجتماعات السريّة فيه (لكى لا يرانا أحد ولايسمعنا أحد ولا يعرف بنا أحد)

وفى المرحلة الثانية للماسونية – كما يذكر الدكتور الزّغبى – والتى تبدأ سنه٥٥م – نشطت الماسونية ، ودست على المسحيين بعض عملائها ليدخلوا فى المسيحية وينسفوها ، وربما كان منهم (بولس) الذى انحرف بالمسيحية .[5]

---

(١) هذا هو الذى يرجحه الدكتور عبد الرحمن عميرة ، حيث هناك احتمالات أخرى ، عن تاريخ نشأة الماسونية (كتابه المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص٢٩) ويرى أن التلمود هو الأصل الذى يستقون منه أفكارهم (١ص٨١) .

(٢) ،(٣) المرجع نفسه ص٣٠ – ط / دار اللواء بالرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٤) المذاهب المعاصرة للدكتور عبد الرحمن عميرة ص٣٠ .

(٥) المرجع نفسه ص٣٣ .

كل ذلك كانت تأتيه الماسونية بدافع الحقد التلمودى الذى يصّور المسيح – عليه السلام – أبشع الصور : ونكتفى بإيراد نصين :

(١) (يسوع المسيح ارتد عن دين اليهود وعبد الأوثان . وكل مسيحى لم يتهّود فهو وثنى عدوّ لله ولليهود) .

(٢) (يسوع الناصرى موجود فى لجّات الجحيم ، بين الزفت والقطران والنار وأمه مريم أتت به من زناها بالعسكرى باندرا (كذبا وبهتانا) والكنائس المسيحية بمقام القاذورات والواعظون فيها كلاب نابحة) .[١]

كذلك فإن الإسلام كان – ولايزال – مستهدفا لهجمات الماسونية إذ يرى الدكتور عبد الرحمن عميرة أن الماسونية – أو اليهودية العالمية – وراء الكثير من الخلافات بين المسلمين ،كالتجاهّى نفى القدر والجبريين ، وكذلك فكرة خلق القرآن التى يتصل سندها (بلبيد بن أعصم اليهودى القائل بخلق التوراة)[٢]

بل بدأ النشاط الماسونى مبكرا بقيادة عبد الله بن سبأ الذى كان يؤسس (الخلايا الماسونية السرية) فى تنقلاته بين العراق ومصر والشام . . وهو يغرى الرعاع ، وينشر المبادىء الهدامة للإسلام ، ومنها الزعم بألوهية على بن أبى طالب رضى الله عنه .[٣]

مسئولية الماسونية عن الثورات الكبرى فى العالم :

إذا كان التملود مصدرا للفكر الماسونى ، فلابد من إزاحة الستار عن الجمعيات الماسونية التى تنفّذ تعاليم التلمود وتحققها فى الواقع ، فقد ورد فى أحد نصوصه مايلى :

---

(١) من كتاب (المسيح المنتظر وتعاليم التلمود) ص١٥٧ للدكتور محمد على البار ط /دار السعودية / بجدة ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م .

(٢) المذاهب المعاصرة ص٤٢ .

(٣) مقدمة كتاب الخطر اليهودى (بروتوكلات حكماء صهيون) للأستاذ محمد خليفة التونسى – ط مكتبة دار التراث ص١٩٧٧م .

(يجب على كل يهودى أن يبذل جهوده لمنع استملاك باق الأمم فى الأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم . وقبل أن يحكم اليهود العالم بصورة نهائية يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق ، ويهلك ثلثا العالم . . . وعندما يأتى المسيح ، ويحصل النصر المنتظر تكون الأمة اليهودية إذ ذاك فى غاية الإثراء لأنها تكون قد حصلت على جميع أموال العالم ، وتحفظ هذه الكنوز فى سرايا واسعة)[1]

وكنا قبل الاطلاع على هذا النص وغيره نظن أن التوسع فى تصوير ذلك الدور للماسونية كأداة لهدم الحكومات وإثارة الحروب والنزاعات فى العالم ، هو لون من المبالغة[2] فى تضخيم دور اليهود بصورة أكبر بكثير من حجمهم ، ولكن الحق أننا كلما قرأنا أكثر عن تاريخ الثورات ، وعرفنا شخصيات من المتآمرين الحقيقيين المختفين وراء الستار ، تبين لنا صحة التعليلات الآنفة ، حيث يستغلون الأزمات القائمة ويستثمرون حركات الجماهير ويوجّهونها لصالحهم .

ويرى الأستاذ أنور الجندى أن أبرز أهداف الماسونية هو احتواء المسيحية وتدميرها من الداخل ، والعمل على تزييف الإسلام والسيطرة على مجتمعاته واستطاعت أن تحقق ثلاثة أعمال كبرى فتحت الطريق لإقامة اسرائيل فى قلب العالم الإسلامى ، وهذه الأعمال هى :

(١) الثورة الفرنسية التى أتاحت لهم تملك وجوه النشاط الثقافى والصحفى والسيطرة على رجال السياسة والحكم .

(٢) إسقاط القيصرية وإقامة البولشفية فى روسيا .

---

(١) نقلا عن كتاب : المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ص١٥٧ للدكتور محمد على البار ، وقد استخدمنا لفظ (الثورات) كمصطلح سائد ، وهى فى حقيقتها حركات انقلابية تهدم الأنظمة القائمة وتستحواذ على السلطة بطريقة غير شرعية لتفتح الطريق لأتباعها من الماسونيين للاستحواز عليها . .

(٢) ويرى الأستاذ العقاد أن دور الصهيونية فى الثورات – لاخلقها – ولكن اغتنام الفرص ، والتسلل من الثغرة المفتوحة ، ويضرب على ذلك مثلا بالشيوعية حيث سبقتها أسباب ومقدمات فى المجتمع الروسى استغلتها الصهيونية واتجهت إلى وجهتها (الصهيونية العالمية ٧٩) .

(٣) – إسقاط الخلافة العثمانية .

وسنكتفى بأن ننزع من وقائع التاريخ بعض الشواهد الدالة على صحة هذه الاستدلالات لنأخذ حذرنا من استفحال هذا الخطر الداهم علينا وعلى العالم ولكى لاننسى – والأجيال بعدنا – دور اليهود فى إلغاء الخلافة العثمانية لأن السلطان عبد الحميد رحمة الله تعالى رفض التنازل لهم عن أرض فلسطين .

ففيما يتعلق بالثورة الفرنسية ، ظهر من خباياها أن (ميرابو) أحد نبلاء فرنسا فى العهد الملكى – وهو من الماسون – أقنع (الدوق دورليان) بالاشتراك فى الثورة للإطاحة بالملك لويس السادس عشر لكى يستولى هو على عرشه . ولكن المتآمرين اليهود تخلصّوا منهما معا بعد نجاح الثورة .

ولما قام (روبسبيير) الذى اختاره اليهود لتولى الحكم بعد الثورة ليزيح الستار عن حقيقتهم ، ودوافعهم فى كلمة ألقاها بالجمعية الوطنية ، أردته رصاصة قاتلة فمات بسرّه الذى لم يبح به .[٢]

ويبدو أنه عندما حقق اليهود الماسون أغراضهم وأصبحت مقاليد السلطة فى أيديهم أو أيدى أتباعهم ، لم يعد يفزعهم إذاعة الأسرار ، بل ربما أباحوا بها تفاخرا وتحديا ، ومثال ذلك الكلمة التى ألقاها رئيس محفل الشرق الأكبر الفرنسى ١٩٢٣ ، وقال

---

(١) باختصار من كتابه (المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية)ص٩ ، ط دار الاعتصام بمصر عام١٩٧٧م . وكان وراء اسقاط الخلافة العثمانية ما وراءه من شروط وضعتها انجلترا على لسان (كرزن) رئيس وفدها فى مؤتمر توران ومنها إعلان الدولة (اللادينية) حيث ضرب الإسلام فى كيانه السياسى وقد عبّر العلامة شبلى النعمانى عن هذه الفاجعة أصدق تعبير بقوله (إن زوال الدولة العثمانية فى الواقع زوال ملك المسلمين وملتهم) ص٦٦ من كتاب (فى مسيرة الحياة) للأستاذ أبو الحسن الندوى –ط دار القلم /بيروت ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م .

(٢) المذاهب المعاصرة للدكتور عبد الرحمن عميرة ص٩٦ ، وقال فى هذه الكلمة (إننى لا أجرؤ على تسميتهم فى هذا المكان وفى هذا الوقت . . كما أننى لأستطيع كشف الحجاب الذى يعطى هذا اللغز فى الثورات منذ أجيال سحيقة . هذا وقد ورد بالنص بالبروتوكول الثالث (. .تذّكروا الثورة التى نسميها (الكبرى) ، إن اسرار تنظيمها التمهيدى معروفة لنا جيدا لأنها من صنع أيدينا .) ص١٣٨ /١٣٩ بروتوكلات حكماء صهيون .

فيها : (نشرب الآن النخب التالى نخب النظام الجمهورى الفرنسى ابن الماسونية العالمية).[1]

وإذا تكلمنا عن دور اليهود فى الثورة البولشفية وسيطرتهم على مقاليد السلطة فى روسيا الماركسية ، فيكفينا إحصاء عدد أعضاء المكتب السوفييتى هناك من اليهود إذ كان يتألف من (سبعة عشر عضوا : منهم أربعة عشر يهوديا صريحا وثلاثة من أصول يهودية أو من صنائع اليهود وزوجات الثلاثة يهوديات ، وهم ستالين وفيرشيلوف ومولوتوف).[2]

أما الحديث عن إلغاء الخلافة العثمانية فإنه حديث يدمى القلب حقا ويفتح أعين المخدوعين إلى أسباب الكوارث التى أصابت - ومازالت تصيب العالم الإسلامى - مالم يلتئم شمله من جديد ، فقد زال بزوال الدولة العثمانية ملك المسلمين وملّتهم ، كما وصفه العلامة شبلى النعمانى .

ومازالت الخبايا التى كانت وراء إلغاء الخلافة الإسلامية تظهر على السطح بمرور الزمن ، وظهرت الوثائق التى تجعلنا نصحّح بعض الأفكار والآراء التى حشت كتب التاريخ بالأكاذيب ، والأغاليط المتعمدة أحيانا : كتصوير أتاتورك بالبطولة أو اتهام السلطان عبد الحميد بالدكتاتورية ، أو صف حركة جمعية الاتحاد والترقى بأنها أخذت بيد تركيا إلى التقدم والحضارة .

هذا بينما أظهرت الوثائق أن الأحداث كانت تمضى بخلاف ذلك تماما ، فقد خلع السلطان عبد الحميد لإخلاصه فى الدفاع عن فلسطين ، ومواجهة اليهود وكان أتاتورك من طائفة (الدونما) اليهودية التى تتظاهر بالإسلام نفاقا . وتبين فى نهاية

---

(١) المصدر السابق ص٩٧ .

(٢) ص٧١ /٧٢ ، من مقدمة كتاب (الخطر اليهودى : بروتوكلات حكماء صهيون للأستاذ محمد خليفة التونسى ، وقد كتب ذلك فى سبتمبر١٩٥١ . ولانرتاب فى أن نفوذهم مازال كما هو حتى الآن إذ يصعب تصور تنازلهم عن السلطة من تلقاء أنفسهم . ويلفت نظرنا الأستاذ التونسى إلى مؤشر هام بقوله : (وتأمل الشعار اليهودى البلشفى فى صدر هذا الكتاب وحوله النجمة المسدسة وهى شعار علم اسرائيل) .

المطاف ، لبعض المخدوعين الذين اشتركوا فى المؤامرة ما تورطوا فيه (فهذا « أنور باشا » الذى قام بالدور الرئيسى فى الانقلاب على الخلافة ١٩٠٨م ، والذى تسبب فى تدهور الدولة العثمانية ، يقول فى حديث له مع « جمال باشا » إذ كانا يحللاّن أسباب الانحدار الذى أصاب الدولة التركية : « أتعرف ياجمال ما هو ذنبنا ؟ » ، وبعد تحّسر عميق قال : « نحن لم نعرف السلطان عبد الحميد فأصبحنا آلة بيد الصهيونية ، واستثمرتنا الماسونية العالمية نحن بذلنا جهودنا للصهيونية ، فهذا ذنبنا الحقيقى ») .[1]

---

(١) مكائد يهودية عبرالتاريخ ص٢٧٩ للدكتور عبد الرحمن حبنكة .

بروتوكلات حكماء صهيون

إذا بدأنا بتعريفها ، فإن الأقرب إلى الدقة وصفها بأنها (مجموعة من المبادىء الأساسية الاستراتيجية ، ولايمكن تغيرها بحال ، يزنون بها – وهم اليهود – تنفيذهم العملى) .[1]

وهذه البروتوكلات – بالرغم من عدم الترابط والظاهر بين بنودها – إلا أن – الدارس لها بمنهج تحليلى يتضح له فى النهاية أنها اتخذت شكل نسق متكامل وتضمنت خطة عمل مترابطة ترمى إلى إيقاع الأمميين (أى غير اليهود) فى شباك النفوذ اليهودى ، ووضعت السبل التى تحاصر فيه الأمميين فى كافة أوجه أنشطتهم وصنوف حياتهم ، أى حياة الفرد ومعتقداته وسلوكياته ، وحياة المجتمعات ونظمها الاقتصادية والسياسية والتربوية والثقافية .

كذلك تبدو الصلات واضحة بين بعض نصوصها ، ومحتويات التلمود والتنظيمات الماسونية ، وإلى القارىء بعض الشواهد :

- أننا مختارون من الله لنحكم الأرض .
- يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان .
- أن الأمميين كقطع من الغنم وإننا الذئاب .

---

(١) حقيقة اليهود ، فؤاد بن عبد الرحمن الرفاعى ص٢٧ ، دار القسّام بالكويت رجب ١٤٠٦هـ.

– إننا كنا الشعب الوحيد الذى يوجه المشروعات الماسونية .[1]

أما عن تاريخها فيرجع إلى أخريات القرن الماضى ، واكتنف ظهورها على العالم بعد أن كانت فى شكل وثائق سرية – كثيرا من الملابسات الملفتة للأنظار (فقد طبعت لأول مرة فى روسيا ١٩٠٥م ثم انتشرت ترجماتها فى سائر الأقطار الأوربية بلغات عدة ، ولوحظ – كما أشار الأستاذ العقاد أنها لا تظهر فى لغة من اللغات إلا اختفت على أثر ذلك ، وأنها اختفت أو تختفى كلما عادت إلى الظهور مترجمة أو مطبوعة من جديد) .[2]

وعندما نشرها لأول مرة أعلن اليهود على لسان زعيمهم (هرتزل) التبرؤ منها ، وأنها مزيفة ، وضغط اليهود على بريطانيا للتدخل فى روسيا لمصادرة نسخ الكتاب ، وكذلك فعلوا أيضا فى فرنسا ، وعملوا على إيقاف طبعه فى ألمانيا (وشاع أنه ما من أحد ترجم هذا الكتاب ، أو عمل على إذاعته بأى وسيلة ، إلا انتهت حياته بالاغتيال أو بالموت فى ظروف مريبة) .[3]

وهناك شواهد كثيرة ترجح صحة نسبة البروتوكلات إلى اليهود ، منها الدراسة المقارنة التى قام بها الصحفى البريطانى (فكتور مارسون)[4] ، على أثر الانقلاب الشيوعى فى روسيا ١٩١٧م ، حيث رأى فى هذا الانقلاب تحقيقا عمليا لتوقعات ناشرها الروسى نيلوسى ، منذ نشر البروتوكلات عام ١٩٠٥م ، وكان يحذر الروس حينذاك من مؤامرات اليهود .[5]

(١) من كتاب (الخطر اليهودى – بروتكلات حكماء صهيون) ترجمة محمد خليفة التونسى وتقدير الأستاذ العقاد – مكتبة دار التراث بمصر ١٩٧٧م ، الصفحات ١٤٥ ، ١٨٤ ، ١٧٢ ، ١٩٠ .

(٢) تعقيب محمد خليفة التونسى على كتاب (الصهيونية العالمية للعقاد) ص١٥٧ – ط مكتبة غريب بالفجالة بمصر عام ١٩٦٨م ، ويعلق فى الختام بقوله : (وتفسير هذه الظاهرة فيما نرى أن اليهود يجمعون نسخها كلما عادت إلى الظهور ، يفصح مؤامرة من مؤامرات (الصهيونية العالمية) .

(٣) حقيقة اليهود – فؤاد بن سيد الرفاعى ص٣٩ .

(٤) المصدر السابق ص٣٧ .

(٥) ومما قاله نيلوس حينذاك (ولايعلم إلا الله وحده كم كانت المحاولات الفاشلة التى بذلتها لابراز هذه البروتوكلات إلى النور ، أو حتى لتحرير أصحاب السلطان ، وأن اكشف لهم عن أسباب العاصفة التى تتهدد روسيا البليدة التى تبدو من سؤ الحظ إنها فقدت تقديرها لما يدور حولها) ص٢٤٤ – البروتوكلات (تعقيب سرجى نيلوس) .

كذلك فإن من يراقب ويتفكر فى أحوال العالم المعاصر ، كما فعل (هنرى فورد بكتابه : اليهودى العالمى) – يميل إلى تصديق ما ورد بهذه الوثائق السرية لأن الواقع يشهد بآثارها على أحوال الأمم والشعوب ، كما تشهد بصمات الأصابع على صاحبها ، فقد صرح ذات مرة لأصدقائه قائلا : (مهما كانت حقيقة هذه البروتوكلات ، فإنها تتفق مع ماهو واقع الآن . ولا يختلف مضمون هذه البروتوكلات عمّا جاء فى التلمود ، ثم يمضى فيذكر أحد نصوصها الذى يتضمن أن الثورة الفرنسية من صنع الماسون[١] . وكل من يرجّح صحتها يستند إلى مطابقة الواقع لتعاليمها ، وأن (لسان الحال أصدق من لسان المقال) .[٢]

البروتوكلات والحركات الصهيونية :

ولكى لا يتشعب بنا الحديث عن البروتوكلات ، فإننا نعرض لمضمونها من بعض المسالك المتصلة بأهداف بحثنا ، ومنها :

(أ) صلة البروتوكلات بمضامين تلمودية صريحة أو خفية (وغاية ماهنالك أن التلمود قد أجملت حيث عمدت هذه الوثائق إلى التفصيل والتمثيل)[٣]

(ب) لعل هذه الدراسة المقارنة وماشبهها تجعلنا نعيد تقويم بعض الشخصيات ، وتفسير بعض الأحداث المؤثرة فى عالمنا الإسلامى – تاريخيا وفى العصر الحديث ، وذلك ببحث مدى تطابقها مع تعاليم هذه الوثائق ونصوصها بين وقائع الأحوال والتصريحات المعلنة ، أوالسير بالشعوب إلى حتفها مع إيهامها بأنها تمضى نحو المستقبل المزدهر .

(ج) تحول اليهودية إلى دين سياسى فى العصر الحاضر باسم الصهيونية فقد برزت فى نهاية القرن التاسع عشر تقريبا (مفاهيم الصهيونية السياسية كتعبير عن اليهودية

---

(١) الماسونية تحت المجهر – د /إبراهيم فؤاد عباس ص٢٨ دار الرشاد – جدة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٢) مقدمة البروتوكلات للعقاد ص١٢ .

(٣) مقدمة البروتوكلات للعقاد ص١٢ .

غلفت نفسها بمنطق لغة السياسة وأساليب الوصول إلى الحكم) .[1]

* * *

(أ) إننا نجد أحد الأمثلة المعبرة عن التحام نصوص التلمود مع البروتوكلات فيما أوردته أحد نصوص التلمود بعد وصف الأمم والأجناس بالحيوانات وكيفية السيطرة عليهم : (يجب أن نزوج بناتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء وأن ندخل أبناءنا فى الديانات المختلفة ، وأن تكون لنا الكلمة العليا فى الدول وأعمالها ، فنفتنهم ونوقع بينهم ونجعلهم يحارب بعضهم بعضا ، وفى ذلك كله نجنى الفائدة الكبرى) .[2]

ثم نقرأ عن النتائج المتحققة فى البروتوكول الأول كالآتى : (ومن المسيحيين أناس قد أضلتهم الخمر ، وانقلب شبانهم مجانين بالكلاسيكيات والمجون المبكر الذين أغراهم به وكلاؤنا ومعلمونا وخدمنا وقهرماتاتنا (أى المربيات بالمنازل) فى البيوتات الغنية ، وكتبتنا ومن إليهم ، ونساؤنا فى أماكن لهوهم – والهين – ، أضيف من يسمين « نساء المجتمع » – او الراغبات من زملائها فى الفساد والترف .[3]

وربما كان النصيب الأوفر عند تنفيذ مثل هذه الخطط للمجتمع الأمريكى فقد أورد هنرى فورد بكتابه (اليهودى العالمى) مايثبت بالأدلة الوثيقة كيف دمّروا (الأخلاق والقيم باحتكار تجارة الخمور والبغاء والأزياء الماجنة والأشرطة الوضعية والمسرحيات البذيئة والآداب الساقطة) .[4]

---

(١) د /حامد ربيع : سلوك المالك فى تدبير الممالك ج١ ص٤١ – ط دار الشعب بمصر ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م . كذلك يحدد تاريخ ١٥ /٥ /١٨٩١م موعدا لاعلان البابا الكاثوليكى ليون الثالث عشر ارادة الكنيسة فى أن تتدخل فى الأحداث ، وأن تدفع بالقوى السياسة المدافعة عن مبادئها فى سبيل تحقيق أهدافها المدنية (نفس المصدر) .

(٢) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود – د /محمد على البار ص١٦١ .

(٣) البروتوكلات ص١٢٦ وينص البروتوكول الخامس على أنهم بذروا الخلاف بين كل واحد وغيره فى جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية ، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنا ص١٤٤ . ويذكر ان هناك طائفة عددها نحو ٤٠٠ أسلموا فى مصر عام ١٩٤٢م)تعليقه على البروتوكلات ص١٥٤ /١٥٥ .

(٤) معركة الوجود بين القرآن والتلمود – د /عبد الستار فتح الله سعيد ص٥٤ .

بل لايخلو مجتمع من المجتمعات بأقطار الأرض قاطبة من آثار أفعالهم ، فكيف نجحوا ؟

الحق أنهم تعمقوا فى فهم النفوس البشرية ودوافعها وغرائزها ، واستطاعوا بذلك قيادة عملائهم كيفما شاؤا . ولنقف قليلا على تحليلاتهم النفسية لهؤلاء :

ينص البروتوكول الرابع عشر بإحدى فقراته على الآتى : (ومعظم الناس الذين يدخلون فى الجمعيات السرية مغامرون يرغبون أن يشقّوا طريقهم فى الحياة بأى كيفية ، وليسوا ميالّين إلى الجّد والعناء . وبمثل هؤلاء الناس سيكون علينا أن نتابع أغراضنا ، وأن نجعلهم يدفعون جهازنا للحركة) . . . وفى فقرة أخرى نراهم يصفون الأمميين الذين يكثرون من التردد على الخلايا الماسونية بالفضول أو رغبة الحصول على الأشياء الطيبة ، كما يبحثون عن عواطف النجاح وتهليلات الاستحسان (وأنتم لا تتصورون كيف يسهل دفع أمهر الأمميين إلى حالة مضحكة من السذاجة والغفلة بإثارة غروره وإعجابه بنفسه ، وكيف يسهل من ناحية أخرى أن تثبّط شجاعته وعزيمته بأهون حنبة ، ولو بالسكوت ببساطة عن تهليل الاستحسان له ، وبذلك تدفعه إلى حالة خضوع ، ذليل كذل العبد) .[١]

ولكن سلطان المطامع والمنافع والشهوات لاتعمل وحدها – كما يرى الأستاذ العقاد فى تحليله لنفوس أولئك الأعوان ، بل لابد أيضا من أساليب الهدم والخداع أى هدم الأخلاق والأوطان والأديان ، وهى كالحصون التى تحمى ضحاياها (أما إذا أصبح المسلم غير مسلم ، وأصبح المسيحى غير مسيحى ، وأصبح الوطنى لايبالى بوطنه ، وأصبح الضمير الإنسانى ولاموضع فيه للحلال والحرام ، فهى على الأقل – ميدان لاموانع فيه ولاعقبات ، وإن لم يكن فيه أعوان وأذناب) .[٢]

---

(١) البروتوكلات ص١٩١ .

(٢) الصهيونية العالمية ، عباس العقاد ص٧٦ ، ويقول أيضا (فحسب الصهيونية كسبا أن تتهدم أركان الوطنية والدين وأن تنهار قواعد الأخلاق والآداب . . . فتستريح من هذه العوائق فى طريقها ، وتتفتح الأبواب لسلطان المال والخداع بغير شريك ولا حسيب (المرجع نفسه ص٧٩) .

(ب) إذا كان التلمود يغذىّ كما رأينا فى اليهود روح العنصرية والامتياز عن باقى الأمم ، وتنمىّ فى أنفسهم الاستهانة والاحتقار لغيرهم من الأجناس والشعوب والأديان ، فإن الغاية هى بسط سلطانهم على العالم كله .

إذا كان الأمر كذلك ، فإن قراءة البروتوكلات بهذا الفهم لاتزد عن كونها برنامج تفصيلى للأهداف اليهودية المتحققة على أرض الواقع ومفتاحا للوعى المتكامل لكثير من الواقعات التاريخية والمعاصرة ، وحفزا للهمم – وهذه هى غايتنا – لوضع البرامج العلمية والخطط الهادفة المضادة فى سبيل استكمال وظهور اليقظة الإسلامية المرتقبة التى تنمو الآن فى رحم الأمة .

وإذا أخذنا برأى ابن خلدون صاحب النظرية التى تدرس تاريخ الأمم وواقع المجتمعات والحضارات بتشبيهها بالجسد الإنسانى[1] ، رأى كجسد حّى يتكون إجمالا من رأس مفكرّة وقلب نابض وجسد تتقاذفه الغرائز (إن لم يخضع لأوامر ونواهى الشرع) ، فإننا نرى فى تطبيق نظريته على مضمون البروتوكلات أقرب الطرق لاستيعابها ، وهذا ما سنفعله بمنهج تركيبى فى القوالب الآتية :

(١) تغيير العقائد والأفكار بإزاحتها وإحلال بدلها نظريات زائفة .

(٢) صنع القيادات وجعلها تابعة للخلايا الماسونية السرية ، وقد عرفنا نفسياً كيف يسوقون الأعوان والأتباع إلى ما يريدون .

(٣) صرف جماهير الشعب عن المتابعة والاهتمام بما يدور حولها ، حتى تخرج من حلبة الصراع وتتفسخ إرادتها وتصبح طوع البنان تتحرك كالسائمة لاتدرى من أمرها شيئا .

(١) العقائد والأفكار :

ورد بالبروتوكول الثانى أن نجاح دارون وماكس ونيتشه كان بترتيبهم مع ترقبهم

---

(١) ويرجع الفضل إلى الدكتور حامد ربيع إلى لفت النظر إليها وبيان أثرها التطبيقى فى الممارسة على النظريات السياسية الغربية .

للأثر الغير أخلاق لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الأممى .[1] ويبدو أن بعض الأعضاء كانوا مكلّفين بتتبع آثارها الأخلاقية ، فسجلّوا فى البروتوكول التاسع هذه الملاحظة :

(ولقد خدعنا الجيل الناشئ من الأمميين وجعلناه فاسدا متعفنا بما علمنّاه نظريات، معروف لدينا زيفها التام ، ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها)[2] .

كذلك حرصوا على الترويج لما سمّوه بالنظريات المبهرجة ، أى التى تبدو فى ظاهرها تقدمية أو تحررية ، وهى فى حقيقتها ليست كذلك (ولايوجد عقل واحد بين الأمميين يستطيع أن يلاحظ أنه فى كل حالة وراء كلمة « التقدم » يختفى ضلال وزيغ عن الحق ، ماعدا الحالات التى تشير فيها هذه الكلمة إلى كشوف مادية أو علمية) إذ ليس هناك إلا تعليم حق واحد) .[3]

ويسجّل البروتوكول الأول أنهم أول من صاغ فيها الناس قديما (الحرية والمساواة والإخاء) ، فأخذت الجماهير ترددها كالببغاوات ، بينما (حرمت الفرد من حريته الشخصية الحقيقية التى كانت من قبل فى حمى يحفظها من أن يخنقها السفلة)[4] ، ولكنهم يفخرون بأن هذه الصيحة جلبت إلى صفوفهم فرقا كاملة بينما هى فى الواقع تحطم سلامتهم واستقرارهم ووحدتهم مدمرة بذلك أسس الدول .[5]

(٢) القيادات :

تمضى الخطّة فى هذا الصدد خلال ثلاث شعب : أحدهما : إزاحة الفئة الممتازة التى تستحق تولى زمام الأمور عن جدارة واستحقاق لتفوّقها ، واستبدالهم بوكلائهم التابعين لهم (وسنخضع الرّعاع لهذا النظام لأنهم سيعرفون أن هؤلاء القادة مصدر أجورهم وأرباحهم وكل منافعهم الأخرى) .[6]

(١) البروتوكلات ص١٣٢ .
(٢) المرجع نفسه ص١٥٩ .
(٣) المرجع نفسه ص١٨٣ .
(٤) المرجع نفسه ص١٢٨ .
(٥) المرجع نفسه ص١٢٩ .
(٦) المرجع نفسه ص١٦٣ .

والثانية : الحط من كرامة (رجال الدين من الأمميين) فى أعين الناس باعتبارهم عقبة كؤد فى طريق اليهود (وأن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوما فيوما) .[1]

والثالثة : السيطرة الاقتصادية بالحصول على الاحتكار المطلق للصناعة والتجارة ، مع تجريد أصحاب الأراضى من الأمميين من أراضيهم (لأن معيشتهم المستقّلة مضمونة لهم بمواردهم) ، مع العمل على استنزاف الثروات بحيث تصبح فى أيدى اليهود ، فيعّم الفقر الطبقات العاملة (وعندئذ يخّر الأمميون أمامنا ساجدين ليظفروا بحق البقاء) .[2]

(٣) جماهير الشعب :

ربمّا تتضح فاعلية البروتوكلات الخطيرة فى التنفيذ بشكل واقعى أكبر إذا طالعنا الفقرات المتصلة على الجماهير ، وكيفية قيادتها بعد إفقادها الوعى وخلخلة إرادتها ، حيث تتشابك النصوص بعضها ببعض كالسلاسل الحديدية التى تقيّد أيدى الإنسان وأرجله ، هذه السلاسل الشيطانية وحدها لتحقيق الإفساد الذى يسعى إليه اليهود ، فما البال بها بكلهّا ؟

إنها تتشابك وتتعقد فلا تترك عضوا من الأعضاء فى جسد الأمة الممثل فى جماهير الشعب إلا وقد أحاطت به والتفّت حوله ، فبدءا من تدمير الحياة الأسرية وإفساد أهميتها التربوية ، إلى السيطرة على الصحافة بنشر التعصبات الدينية والقبلية ، وبث الفوضى الاجتماعية ، إلى تضليل الرأى العام ، وإيقاعه فى الحيرة بتغييرات من جميع النواحى لكل أساليب الآراء المتناقضة حتى لايكون له رأى فى المسائل السياسية .[3]

وإمعانا فى صرف الجماهير عن الاهتمام بالمسائل السياسية ، فإنهم يلهونها بأنواع

---

(١) المرجع نفسه ٢٠٤ .

(٢) المرجع نفسه ص١٤٩ .

(٣) ينظر البروتوكلات الصفحات ١٦٣ ، ١٧٩ ، ١٤٦ ، ١٥١ .

شتى من الملاهى والألعاب ومزجيات الفراغ وغيرها ، ولاينسون أيضا تدبير الأزمات الاقتصادية وإلجاء الحكومات إلى القروض وتحميلها بالفوائد .[1]

(ج) كيف أفلح اليهود – وهم أصحاب الدين المغلق – من إقامة دولة وكيان قائم على عقيدة دينية ؟

تمهيدا للإجابة على هذا السؤال نستطلع بعض مواد البروتوكلات ، ومنها (إن السياسة لاتتفق مع الأخلاق فى شىء)[2] ، وفى نص آخر يشير إلى ضرورة سحق كيان حكومة الأقلية الفاضلة العادلة التى تقف ضدهم ، ثم تأتى الخطوة التالية أى (نستثير مرض ضحايانا من أجل المنافع ، وشرهم ونهمهم ، والحاجات المادية للإنسانية ، وكل واحد من هذه الأمراض يستطيع وحده مستقلا بنفسه أن يحطم طليعة الشعب ، وبذلك نضع قوة إرادة الشعب تحت رحمة أولئك الذين سيجرونه من قوة طليعته) .[3] أى يؤسّد الأمر إلى غير أهله ، وأضف إلى ذلك الالتزام بشعارهم وخلاصته (كل وسائل العنف والخديعة) .[4]

وتأتينا الإجابة على لسان الأستاذ العقاد فى وصف أساليب الصهيونية وتتلخص فى (استطلاع الأسرار الخفايا ، وتسخير سلطان المال لاستغلال الحركات الاجتماعية والعلاقات الشخصية بذوى النفوذ ، والاتجاه بها إلى الوجهة التى تحقق لها مصالحها وأغراضها)[5] .

ثم يكشف لنا الدكتور حامد ربيع عن أسرار أخرى لاتتوافر إلا للقلة ، فقد عكف

---

(١) المرجع نفسه ص١٨٣ :٢١٨ .

(٢) المرجع نفسه ص١٢٢ .

(٣) المرجع نفسه ص١٣٠ ويفّسر الأستاذ التونسى الطليعة بأنهم الممتازون الذين يتقدمون طوائف الشعب ويتزعمونها ويقضون فى امورها .

(٤) المرجع نفسه ص١٢٢ .

(٥) الصهيونية العالمية ص٧٥ ، ويتحدث عن (الصهيونية المستمرة) التى ظهرت فقط فى العصر الحديث ، بينما لم تقم لليهودية كلها دولة فى العالم منذ أكثر من سبعة وعشرين قرنا ، فلم تكن قط فى عداء المستعمرين بقوة حكومتها وجيشها ، وإنما كان عملها فى الاستعمار أنها تستتر وراءه ، وتمهد له وتعتمد عليه فى الاستغلال وامتصاص دماء الشعوب .

على دراسة أدوات الغزو الاستعمارى أو مايسميها (أدوات التسميم السياسى) الذى خضعت له المنطقة منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وخلص إلى لفت أنظارنا إلى طبيعة الاستشراق كأداة من أدوات الغزو الاستعمارى ، وبيّن أنشطته :

(١) كوسيلة للنفوذ الغربى فى فهم العالم العربى .

(٢) كأداة لاستقطاع القوى غير المسلمة ، وبذر عناصر الطابور الخامس فى تلك الأقليات .

(٣) كأداة لإعادة تشكيل منطق الطبقات القيادية .

هذا ، ولم يتهيأ للاستشراق النجاح إلا بعد بذره للمدارس الأجنبية والإرساليات الإنجليزية والفرنسية والأمريكية ، ثم الجامعات التى كانت أداة ثقافات غير عربية (وغير إسلامية أيضا) . وجاءت الحركة الصهيونية فانتفعت بكل هذه الخبرات وأضافت إليها[1] .

---

(١) باختصار من كتاب (الثقافة العربية بين الغزو الصهيونى وأرادة التكامل القومى) ص٢٨ /٢٩ ، دار الموقف العربى بالقاهرة ١٩٨٢م . ويبرهن د /حامد ربيع على صدق استنتاجاته بأن أمة الجهاد انحرف بها بعض قادتها إلى أسلوب التفاوض مثل سعد زغلول فى مصر ونورى السعيد فى بغداد ، كذلك أخذت بعض القيادات الفكرية تسبّح بحمد الحضارة الغربية : مثل طه حسين وتوفيق الحكيم ، بينما عاش العقاد مشردا ومات فقيرا .

الألــــوهيــة

إن كل من يبحث عقيدة الألوهية فى الديانة اليهودية المحرفة من مصادرها – التوراة والتملود – يتضح أن فكرة الألوهية لديهم كانت قد انتكست فى عصر تدوينهم لهذه الأسفار (فتصوّروا الله عز وجل فى صورة مجسّمة ، ووصفوه بكثير من الصفات غير اللائقة بالألوهية – تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .[1]

منها الزعم الكاذب بأن الله (تعالى علوا كبيرا) استراح فى اليوم السابع بعد خلق السموات والأرض ، فأعلن القرآن الكريم كذبهم وبهتانهم بقولة تعالى ﴿ **ولقد خلقنا السموات والأرض ومابينهما فى سته أيام وما مسنا من لغوب** ﴾ ق /٣٨ .

وتدل هذه الأسفار أيضا على أنهم كانوا يعتقدون بتعّدد الآلهة مع تصورهم بأن لهم إلها خاصا وإنهم هم أحباؤه . وتقول السيدة / مريم جميلة المهتدية للإسلام (وكان تصّورى لإله اليهود مشوهًا وغير لائق ، فقد بدا لى الله فى صورة وكيل مقاطعة دنيوية) .[2] واعتقدت بعض فرقهم بوجود ابن لله .

وهناك تخيلاّت وأوهام يلحقونها بالله تعالى ، منها مايرويه التلمود عن أعماله فى الليل والنهار ، وعن حالته بعد هدم الهيكل وتشريد بنى اسرائيل (كمذاكرة التلمود مع الملائكة ، ومع ملك الشياطين والاعتراف بالخطأ بعد هدم الهيكل وتشريد بنى إسرائيل والبكاء والندم والغضب على بنى اسرائيل والقضاء عليهم بالتشريد والشقاء) ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .[3]

إن مثل هذه الاعتقادات الباطلة المخالفة لعقائد التنزيه للة تعالى جعلت عالما غربيا كبيرا – وهو ول ديورانت – يميل إلى ترجيح أن الفاتحين اليهود (عمدوا إلى أحد

(١) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ، د /على الواحد وافى ص٢٤ .
(٢) رجال ونساء أسلموا ج١ ص٣٩ /ط دار القلم / الكويت ١٣٩٨هـ/١٩٨٧م .
(٣) الأسفار المقدسة ص٢٨ /٢٩ .

آلهة كنعان فصاغوه على الصورة التى كانوا هم عليها ، وجعلوا منه إلها : الإله يهوه ، فيهوه ليس خالقهم بل مخلوق لهم ، وفى يهوه صفاتهم الحربية : التدمير والسرقة ، ويهوه قاس مدمّر متعصب لشعبه لأنه ليس إله كل الشعوب ، بل إله بنى إسرائيل فقط ، وهو بذلك عدّو للآلهة الآخرين ، كما أن شعبه عدّو للشعوب الأخرى) . (١)

من هنا ، حق لكل منصف من علماء مقارنة الأديان – كالقرافّى – أن يتساءل : (فأين هذا القول من قول المسلمين ؟ أن خلق الله تعالى لجملة العوالم كخلقة لأقل جزء من جناح بعوضة ، وأن إيجاده بأن يقول للشيء : كن فيكون)(٢)

ويستخلص من ذلك – وكذلك يفعل كل باحث منصت لصوت العقل ، ومستخدم لموازين العدل – أنه شتّان بين عقائد اليهود بمصادرها المحرّفة – وبين عقائد المسلمين الذين يثبتون لله تعالى الصفات اللائقة بكماله وجلاله عز وجل من التوحيد والتمجيد اللائق بجلال الربوبية وتعظيم الله تعالى (وأما قول اليهود فتأنف منه دبغة الجلود ، وهذه المواضع وشبهها من أعظم الأدلة على تبديل التوراة وأنها غير المنزلة من الله تعالى ، وهذا يجزم به كل عاقل) .(٣)

الايمان باليوم الآخر :

يلاحظ الباحثون أن هناك اضطرابا وغموضا فى عقيدة اليهود فى اليوم الآخر فهى أقرب إلى الانكار منها إلى الإقرار والإيمان .

ويرجع ذلك إلى اختلاف النصوص الواردة عن الآخرة بين التوراة والتلمود : فقد خلت أسفار العهد القديم من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه ، بينما ذكر التلمود فى بعض فقراته الجنة والنار (ولكنها فى صورة مضطربة أدنى إلى الخرافة والأساطير منها إلى حقائق العقيدة ، فتذكر هذه الفقرات أن الجنة تأوى إليها الأرواح

(١) قصة الحضارة ج٢ ص٣٤ نقلا عن (المخططات التلمودبة للأستاذ أنور الجندى ص٢٩ .
(٢) الأجوبة الفاخرة (عن الأسئلة الفاجرة) للقرافى ص١٤٨ – ط دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
(٣) نفس المصدر .

الزكية ، وأنه لايدخلها إلا اليهود ، وأن أهلها يطعمون من لحم أنثى الحوت المملّحة ، كما يتناولون لحم طير كبير لذيذ الطعم ولحم أوز سمين ، وأن شرابهم فيها نبيذ معتّق عصره الله فى اليوم الثانى من الأيام التى خلق فيها العالم ، وأن النار لغير اليهود من المسلمين والمسيحين) .[1]

ومن هنا اختلفت الآراء حول معتقدات اليهود عن اليوم الآخر ، فيرى الدكتور وافى أن بعض فرق غير شهيرة من فرق اليهود كانت تذهب فى عقيدتها إلى ما يقرّره التلمود فى هذه الفقرات ، وكانت تفسّرها بمدلولها الحقيقى لابمدلولها المجازى .[2]

ويستدل من ذلك على أن أسفارهم من صنع أيديهم ، وأن توراتهم المزعومة مخالفة للتوراة الصحيحة التى أنزلها الله تعالى على موسى – عليه السلام – نورا وهدى للناس .

وقد وجدت هذه الاضطرابات فى النصوص والاختلاف فى التأويل صدى لدى اليهود والمعاصرين حيث تأتى أصدق شهادة على لسان السيدة / مريم جميلة المهتدية للإسلام – حيث تخبرنا باعتقاد والدها وأفراد أسرتها وجميع أصدقائهم الذين (يهزأون من أى تفكير فى الآخرة ، ويقولون بأنها خرافة محضة وأن الإيمان بيوم القيامة والجزاء فى الجنّة والعقاب فى النار ضرب من الأفكار البالية من مخلفات العصور القديمة) .[3]

ثم تخبرنا بما هو أعجب وأدعى إلى التفكر والنظر فى تطور هذه العقيدة فى أذهان الصهاينة وارتباطها بفكرة إنشاء إسرائيل . فقد زعم أحد الأحبار بأنها (تعنى حق اليهود الباطل فى العودة إلى فلسطين) .[4]

---

(١) الأسفار المقدسة ص٢٨ .

(٢) المرجع نفسه ص٢٩ .

(٣) رجال ونساء أسلموا ج١ ص٥١ وذكرت أن فلسفة والدها كانت تتلخص فى أن على الواحد منا أن يتجنب التفكير فى الموت وأن يتمتع بمباهج الحياة بأقصى مايستطيع .

(٤) المرجع نفسه ص٣٩ والحبر هو إبراهيم إسحق رئيس قسم الدراسات العبرية بجامعة نيويورك الذى زعم أيضا بأن الإسلام مشتق من اليهودية .

الأنبيـــــــــــــاء

تنسب الأسفار لبعض الأنبياء – كما يذكر الدكتور وافى – أعمالا قبيحة تتنافى مع وضعهم الدينى والاجتماعى ، بل تتعارض مع الخلق الكريم فى ذاته ولا يتصوّر صدورها إلا من سفلة الناس ، كالقصص المفتراه عن ابراهيم ولوط وداود ونوح عليهم السلام .[1]

ومن جهة أخرى يتوسع اليهود – لا سيما الذين لا يلتزمون بالنصوص المقدسة – فى دائرة النبوة والأنبياء ، ويدخلون فيها كل من هب ودب ، فيرون فى (الكهنة والأحبار الذين تلوا الأنبياء الأخيرين : دانيال واستير وعزرا ونحميا وملاكى ، استمرارا للوحى والنبوة) .

ويضيف الدكتور حسن ظاظا إلى ذلك قوله : (بل إن كثيرا من العلمانيين اليهود ممن ألهبت أرواحهم نيران الصهيونية الحديثة يبقون باب النبوة هذا مفتوحا حتى القرن العشرين ليدخل منه تيودور هرتزل أيضا)[2] .

كذلك فقد أنكروا نبوة نبينا محمد ﷺ ، ولكنهم لم يفلحوا – ولا أفلح غيرهم – من النيلّ منه مهما اختلقوا من أكاذيب وافتراءات لأنها تتصّدع وتنهار أمام شخصيته وأخلاقه التى تسمو على المطاعين والترهّات لكل من درس سيرته بتجرد ونزاهة – ، بل يتضح الإسلام فى دائرته الواسعة – كدين وحضارة – مرتبطا بشخصيته أوثق ارتباط ، إذ يتضح أيضا صدق نبوته إذا ما استخدمنا منهج المقارنة

(١) الأسفار المقدسة ص٤٠ /٤٨ . ومما يذكر أيضا إن تاريخهم ازدحم أيضا بالأنبياء المحترفين الذين ازدادوا زيادة كبيرة جعلت الجيل الواحد يشهد أكثر من ٤٥٠ من ذلك الصنف (ينظر كتاب المهندس أحمد عبد الوهاب (النبوة والأنبياء) مكتبة وهبة بالقاهرة – ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م .

(٢) ص٥–٦ من كتاب (الفكر الدينى اليهودى : أطواره ومذاهبه) دار القلم – دمشق ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م دار العلوم – بيروت .

بهذه الرؤية الجامعة لأن شخصيته وسنّته ليست بمعزل عن شريعة الإسلام وأمة الإسلام لأنهما من آثاره الباقية ، ﷺ .

وهذا مافعله ابن تيمية بمنهجه المقارن الموسّع المتضمّن لهذه الشعب كلها : .

بدأ بسرد مجمل مبينا بعده تفاصيل ما أجمله ، فقال : (وسيرة الرسول ﷺ من آياته وأخلاقه ، وأقواله وأفعاله وشريعته ، من آياته ، وأمته من آياته ، وعلم أمته ودينهم ، من آياته وكرامات صالح أمته من آياته ، وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد إلى أن بُعث ، ومن حين بعث إلى أن مات) .(١) وفصّل بعد ذلك حيث أورد أن نسبه من صميم سلالة إبراهيم الذى جعل الله فى ذريته النبوة والكتاب ، وقد دعا إبراهيم لذرية إسماعيل بأن يبعث فيهم رسولا منهم .

وكان عليه الصلاة والسلام أكمل الناس تربية ونشأة ، ولم يزل معروفا بالصدق

---

(١) الجواب الصحيح لمن بّدل دين المسيح ج٤ ص٨٠ مطبعة المدنى بدون تاريخ ، كذلك لاينبغى إغفال بشارات التوراة والإنجيل بمجيء محمد ﷺ التى ينكرها اليهود والنصارى عنادا – منها ماورد فى سفر التثنية (جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران) – ينظر كتاب محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن ، لابراهيم خليل أحمد – مكتبة الوعى العربى من ص٣٥إلى ٤٩ ، وكتاب النبوة والأنبياء للمهندس أحمد عبد الوهاب من ص١١٩ إلى ص ١٦٢ على سبيل المثال لاالحصر ولعل أبرز الكتب التى عالجت نبوُات الكتاب المقدس باسهاب هو كتاب (محمد ﷺ) تأليف البروفسور عبد الأحد داود المهتدى للإسلام ترجمة فهمى شمّا ومراجعة وتعليق أحمد محمد الصديق – من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر –١٤٠٥هـ/١٩٨٥ وعن التبشير برسول الله ﷺ قال الأستاذ محمد قطب : وجاء الإنجيل على لسان عيسى عليه السلام (يأتى من بعد الفارا قليط)وهذه كلمة يونانية معناها الحمد ، أى إنها مشتقة من (أحمد) وقد أبوا أن يترجموها فى النسخة العربية وأبقوها هكذا لكى تظل غير مفهومة للقارىء ، ولكيلا يعلم من هذا الذى سيأتى بعد المسيح (عليه السلام) وقد مّر الزمن ، ولم يات بعد المسيح إلا محمد ﷺ .
وفى عام ١٣٦٥هـ(١٩٤٥م) نشرت صحيفة الأهرام المصرية هذا النبأعلى إحدى صفحاتها : « عثر فى دير سانت كاترين بسيناء على نسخة قديمة من التوراة جاء فيها ذكر محمد ﷺ » . ثم اختفت هذه النسخة ولم تعد مرة أخرى إلى الظهور . ص١١٦ من كتاب : علم التوحيد للصف الثانى الثانوى / محمد قطب (الرئاسة العامة لتعليم البنات بالسعودية عام ط١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

والبر والعدل ومكارم الأخلاق ، وكان أميّا من قوم أمّيين ، ولم يقرأ شيئا عن علوم الناس ، ومع هذا فإنه عندما أكمل أربعين سنة أتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها ، فجاء بعجائب الآيات وأكمل الشرائع ، وظهر دينه بالعلم والحجة وباليد والقوة . واتبّعه ضعفاء الناس لا لرغبة ولا لرهبة وعاداه أهل الرياسة ، وآذوه . وآذوا أتباعه بأنواع الأذى ، وهم صابرون محتسبون .[1]

وعندما اجتمع فى أحد مواسم الحج بأهل يثرب ، وكانوا قد سمعوا من جيرانهم اليهود عنه – آمنوا به واتبعّوه فهاجر هو وأصحابه إليهم ، ثم أذن له فى الجهاد ، ثم أمر به ، فقام بأمر الله على أكمل طريقة وأتمّها فى جميع حالاته .

وعندما مات ﷺ لم يخلف شيئا إلا بغلته وسلاحه ، ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين صاعا من شعير .

وهو فى كل وقت يظهر على يديه عن عجائب الآيات وفنون الكرامات مايطول وصفه .[2] . وبعد هذه الأوصاف التى أوجزناها نقلا عن ابن تيميةّ ، يأتى إلى المقارنة بين عقائده وشريعته والعقائد والشرائع الأخرى .

لقد جمع محاسن ما عليه الأمم ففى العقيدة والتوحيد لايذكر فى التوراة والإنجيل والزبور نوع من الخبر عن الله ، وعن ملائكته ، وعن اليوم الآخر إلا وقد جاء على أكمل وجه وأخبر بأشياء ليست فى هذه الكتب .

وقس على ذلك العبادات والحدود والأحكام ، وسائر الشرائع ، وكلها أفضل وأرجح ، فليس فى تلك الكتب إيجاب لعدل وقضاء بفضل ، وندب إلى الفضائل وترغيب فى الحسنات إلا وقد جاء به ، وبما هو أحسن منه[3] .

وينوّه ابن تيمية بفضائل أمته ﷺ من حيث الشجاعة والجهاد فى سبيل الله

---

(١) المرجع نفسه ص٨١ مختصرا .

(٢) المرجع نفسه ص٨٢ .

(٣) المرجع نفسه ص٨٣ .

والسخّاء والبذل ، وكلها تعلموّها منه ، دون اتباع كتاب قبله مثلما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة .

وآمنت أمته بالرسل والأنبياء قبله ، وآمنت بجميع الكتب المنزلّة كما أمرهم ولم يستحلّوا أخذ شيء من الدين من غير ماجاء به . ومن أدخل فى الدين ماليس منه مثل أقوال فلاسفة اليونان والفرس أو الهند ، أو غيرهم وكان عندهم من أهل الإلحاد والابتداع .

وبالرغم من التنازع الذى حدث بين المسلمين إلا أنهم اتفقوا على هذا الأصل الذى هو دين الرسل عموما ، ودين محمد ﷺ خصوصا . ومن خالف هذا الأصل كان عندهم ملحدا مذموما (١).

وينتهى شيخ الإسلام فى الختام إلى بيان أن كمال علمه ودينه ، يناقض الشر والخبث والجهل ، فتعيّن أنه متصف بغاية الكمال فى العلم والدين ، وهذا يستلزم أنه كان صادقا فى قوله : « إنى رسول الله »(٢) ﷺ .

وبعد . . .

هذه هى معالم المنهج الموسعّ المستخدم بواسطة شيخ الإسلام ، وسنعود إلى تطبيق بعض شعبه بعد حديثنا عن الديانة النصرانية ، لأن أتباعها أيضا لا يقّرون بنبوته ...

---

(١) المرجع السابق ص٨٥ .

(٢) المرجع نفسه ص٨٦ .

الفصل السادس

النصـــــــــرانية

تمهيد :

لم ينقطع الحجاج العقلى مع أهل الكتاب منذ نزول الوحى على رسول الله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ آل عمران /٦٤ .

واستمرت المحاورات والمناقشات – ومازالت – تشتد حينا وتضعف أخرى ولا يكاد يخلو عصر من المساجلات الشفوية والمدوّنة[١] .

غير أننا نعيش فى عصر تفرّد بمظاهر جديدة خلت منه العصور الماضية[٢] فقد تحولت فيه اليهودية إلى دين سياسى كما بيّنا آنفا ، كذلك فإن النصرانية قد دخلت نفس المرحلة ، أى اكتساب النفوذ السياسى بإعلان البابا الكاثوليكى ليون الثالث عشر فى١٥ /٥ /١٨٩١م (إرادة الكنيسة فى أن تتدخل فى الأحداث وأن تدفع

---

(١) من أشهرها فى العصر الحاضر محاورات الأستاذ أحمد ديدات مع رجال الدين النصارى ، ومنها محاورته مع القس الأمريكى سوجارت .

(٢) وأبرزها إتفاق اليهود والنصارى فى عدائهم للإسلام والمسلمين ، فقد عم الفرح والسرور أوروبا وأمريكا على أثر هزيمة المسلمين العرب فى حرب يونيو١٩٦٧ بينما لاننسى مسئوليتهما عن إنشاء اسرائيل (٤٧ /٤٨ من كتاب رسالة البابا بولس السادس – د /عبد الودود شلبى) ط دار الانصار بالقاهرة ١٩٧٨ .

القوى السياسية المدافعة عن مبادئها فى سبيل تحقيق أهدافها المدنية)[1] .

كذلك صاحبت موجة الاستعمار موجات التبشير حتى وصفت هذه المرحلة المعاصرة بأنها امتداد للحروب الصليبية فى العصور الوسطى ، ولكن فى أثواب جديدة أشدّ وأخطر من سابقتها ، إذ توالت الحملات على الإسلام وكتابه ورسوله ﷺ بأقلام حاقدة لاتبغى الحق بقدر ماتبغى الإساءة والطعن[2] .

وهانحن أمام خيوط عدائية تشابكت فى شكل استعمار عسكرى وتشويه للإسلام وحملات تبشير ومن ثم فإنه من التبسيط المخلّ وصف كل هذا بأنه مجرد (غزو ثقافى) .

كلا أنه تكتّل ذو أبعاد دينية ونفسية وتاريخية وثقافية يحمل برمته طابع الاصطدام والتحدى الذى لم ينقطع بين الحضارتين : الغربية المسيحية والحضارة الإسلامية .

يقول الدكتور حامد ربيع : (هذه الرهبة التى ترسبّت فى ذهن القيادات الأوربية تعود إلى بداية العصور الوسطى ، وظهرت خوفا من الدولة العثمانية يرتبط هذا الخوف بعملية تشويه الحقيقة الإسلامية . . الحضارة الأوربية استندت دائما إلى كبرياء شكلى ، وهى فى هذا وريثة الحضارة الرومانية : حضارة القوة والغطرسة . . عقدة الإسقاط تأبى إلا اضفاء عيوب الذات على الغير . . وتأتى الحركات التبشيرية لتكمّل هذا التطور : تشويه الإسلام)[3] .

---

(١) سلوك المالك فى تدبير الممالك ج١ ص٤١ تحقيق وتعليق د /حامد ربيع حيث يسجل أيضا إنه فى نفس الوقت يلاحظ (تقييد الدلالة السياسية للدين الإسلامى وإبعاده بصورة أو بأخرى من الحركة السياسية ومن مفاهيم الصراع السياسى) نفس المصدر ص٤٤ .

(٢) وتعدى الأمر إلى ممارسة الطعن أثناء حملات الزيارات الشخصية . يقول الأستاذ أحمد ديدات (كنت وأصدقائى هدفا دائما لخريجى هذا المعهد أى معهد تخريج الوعاظ النصارى – فلم يكن يمر يوم لايضايقنا فيه هؤلاء باهاناتهم للإسلام ، والنبى ﷺ والقرآن) .
ص٨٥ من كتابه (هل الكتاب المقدس كلام الله ؟) – ترجمة نوره أحمد النومان – مكتبة أبو القاسم – جدة .

(٣) الإسلام والقوى الدولية ص٩ /١١ –ط – دار الموقف العربى ١٩٨١م .

الأمة الإسلامية : أمة ودعوة :

ولكن الحق أننا أمة داعية ، ولسنا أمة معتدية ، رسالتنا الهداية إلى الحق لا السيطرة والاستعلاء وقهر الشعوب ، وصفحات تاريخنا أنصع بياضا من أية صفحات أمة أخرى ، فلم تتعرض جيوشنا إلا لحماة الظلم ومانعى الدّعاة من أداء رسالتهم ، وكانت الحروب سجالا بين جندنا وجند قاهرى الشعوب الذين يقفون عقبة فى سبيل الهداية ، فلم تتعرض للسكان الآمنين المدنيين شيوخا ونساء وأطفالا ورهبانا فى صوامعهم .

يقول الجوينى : (ابتعث الله محمدا ﷺ إلى الثقّلين ، وحتّم المستقلين بأعباء شريعتة دعوتين :

أحدهما : الدعوة المقرونة بالأدلة والبراهين والقصد منها إزالة الشبهات وإيضاح البينّات .

والأخرى : الدعوة القهرية المؤيد بالسيف المسلول على المارقين الذين أبوا واستكبروا بعد وضوح الحق المبين)

من هذا الفهم الفقهى الصحيح لرسالتنا والتطبيقات الواقعية المطابقة لحقائق التاريخ ، يحقّ لنا أن نتأ لم ونمتعض مما يلاقيه العالم الإسلامى منذ الحروب الصليبية من روح عدائية ، تظهر آثارها على أمتنا وشعوبنا الآن فى أندونيسيا والفلبين وتايلاند والهند والحبشة والسودان وبلغاريا وألبانيا ويوغوسلافيا وغيرها من البلدان التى يستهدف فيها المسلمون لألوان من العسف والظلم وكبت الحريات وحملات التنصير .

ومع هذا كله فإننا سنتخلص بقدر طاقتنا من آثارها على النفس بالصبر والمثابرة ، ونقيم منهجنا العلمى فى عرض العقائد النصرانية وشرحها فى ضوء قوله تعالى : ﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾[1] ، محتكمين إلى المناقشة الهادئة بالحجج العقلية. والطرق المنطقية

---

(١) غياث الأمم فى التياث الظلم ص١٥٣ /١٥٤ تحقيق د / فؤاد عبد المنعم ومصطفى حلمى – ط دار الدعوة بالاسكندرية ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م .

لتوعية أبناءنا بحملات التشهير التى تجاوز أحيانا كل الحدود ، ونأمل أيضا أن نلقى آذانا صاغية وقلوبا خالية من التعصب وراغبة فى معرفة الحق واتبّاعه ، لا سيما بعد انحياز العالم الغربى لليهود مع استخدام التبشير لاستمرار استعمار العالم الإسلامى ، فإن العلاقة وثيقة بينهما (وخاصة ما يصدر عن العالم الأنجلو سكسونى البروتستانتى الذى يخضع بحكم تراثه الدينى والفكرى إلى التأثير اليهودى وتفسيراته المتعسفة لنبؤات العهد القديم ... حيث تدعى إسرائيل قيامها على مزاعم توراتية دينية يؤمن بها البروتستانت إيمانا أعمى)[1] .

(١) سورة الصف آية /٩ والتوبه والفتح .

التعريف بالأناجيل

تعتبر الأناجيل فى النصرانية – كما يقرر الشيخ أبو زهرة – بمكانة القطب والعماد فى النصرانية ، فهى تشتمل على أخبار شخصية المسيح – عليه السلام – من وقت الحمل إلى وقت الصلب فى اعتقادهم ، وقيامه من قبره بعد ثلاث ليال ثم رفعه بعد أربعين ليلة ، كما تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح فى زعمهم والصلب والفداء[1] .

وقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة كما أثبت ذلك مؤرخو النصرانية (ثم أرادت ، الكنيسة فى آخر القرن الثانى الميلادى – أو أوائل القرن الرابع أن تحافظ على الأناجيل الصادقة – فى اعتقادها – فاختارت هذه الأناجيل الأربعة من الأناجيل الرائجة إبان ذلك)[2] .

أما عن طريقة اختيار هذه الأناجيل فلا تخلو من طرافة حيث يروى التاريخ أن قسطنطين الأكبر جمع ثلاثمائة من القساوسة فوضعوا الأناجيل تحت طاولة العشاء المقّدس ودعوا الله أن تصعد الأناجيل الصادقة فوق الطاولة ، ويبقى الزائف منها تحتها ، فصعدت الأناجيل الأربعة الحالية فوق الطاولة وأصدر قسطنطين قرارا باعتبار غيرها زائفة ، وأمر بإحراقها وإعدام كل من احتفظ بنسخة منها[3].

ويقول موشيم فى كتابه (تاريخ الكنيسة) : (لقد كانت هذه الأحكام ظالمة غير معقولة ، حتى أن الملك نفسه ندم عليها بعد ذلك . فقد أصدر الملك قسطنيطين

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص٤٨ /٤٩ط الرئاسة العامة للبحوث العلمية بالرياض ١٤٠٤هـ.
(٢) المرجع نفسه ص٤٩ .
(٣) تاريخ الإنجيل والكنيسة ص٦٦ لأحمد ادرب / دار الحراء بمكة المكرمة ١٩٨٧م .

حكمه بإحراق كتب فرقة آريوس فى ذلك الموكب ونفيهم من البلاد ، لكنه بعد بضعة أعوام وفى ٣٣٠م حين قالت أخت الملك وهى على فراش الموت أن قراره ضد هذه الفرقة كان ظالماً ، وقد أصدره بناء على تعصب أعداء آريوس لا على أساس الصدق والحق ، ألغى الملك قراره هذا ، ولكن آريوس كان قد مات قبل أن يصل إليه قرار العفو)[١] .

ومهما يكن من أمر ، فلا ينبغى أن تنسينا هذه الأحداث المذهلة الوقوف على الوثائق الأصلية التى اعتمدت عليها الأناجيل ، وهل تحمل فعلا كلمة الرب ؟

الأصول المخطوطة :

يذكر القس سوجارت فى مجال الإثبات أنه (يوجد مايقرب من أربعة وعشرين ألف مخطوطا يدوى قديم من كلمة الرب ، من العهد الجديد وحده فى الواقع . وأقدمها يرجع إلى ثلاثمائة وخمسين عاما بعد الميلاد . والنسخة الأصلية أو المنظورة أو المخطوط الأول لكلمة الرب لا وجود لها)[٢] .

ولكن الشيخ أحمد ديدات أثبت أن ذلك ليس دليلا على أنها من عند الله – تعالى – إذ ليس بين هذه المخطوطات – على كثرتها – اثنان متماثلان باعتراف علماء النصارى أنفسهم ، فالإنجيل الذى بين أيديهم ليس إنجيل عيسى – عليه السلام – الذى هو من عند الله ، أو عندما تتفحص هذه الكتب تجد العبادات الآتية المذكورة بنسخة الملك جيمس وهى :

(الإنجيل وفقا للقديس متّى)
(الإنجيل وفقا للقديس مرقّس)
(الإنجيل وفقا للقديس لوقا)
(الإنجيل وفقا للقديس يوحنا)

---

(١) نقلا عن المصدر السابق .

(٢) المناظرة الحديثة فى علم مقارنة الأديان – بين الشيخ ديدات والقسيس سوجارت ص١٢١ ، جمع وترتيب د /أحمد حجازى السقا وتقديم الشيخ محمد الغزالى – مكتبة زهران بالأزهر بمصر ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

صلة الأناجيل بالتوراة

وقبل الحديث عن الأناجيل الأربعة عند النصارى ، يحسن بنا أيضا شرح العلاقة بينها وبين التوراة ، وموقف كل من اليهود والنصارى منهما ، فإن اليهود (يؤمنون بأن العهد القديم أو التوراة وحدها هى كلام الله ، ولا يعترفون بالعهد الجديد ، أما المسيحيون فيعتبرون العهد القديم كتاب الشريعة والعهد الجديد عهد الفضل والكفارة)[1] .

وتعليل ذلك أن الأناجيل خلت من الأحكام التشريعية واعتمادا إلى الرواية المنسوبة للمسيح عليه السلام أنه ما جاء لينقض الناموس . أى شريعة موسى – بل ليكمله (وباستثناء الأمور التى يرى المسيحيون أن الأنجيل قد نسخها من التوراة فإنهم يؤمنون ببقيتها ويعتبرونها كتابا مقدسا إلهيا لاغنى عنه فى التشريع)[2] .

أما عن تاريخ التدوين فيذكر كولمان فى كتابه (العهد الجديد) أن الإنجيل ظل خلال ثلاثين أو اربعين سنة موجودا بشكل عام بصورة شفوية وكانت الصياغة الشفوية بتأثير وعظ تلاميذ المسيح – عليه السلام – ووعّاظ آخرين ، ثم جمعت هذه

(١) تاريخ الإنجيل والكنيسة ، أحمد ادريس ص٦١ط دار حراء بمكة المكرمة ١٩٨٧م .

(٢)المرجع نفسه : ويورد إن كمونة اليهودى مضمون عقيدتهم فى هذا الصدد حيث قالوا (نحن مؤمنون بكل ماجاء فى التوراة وفى آثار بنى اسرائيل التى لامدفع فى صدقها لشهرتها وعلانيتها فى الجماهير العظام . ونؤمن بأنه فى أخريات أمرهم وعقابه تجسمت اللاهوتية وصارت جنينا فى بطن عذراء من أشرف نساء بنى اسرائيل من نسل داود . .(من كتاب تنقيح الأبحاث للملل الثلاث : اليهودية المسيحية – الإسلام) لسعد بن منصور بن كمونة اليهودية (القرن السابع الهجرى) ط دار الأنصار بالقاهرة – تقديم د /عبد العظيم المطعنى .

الروايات الشفوية وكتبت[1].

ويقول الأب كنغسر(لاينبغى الأخذ حرفيا بالأناجيل ، فهى (مكتوبة بالمناسبة) أو (للنضال) أوردها الكتاب خطيا روايات جماعاتهم عن المسيح[2] .

ألا يلفت نظرنا تعبيراته عن الكتابة بالمناسبة وللنضال ؟ لاشك أنها تخفى وراءها عوامل نزاعات دينية وخلافات عقائدية .

إذاً لابد لاستكمال حلقات البحث والتمهيد لفهم واستيعاب نصوص الأناجيل من ضرورة التعريف بالشخصية البارزة فى تاريخ المسيحية المبكر ، والتى ترتبط بها العقائد والطقوس المسيحية – وهوبولس – أوشاول – كذلك ضرورة إلقاء الضوء على المعارضة الشديدة التى لقيها من أتباع المسيح عليه السلام ، والتى لولا الإلمام بها ، لما استطعنا أن نقف على البواعث الحقيقية لكتابة الأناجيل .

(أ) كلمة عن بولس :

لابد للباحث فى النصرانية من الإحاطة بشخصية (بولس) الذى حّول مجرى عقائدها وعباداتها ، عما جاء به عيسى عليه السلام إلى ديانة أخرى مخالفة تماما وصح نسبتها إلى (بولس) بدلا من نسبتها إلى المسيح عليه السلام .

فمن هو بولس ؟ أو شاول ؟

إنه يعرفنا بنفسه بقوله (أنا يهودى فرّيس بن فريس على رجاء قيامة الأموات) . وكان شديد العداء للمسيحين ، فأخذ يعمل فيهم قتلا ، ويجر الرجال والنساء ويسلمهم إلى السجن ويسطو على الكنيسة[3] .

(١) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ص٧٦ /٧٧ باختصار .
(٢) المرجع نفسه ص٧٨ .
(٣) المسيحية للدكتور /شلبى ص٧٢ .

وقد تضمن سفر الأعمال صنوفا من ألوان التعذيب والاضطهاد والتقتيل الذى فعله بالمسيحيين حتى اعترف بنفسه فى نصوص كثيرة ، منها ما جاء فى الإصحاح الثانى والعشرين مخاطبا اليهود (كنت غيورا لله ، كما أنتم جميعكم اليوم واضطهدت هذا الطريق حتى الموت ، مقيدا ومسلما إلى السجون رجالا ونساء كما يشهد لى أيضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين إذا أخذت منهم رسائل للأخوة إلى دمشق ذهبت لآتى بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكى يعاقبوا)[1] .

ويعطينا الأستاذ ابراهيم خليل بعض اللمحات المميزة التى تفرّق بينه وبين المسيح عليه السلام ، من حيث المباحث الدينية وطرق الدعوة ، فقد تميزت طريقة المسيح (بطابع السمو والبساطة حتى يفهما لأول وهلة - الزارع والصانع والمثقف والأمى والرجل والمرأة دون أدنى إجهاد للذهن . وعندما سئل كيف يرث الحياة الأبدية ؟ أجاب المسيح - عليه السلام : « إن الدين هو حياة وقوة وليس مجرد تعاليم » . الدين هو أن يعيش المرء فى إطار أحكام الشرع لايتعدى أوامر الله ولا يقترف نواهيه)[1] .

أما أسلوب بولس المدعو رسولا ، فإنه يعبّر عنه.فى هذا النص : (فإنى إذ كنت حرا من الجميع استبعدت نفسى للجميع ، لأربح الأكثرين ، فصرت لليهودى كيهودى لأربح اليهود ، وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس . . .إلخ ، صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء صرت للكل كل شىء لأخلص على كل حال)[2] .

ويستخلص من تحليله لأقواله وتعاليمه أنه كان متعمقا فى معرفة الفلسفة اليونانية فكانت سارية فى كتاباته ، هذه الفلسفة التى لم ترو قط عن المسيح عليه السلام[3] .

---

(١) نقلا عن محاضرات فى النصرانية ص٨٨ .
(٢) محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن ص١٢١ .
(٣) المرجع نفسه ص١٢٣ .

ولم يقتصر الأمر على هذا ، بل أنه أشاع فكرة التمييز العنصرى أيضا ، وهى تناقض مبادىء المسيح ، وهاهونداء بولس إلى أهل غلاطية : (أطرد الجارية وابنها لأنه لايرث ابن الجارية مع ابن الحرة ، إذن أيها الأخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد حرة) . فأين هذا من قول المسيح (أحبوّا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم)(١) .

ويصف لوقا كيف تحول بولس إلى المسيحية فيقول : (وعندما كان بولس قريبا من دمشق ، فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض ، وسمع صوتا قائلا : شاول ، شاول لماذا تضطهدنى ؟ فقال : من أنت ياسيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذى تضطهده . فقال وهو مرتعد ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له : قم وكرّز بالمسيحية) . وكان ذلك حوالى سنة ٣٨م .

وبعد هذه الواقعة التى تدعو حقّا إلى التأمل ثم العجب للتغير المفاجىء المذهل فى شخص بولس وعقيدته ودعوته ، تأتى فى قصة لوقا جملة ذات بال – وتوصف بحق ، كما وصفها الدكتور شلبى أنها غيرت وجه التاريخ ، وهى (وللوقت جعل يكرّز فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله)(٢) .

(ولم تكن هذه الفكرة قد عرفت من قبل)

ومنذ ذلك الحين ، أخذ يدعو إلى المسيحية بحميّة ونشاط ، ويستخدم مواهبه من الذكاء وقوى الفكر ، والقدرة على التأثير فى الجماهير للسيطرة عليهم وانتزاع الثقة به ، واستطاع بمواهبه ونشاطه وحركته الدائبة فى الدعوة والخطابة والكتابه أن يفرض رأيه على المسيحيين (فيعتنقوه دينا ، ويتخذوا قوله حجة زاعمين أنه رسالة أرسل بها)(٣) .

أما وجه العجب فى تحول بولس من حالة إلى نقيضها ، فهذا الذى يجعلنا نشارك

---

(١) المرجع نفسه ص١٢٤ .

(٢) المسيحية للدكتور شلبى ص٥٣ .

محاضرات فى النصرانية ص٩٠ .

فيه رأى الأستاذ أبو زهرة – رحمه الله تعالى – حيث عبّر عن ذلك بأسلوبه البليغ ، ومنطقه السديد ، قال بعد بيانه إن انتقال بولس كالكثيرين غيره من الكفر إلى الإيمان – ربما لايثير العجب ، لأن له أشباه ونظائر ، (بل العجب كل العجب أن ينتقل شخص من الكفر المطلق بدين إلى الرسالة فى الدين الذى كفر به ، وناوأه وعاداه ، فإن ذلك ليس له نظير وليس له مشابه ولم يعهد ذلك فى أنبياء ورسل قط ، وهذه توراة اليهود ، وأسفار العهد القديم التى يؤمن بها المسيحيون كما وردها ، وكما قالوها ، ليذكروا لنا رسولا بعث من غير أن يكون فى حياته الأولى استعداد لتلقى الوحى ، وصفاء نفس يجعله أهلا للإلهام ؟ ولايجعل الاتهام والتكذيب يغلبان على رسالته ، وأنه إذا لم يكن للرسالة إرهاصات قبل تلقيها ، لايكون على الأقل قبلها ما ينافيها ويناقضها ، ولكن بولس أبو العجب استطاع أن يتغلب على ذلك العجب فى عصره ، وأن يفرض نفسه على المسيحيين من بعده ، وأن يحملهم على نسيان العقل عندما يدرسون أقواله وآراءه وتعاليمه)[١] .

(ب) النزاعات الدينية :

يوجهنا موريس بوكاى إلى أهم نزاع حدث بين أتباع المسيح عليه السلام منذ رفعه وحتى منتصف القرن الثانى حيث حدثت معركة بين اتجّاهين أى بين ما يمكن أن يسميه (المسيحية البولسية) ، (اليهودية – المسيحية) ، ويقصد بالأولى المسيحية من وضع بولس ، والثانية المسيحية كمذهب يهودى ، حيث أخذت الأولى بكثير من التدرج مكانة الثانية وانتصرت عليها .

ويحدثّنا التاريخ بأن (جماعة الرسل الصغيرة) ، التى كانت تشكل مذهبا يهوديا أمينا على الممارسات ، ومراسم المعبد ، هذه الجماعة انفصلت عن بولس تماما ، وتصادمت معه بما يعرف بـ (حادث انطاكية٤٩) « فقط أسقط بولس الختان ، والسبت ، ومراسم المعبد بالنسبة إلى اليهود ، وقد كان على المسيحية أن تتحرر من انتمائها السياسى الدينى إلى اليهودية لتنفتح على الوثنيين)[٢] . وانتهى الأمر بهذه

(١) محاضرات فى النصرانية ص٩٠ .

(٢) التوراه والإنجيل والقرآن والعلم – موريس بوكاى ص٧٠ /٧١ باختصار ترجمة الشيخ حسن خالد – ط الكتب الإسلامى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

الجماعة من اليهود والمسيحيين إلى اعتبار بولس خائنا ، ولديهم وثائق تصفه (بالعدو) وتتهمه (بالازدواجية المداهنة) وكان رئيس الجماعة إذ ذاك يعقوب قريب المسيح ، وأخذت أسرة المسيح مكانة عظمى فى كنيسة القدس اليهودية – المسيحية (وخلف يعقوب سيكون سمعان بن كليوفاس ابن خالة المسيح)[1] .

وكانت رسالة اليهودية – المسيحية طيلة القرن الأول منتشرة فى كل مكان أى على الساحل السورى الفلسطينى من غزة حتى أنطاكية ، وفى آسيا الصغرى كذلك ، وكانت روما أيضا مركزا مهما لهم .

ويستخلص موريس بوكاى من الواقعات التاريخية والنزاع بين الطائفتين مغزى هاما حيث يتضح أن النصوص التى بين أيدينا اليوم بدأت بعد كثير من تعديلات المصادر – حوالى سنة ٧٠م – أى فى العصر الذى كانت فيه الطائفتان المتنافستان فى ألدّ الخصام . ولما كان اليهود – المسيحيون – هم المسيطرون حتى ٧٠م ، ثم ضعفوا بعد ذلك وقل نفوذهم – فإن ذلك يفسر لنا كيف ظهرت الأناجيل الأربعة فيما بين هذا العام – وقبيل ١١٠م – ويرى الأب كننغسر بأنه لولم يكن جو الخصومة المثارة من انقسام الفكر البولسى (لما وصلت إلينا هذه الكتابات التى بين أيدينا اليوم (كتابات القتال هذه))[2]برزت هذه الكثرة من الكتابات التى ظهرت عن المسيح ، عندما كانت المسيحية ذات الأسلوب البولسى بعد أن انتصرت نهائيا ، قد كونّت مجموعة نصوصها الرسمية (القانون) الذى أبعد كل الوثائق الأخرى التى لا تتفق مع الخط المختار من الكنيسة[3] .

ويزيدنا الدكتور أحمد شلبى إيضاحا عن حركة الاضطهاد الموجهة إلى المسيحيين الأصليين أتباع عيسى عليه السلام ، فيذكر أن المسيحية التى خرجت ظافرة لم تكن مسيحية عيسى بل مسيحية بولس ، ومسيحية الفلسفة الإغريقية (ولما كانت هذه

---

(١) المرجع نفسه ص٧١ .

(٢) المرجع نفسه ص٧٣ .

(٣) المرجع نفسه ص٧٣ .

المسيحية قد ابتدعت أشياء لا يرضى بها المسيحيون الأصليون كألوهية المسيح والتثليث وغيرهما ، فقد بدأ صراع جديد اعتبر فيه المسيحيون الأصليون متمردين وأوقعت بهم المسيحية الإغريقية أو مسيحية بولس ألوانا من العنت والاضطهاد)[1] .

وبعد فإذا كانت هذه هى العوامل التى أحاطت تاريخيا بكتابة الأناجيل فإن محاولات التنقيح مازالت قائمة على قدم وساق ، حيث (هناك ادّعاءات كثيرة لتناقضات فى الكتاب المقدس لم يستطع العلماء حلها حتى الآن ، وفيها ما يسّر كل كافر ملحد . فهناك بعض الصعوبات النصيّة التى مازال العلماء يتصارعون معها إلى يومنا هذا . ولاينكر هذه الحقيقة إلا من كان جاهلا بالكتاب المقدس)[2] . هذا ولعل التعريف بنسخة الملك جيمس تقرب إلينا فهم هذه المحاولات .

---

(١) مقارنة الأديان (٢ –المسيحية) للدكتور أحمد شلبى ص٥٠ – ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥م .
(٢) الحقيقة المجردة – يوليو ١٩٧٥ نقلا عن (هل الكتاب المقدس كلام الله ؟) ص٧٧ .

كتاب طائفة البروتستانت
نسخة الملك جيمس

وصفت هذه النسخة بأنها (أنبل إنجاز فى النثر الإنجليزى ، فمراجعوها عام ١٨٨١م أعجبوا ببساطتها ، وسموها بقوتها ونغماتها المرحة . . . وإيقاعها الموسيقى وتعبيراتها اللبقة ، فقد دخلت فى تكوين خصائص المؤسسات الحكومية فى الدول المتحدثة باللغة الإنجليزية)[١] .

ومع هذا فإن علماء اللاهوت الذين راجعوها وساعدهم فى اخراجها هيئة استشارية تمثل خمسين طائفة دينية ، هم أنفسهم قرروا إن (نصوص الملك جيمس بها عيوب خطيرة جدا ، وإن هذه العيوب والأخطاء عديدة وخطيرة مما يستوجب التنقيح فى الترجمة الأنجليزية)[٢] .

مع العلم بأن هذه النسخة أقرّها البروتستانت بعد حذف سبعة كتب من أصل كتاب الرومان الكاثوليك ، باعتبارها كتب مشكوك فى صحتها (ويسمونّها الأبوكريفا Apocrypha)

ويذكر القسيّس سوجارت سبب الاستبعاد بأن البروتستانت يؤمنون بأن الأسفار

---

(١) هل الكتاب المقدس كلام الله ؟ للداعية أحمد ديدات ص١٩ ، ترجمة نورة أحمد النومان – مكتبة أبو القاسم /جدة .

(٢) المرجع نفسه ص٢٠ أما نسخة الكنيسة الكاثوليكية من الإنجيل فهى نسخة (وى اوليز) والمقصود بنسخة الملكك جيميس تلك التى أهداها البطريرك (كيرلس لوكا) بطريرك القسطنطينية إلى الملك جيميس الأول (١٦٠٣ /١٦٢٥م) .

المستبعدة ليست وحيا فيقول (وهناك بعض الأسفار ، تعرف « بأبوكريفا » وهى لم توضع مع أناجيل البروتستانت ، ولكن الكاثوليك يضعونها مع أناجيلهم لأسباب خاصة بهم . والسبب الذى يجعلنا لا نضم هذه الأسفار إلى الإنجيل : هو ببساطة أننا نؤمن بأنها ليست وحيا . وعندما تقوم بفحصها ، تجد أمامك أسباباً كثيرة تكفى لإظهار أنها ليست وحيا)[1] .

وعندما نهض الشيخ أحمد ديرات ليدلى بدلوه فى المناظرة ألقى الضوء على كلمة « أبوكريفا » وأعتبرها من المصطلحات (الفنية) التى يستخدمها القساوسة بينما لاتعرف الجماهير المسيحية معناها (ومعناها : مشكوك فى أمره - ضعيف - ليس أهلا لأن يوضع فى كتاب الله . ولهذا السبب استبعدها البروتستانت واعتبروها تلفيقا)[2] .

ثم أشار إلى نسخة أنجيل الملك جيمس باعتبارها النسخة المعتمدة وتساءل : (معتمدة ممن ؟ ليس من الله تعالى . معتمدة من الملك جيمس . أنه هو الذى اعتمدها ، وليس الله تعالى)[3] .

إنجيل متّى :

يصف بوكاى هذا الإنجيل بقوله (يشغل إنجيل متى المكانة الأولى بين الأناجيل الأربعة ، فى ترتيب تقديم كتب العهد الجديد . وهذا مثبت تماما لأن هذا الإنجيل فى صوره ما ، ليس إلا امتداداً للعهد القديم . إنه قد كتب ليعرف بأن « عيسى عليه السلام يكمل تاريخ بنى اسرائيل »[4] .

لذلك فقد كتب متّى إنجيله بالعبرانية ليبشر اليهود بالمسيحية . أما عن تاريخ كتابته

---

(١) المناظرة الحديثة ص١٢١ .

(٢) نفس المصدر ص١٣١ .

(٣) المرجع نفسه ص١٣٢ .

(٤) التوراه والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاى ص٨٠ ، ترجمة الشيخ حسن خالد - المكتب الإسلامى ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م .

ومدى صحة نسبه إلى متى ، فإن بعض العلماء والنقاد (يميلون إلى القول بأن هذا الإنجيل من تأليف أتباع متى . . وأكثر العلماء يرجعون به إلى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين عامى٨٥و٩٠)[١] .

وحول ما يدور من علامات أستفهام حول تاريخ تدوينه وترجمته ومعلوماتنا عن شخصية المترجم ، وغير ذلك من بيانات ضرورية لتوثيق نصوصه يقرر الشيخ أبو زهرة إن كل هذا يؤدى إلى فقد حلقات فى البحث العلمى[٢] .

كذلك يقّرر الكاهن (جيمس كلسى) إن (التعاليم القديمة تعزو هذا الأنجيل إلى الحوارى متّى . هذا ما يقوله الناس ، لكن العلماء فى عصرنا الحاضر يرفض معظمهم وجهة النظر هذه)[٣] .

وربما يعتمد فى ذلك على مايراه بعض الباحثين المسيحيين (أن الجزء الذى ألفه متّى الحوارى ضاع فى زمانه ، وأن مابين أيدينا الآن لم يصرح مؤلفه فيه باسمه)[٤] .

لذلك يتساءل الأستاذ أحمد ديدات متعجبا (فإذا لم ينسب هذا الكتاب (بشارة متّى) إلى الحوارى متّى ، فكيف نقبله كلام الله) ؟ ، وهو يستند فى نفى نسبة الكتاب إلى متّى – إلى رأى الأستاذ فيليبس – وهو عالم فى اللاهوت بالكنيسة الإنجليزية الذى يقول (لقد اعتمد الكاتب على الـQ الغامضة التى ربما كانت مجموعة من التراث الشفهى) . ويعنى بالـQ هنا كلمة Quella بالألمانية وتعنى مصادر)[٥] .

(١) محمد ﷺ فى التوراه والإنجيل والقرآن ، إبراهيم خليل أحمد ص١٣٤ ويذكر إن متى يعتمد على المعجزات التى تعزى إلى المسيح ، ويحرص حرصا شديد – يدعو إلى الريبة – على أن يثبت إن كثيرا من نبؤات العهد القديم قد تحققت فى شخص المسيح – عليه السلام) .

(٢) محاضرات فى النصرانية ص٥٤ .

(٣) المناظرة الحديثة ص١٥٥ أى بمعنى آخر : إن القديس متى لم يكتب البشارة التى تحمل إسمه ص٤٦ هل الكتاب المقدس كلام الله ؟

(٤) تاريخ الإنجيل والكنيسة – أحمد إدريس ص٦٩ .

(٥) هل الكتاب المقدس كلام الله ؟ أحمد ديلدات ص٤٦ .

إنجيل مرقص :

ومن الثابت تاريخيا أن مرقص لم ير المسيح عليه السلام . يقول عبد الله الترجمان (وأما مرقص فما رأى أيضا – عيسى عليه السلام – قط ، وكان دخوله فى دين النصارى كذلك بعد رفع عيسى وتنصّر على يد (بترو) – أى بطرس – الحوارى)[1] .

واختلف الباحثون حول الإنجيل المنسوب إليه ، فمن قائل إن كاتبه هو (بطرس) رئيس الحواريين عن مرقص فى مدينة رومية ونسبة إلى مرقص ، ومن قائل إن مرقص ما كتب إنجيله إلا بعد وفاة بطرس وبولس[2] (وليس بين أيدينا ما نرجح به إحدى الروايتين عن الأخرى فمن الذى كتبه ؟) .

ولم يقف التساؤل عند هذا الحد ، بل تداعى إلى غيره حيث ظهر أمام الدراسة النقدية لمضمون إنجيل مرقص ، سؤال آخر عن مصادره التى نقل عنها فقد اعتبر الكتاب المحدثون أن القسم الأخير منه عملا مضافا . يقول كولمان (إن مخطوطات يونانية أكثر حداثة وبعض نصوص اضافت إلى هذا القسم خلاصة رؤى ليست لمرقص ، بل هى مأخوذة من أناجيل أخرى)[3] .

ويرى الأب كننغر وهو عالم كبير فى اللاهوت إنه بعد إنتشار الكتابات المتقاربة لمتّى ولوقا ويوحنا ، خلص العلماء إلى نتيجة هامة عن مرقص ، وهى إنه يأخذ المواد من يمين وشمال لدى الأنجيلين الآخرين . ويتضح من ذلك مدى الحرية التى كان يمارس بها الأسلوب الأدبى للسرد الإنجيلى حتى بداية القرن الثانى .

وعندئذ يعلق موريس بوكاى على هذه النتيجة بقوله فى صيغة تعجّب (فياله من اعتراف لاعوج فيه عن وجود الممارسة البشرية فى نصوص الكتابات المقدسة تقدّمه

---

(١) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ص٦٦ عبد الله الترجمان (القس انسلم كورميدا) تقديم وتحقيق وتعليق د /محمود على حماية – ط دار . . المعارف ١٩٨٤م .

(٢) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاى ص٨٦ .

(٣) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاى ص٨٦ .

لنا هذه الأفكار من عالم كبير فى اللاهوت)[1] .

إنجيل لوقا :

نذكر أولا ما اتفق عليه المؤرخون عن واقعة ثابتة تحقق منها العلماء المحدثون أيضا ، وهى أن لوقا (لم يدرك عيسى عليه السلام ، ولا رآه أبدا وإنما تنصّر بعد رفع عيسى ، وكان ممن تنصّر على يد بولس الاسرائيلى ، وبولس لم يدرك عيسى ولا رآه ، وكان أكبر أعداء النصارى)[2] ، ويذكر الشيخ أبو زهرة أن الباحثين متفقون على إنه من تلاميذ بولس ورفقائه ، ولو يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حوارييه[3] .

أما عن وصف إنجيله ، فنجد أنفسنا أيضا حيال عّدة احتمالات وإفتراضات تكاد تتساوى مع بعضها البعض ، فيتعذر على الباحثين المدققين الأختيار بينها إلا بصعوبة بالغة ، حيث يتوالى ظهور مشكلات أخرى بغير حل كما سنرى : فقد اختلف الباحثون فى مكان مولده – وهى هو أنطاكى أم رومانى ؟ ، وهل اشتغل بمهنة الطب أم كان مصّورا ؟

ويدعونا الاختلاف حول مهنته بالذات إلى التوقف قليلا لمناقشة من يرجّح امتهانه لصناعة الطب ، لأن (هذه المهنة لها قيمتها الخاصة لأنها تلقى على حياة لوقا نورا ساطعا ، فترينا إياه الرجل العلمى العملى المدقق المحقق الرقيق الأسلوب الجميل الديباجة ، لأن الرومان لم يسمحوا فى وقتهم لأحد أن يتعاطى مهنة الطب ، إلا لمن جاز امتحانات عدة على جانب عظيم من الصعوبة والدقة والخطورة)[4] .

ولكن موريس بوكاى لم يأخذ بهذا الرأى الذى يشير أيضا إلى أن (الكثيرين قد تأكدوا من المهنة الطبية لكاتب الإنجيل من دقّة وصفة للمرضى) ، ويرى أن

---

(١) المرجع نفسه ص٨٧ .

(٢) تحفة الأريب ص٦٤ /٦٥ .

(٣) محاضرات فى النصرانية ص٥٨ /٥٩ .

(٤) محاضرات فى النصرية ص٥٨ .

هذا التقدير مبالغ فيه ولأن لوقا لم يعط « وصفات » من هذا النوع بالذات ، والمفردات التى يستعملها هى ذاتها التى يستعملها كل إنسان مثقف فى زمانه)[1] .

وبمراجعة الأسطر الأولى من إنجيل لوقا يتضح إنه يروى عن آخرين ، بينما لم يكن هو من الشهود المعاينين ، فقد قال ما يأتى :

(١) (إذ كان كثيرون قد أخذوا فى ترتيب قصص الأمور المتيقنة عندنا (٢) كما سلمهّا إلينا الذين كانوا معاينين منذ البدء وخادميين للكلمة (٣) رأيت أنا أيضا بعد أن أدركت جميع الأشياء من الأول بتدقيق أن اكتبها لك بحسب ترتيبها أيها العزيز تاوفيلس (٤) لتعرف صحة الكلام الذى وعظت به[2] .

لهذا كان لوقا فى نظر كولمان مؤرخ ، وفى نظر الأب كننغر« قصّاص بارع »[3] .

ونظرا لأن لوقا كان وثنيا اهتدى إلى المسيحية ، فقد أشار كولمان فى دراسته إلى تجاهله الآيات الأكثر يهودية لدى (مرقص) ، وابرازه لكلمات عيسى – عليه السلام – ضد كفر اليهود ، فى حين كان (متّى) يجعل المسيح يطلب من الرسل البعد عنهم . ويعلق موريس بوكاى على ذلك بقوله (وهذا مثل رهيب من كثير ، يوضح لنا إن الأنجيليين كانوا يقّولون المسيح ما يناسب رؤاهم الشخصية فيقدمون لنا بحسن نية أكيدة وبقناعة شخصية من كلمات المسيح ،النص الذى يتفق مع وجهة نظر الطائفة التى ينتمون إليها)[4] .

وبالمقارنة بين سلسلة نسب المسيح عليه السلام عند لوقا ومتّى ، تبرز احدى أبرز التناقضات فى الكتاب المقدس ، فيقول الأستاذ ديدات : (من بين داود

---

(١) التوراه والإنجيل والقرآن والعلم ص٨٨ .

(٢) إنجيل ربنا يسوع المسيح للقديس لوقا (الفصل الأول) نقلا عن كتاب (هل الكتاب المقدس كلام الله ؟) لأحمد ديدات ص٨٣ .

(٣) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاى ص٨٧ ، وثاوفيلى هذا كما وصفه ابن البطريق رجل عظماء الروم . وهناك من يقول إنه كان مصريا لايونانيا (محاضرات فى النصرانية ص٥٩) .

(٤) هل الكتاب المقدس كلام الله ؟ ص٧٥ .

وعيسى« أوصى » الله لمتّى بتسجيل ستة وعشرين سلفا فقط« لابنه » ولكن لوقا الملهم أيضا سجل واحد وأربعين سلفا لعيسى)[1] .

إنجيل يوحنا :

يصف الأستاذ الشيخ أبو زهرة هذا الإنجيل بقوله : (لهذا الإنجيل خطر وشأن أكثر من غيره فى نظر الباحث ،لأنه الإنجيل تضمنّت فقراته ذكرا صريحا لألوهية المسيح عليه السلام)[2] .

وكان الرأى المعتمد فى العصور الماضية هو اعتبار يوحنا (ابن خالة عيسى عليه السلام ، ويزعم النصارى أن عيسى حضر فى عرس يوحنا ، وأنه حول الماء خمرا فى ذلك العرس ، وهذه أول معجزة ظهرت لعيسى ، وأن يوحنا لما رأى ذلك ترك زوجته ، وتبع عيسى على دينه وسياحته)[3] .

ولكن لم يعد هذا الرأى مسلما به فى العصر الحديث ، بعد اجراء التحقيقات والدراسات فى الكتب المقدسة ، حيث صححّت كثيرا من المعلومات الخاطئة السابقة وبدأ البعض يسأل (من هو الكاتب ؟ إنه سؤال موضوع جدال . إذ الآراء تختلف كثيرا فى هذا الموضوع)[4] .

وتأتينا الإجابة على لسان الأستاذ موريس فوردن ناظر مدرسة العلوم العليا فى باريس والمدرس فى القسم الدينى بها ، وقد صدّق على شهادته خمسمائة عالم فى جمعية دار المعارف الكبرى بباريس .

قال الأستاذ موريس (وأما عن إنجيل يوحنا فإنه لامرية ولا شك أنه كتاب مزور أراد صاحبه أن يضاد الحواريين متّى ويوحنا ، وادعى إن هذا الكتاب المزور

---

(١) المرجع نفسه ص٨٨ ويقول (وفى المقابلة بين السلوك العام لكل من إنجيل لوقا وإنجيل متى كان الدليل على ذلك) .

(٢) محاضرات فى النصرانية ص٦٠ .

(٣) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ص٦٦ .

(٤) التوراه والإنجيل والقرآن والعلم ص٩٠ .

هو للحوارى يوحنا الصياد الذى يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتّها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ، ووضعت اسمه على الكتاب نصّا مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا ، ولايخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه ...)[1] .

ويرى الأستاذ محمد تقى العثمانية بعد مراجعة مستفيضة لآراء العلماء ونتائج بحوثهم فى مضمون هذا الإنجيل والملابسات الدائرة حوله ، يرى أن المحرّر هو أحد تلاميذ بولس (وزاد إليها من جاء بعده جملا وعبارات كشف عن كون المؤلف شاهد عيان لسيدنا المسيح عليه السلام)[2] .

إنجيل برنابا (أحد الأناجيل الغير المعترف بها) :

قبل الحديث عن إنجيل (برنابا) ، فإننا نحبّ توضيح موقفنا منه أولا ؟ فلسنا حريصين على الاسترشاد به لاثبات نبوة نبينا محمد ﷺ ، فلنا أدلتنا الكافية بذاتها — كذلك ندفع الزعم بأنه من تأليف المسلمين[3] ، لأنه ليس من عقائدنا ولا مبادئنا اتباع طريقة (الغاية تبرر الوسيلة) ، وازاء ذلك فإن الاقرار بصحة هذا الإنجيل أو استبعاده لدينا سواء .

إن الحديث إذن عن إنجيل برنابا أدنى لقضية الخلاف العقائدى بينه وبين بولس ، إذ يبدو من نصوصه إنه تحمّله كثيرا ، ثم أعلن على الملأ أوجه الخلاف بعد أن طفح

---

(١) محمد ﷺ نبى الإسلام فى التوراه والإنجيل والقرآن ص٧٢ ، المستشار محمد عزت الطهطاوى — مكتبة النورى بمصر الجديدة ١٩٨٦م ، كذلك أبدى شكّه فى صحة نسبة الأناجيل الثلاثة الأولى حتى مرقص ولوقا إلى من نسبت إليهم من الحواريين لدرجة تعادل الرفض تماما .

(٢) ماهى النصرانية ص١٥٣ .

(٣) يقول الأستاذ محمد عبد الرحمن عوض (لو ألف هذا الكتاب شخص ما . . مسلما أوغير مسلم لنسخه أعداء المسيحية وروّجوا له واستدلوا به — وهو مالم يحدث بل ظل فى طى الكتمان حتى ظهر مترجما إلى الايطالية ثم إلى الانجليزية والاسبانية واخيرا إلى العربية) ص٥٥ من كتابه / الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الاربعة . دار البشير بالقاهرة ١٩٨٦م ، مع العلم بأن القرار بتحريم إنجيل برنابا صادر ٤٩٥م — أى قبل البعثة المحمدية . ص٤٧ .

الكيل و لم يعد يحتمل الصبر عليه ، وضمّن ذلك صدر إنجيله ، فقال تحت عنوان (الإنجيل الصحيح ليسوع المسمى بالمسيح . . نبى جديد مرسل من الله إلى العالم بحسب رواية برنابا رسوله) . ثم يصف نفسه بأنه رسول يسوع الناصرى المسمى المسيح ... إلخ ، **فلماذا استبعد هذا الإنجيل ولم يعترف به ؟** . . .

العوامل الحقيقية وراء استبعاد إنجيل برنابا

لنعد مرة اخرى للإلمام بأجواء النزاعات التى ظهرت فيها الأناجيل ، حيث ظهر الصراع بين طائفتى المسيحيين الأصليين أتباع المسيح عليه السلام والمسيحيين البولسيين أتباع بولس .

وفى ذلك الوقت كان (برنابا) من أوائل الذين عرفوا حقيقة (بولس) ففضح نواياه ، وأذاع على الملأ خبايا عقيدته الباطلة التى دسها على المسيحيين دسّا .

ثم ظهرت كتابات برنابا لتكشف القناع عن المشادّة التى حدثت بينهما فى قوله (أيها الأعزاء ، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيّه يسوع المسيح ، برحمته العظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذى أمر به الله دائما ، مجوّزين أكل لحم نجس الذى ضل فى عدادهم بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى)[1] .

ويمضى فى حديثه محذّرا من اتباع بولس ، ومؤكدا مخالفته لتعاليم يسوع – عليه السلام – لأنه عاشره بنفسه وعرف تعاليمه فيقول : (وهو السبب الذى لأجله أسطّر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى يسوع ، لكى تخلصوا ، ولايضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة الله ، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد

(١) مقدمة إنجيل برنابا – نقلا عن محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن ، إبراهيم خليل أحمد ص٩٣ .

لما أكتبه ، لتخلصوا خلاصا أبديا)[1] .

ويصبح استبعاد إنجيل برنابا مفهوما فى ضوء انتصار المسيحية البولسية على المسيحية اليهودية ، ولصيقا ببحث مضامينه العقائدية المخالفة لعقائد النصارى الحالية ، ولما كان من المستحيل التوفيق بين النقيضين ، فما أسهل استبعاده .

أجل هذه هى القضية ، وكان إنجيل برنابا (أكثر اتساقا فى عرضه لحقيقة الألوهية مع شريعة موسى وماجاءت به التوراة ، وكان برنابا شاهد صدق على أن . . عيسى ابن مريم جاء متمما للناموس وليس ناقضا له)[2] .

ومهما يكن من أمر ، فإننا كما قلنا من قبل لسنا فى حاجة كمسلمين إلى الاسترشاد بهذا الإنجيل ، كل ماهنالك إننا نبغى إيضاح مايستخلصه كل باحث بالمقارنة بينه وبين الأناجيل الأخرى ، فإذا اتبّع فى تقويم مضمونه موازين التوثيق للكتاب المقدس (فإن إنجيل برنابا فى ضوئها يأتى موثوقا به)[3] .

ومن أجل معرفة الحق والدعوة إليه ، نضمّ صوتنا إلى صوت الإمام محمد أبو زهرة ، فإن (من أجل خدمة تسدى إلى الأديان والإنسانية ، أن تعنى الكنيسة بدراسته ، ونقضه ، وتأتى لنا بالبينات الدالة على هذا النقض ، وتوازن بين ما جاء فى رسائل بولس ليعرف القارىء والباحث أيهما أهدى سبيلا ، وأقرب إلى الحق وأوثق به اتصالا)[4] .

تعقيب :

وبعد هذا العرض الموجز للأناجيل ، والاحاطة بملابسات تدوينها والتعريف بكتاّبها ، اصبحنا أمام خطوة تالية يقتضيها منهج بحث علم الأديان المقارن ، وذلك

---

(١) إنجيل برنابا ١ :٢ –٩ نقلا عن ماهى النصرانية ؟ محمد تقى العثمانى ص٢٠٢ .
(٢) الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة ، محمد عبد الرحمن عوض ص١١٨ .
(٣) ماهى النصرانية ؟ ص٢٥٨ .
(٤) محاضرات فى النصرانية ص٨١ .

وينظر أيضا كتاب (ماهى النصرانية) لمؤلفه محمد تقى العثمانى الذى عدّد فيه أموراً أربعة تنفى كون إنجيل برنابا من تأليف رجل مسلم (ص٢٤٢–٢٤٦) .

على ضوء الاتفاق على مبادىء اساسية تحدد الأركان اللازم توافرها فى أى كتاب سماوى ، من حيث التثبت من مصدره ، وتوافر ضمان النقل بسلاسل اسناد موثوق بها ومتصلة .

ولنتفق أولا على الأركان اللازمة للاقرار بصحة هذا الكتاب ، فإن (أى كتاب سماوى يستحق أن نخضع له والامتثال لأحكامه لايكفى فى اسناده إلى شخص ذى الهام مجرد الظن والوهم ، بل أن يثبت ذلك الكتاب أنه من الله – عزوجل – أولا ، وأنه هو الذى أنزله على النبّى الفلانى ثانيا . وهذا الثبوت يكون بسند متصل فى جميع طبقاته متواتر فى عامة مراتبه ، أى رواه أناس كثيرون يؤمن تواطؤهم على افتراء الكذب ، فلايكون هناك تغيير أو تبديل أو زيادة أو نقصان)[1] .

وعلى ضوء ذلك ، نعفى أنفسنا من الخوض ثانية فى الحديث عن سلاسل الاسناد بعد ما عرضناه آنفا ، إذ لم يسلم إنجيل من الأناجيل الأربعة من أوجه الطعن والتشكيك والاتهام للكتّاب مما نقلناه عن علماء النصارى أنفسهم[2] ، غير أنه لايصحّ الانتقال إلى نقد المضمون ، إلا بعد إثبات تقريرين صريحين :

أولهما : إثبات التحريف نصّا على لسان بطرس فى رسالته الثانية حيث قال :(إن الرسائل كلها منها أشياء عسرة الفهم يحرفّها غير العلماء وغير الثابتين كباقى الكتب أيضا)[3] .

والثانى : مبّررات التحريف نفسها ، أى الجذور النفسية والأخلاقية لأعمال

(١) محمد ﷺ نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن المستشار محمد عزت الطهطاوى ص٦٤ .
(٢) قال على بن ربّن الطبرى (وكان نصرانيا فأسلم) : على أن من أدىّ تلك الاخبار إليكم لم يكن فيهم أحداد عسى أنه أخذها من شاهد المسيح أو موسى عليهما السلام من آبائه وأجداده ، كما تدعى العرب عن آبائها وأجدادها الذين شاهدوا النبى عليه السلام ، فإن الرجل منهم يحدثه عن جده أو جد جده أو بعض بما رأى .

(٣) محمد ﷺ ص ٦٦ ، (وأدّاه إلى أعقابه (الدين والدولة ص٢٠٤) ويستطرد قائلا(فأما اخباركم فإنها أداها إليكم عراق عن جزرى عن شامى وشاميعن عبرانى وفارسى عن رومى ومشرق عن مغربى ، بأسباب مظلمة متفاوته تحقيق عادل نويهض – دار الآفاق الجديده بيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

التحريف ، إذ ربّما هان الأمر لو كان استثناء ، أما استناده إلى فلسفة ثابتة ، فهذه هى الطامة الحق يقول أحد المؤرخين (كان بين متبعى رأى أفلاطون وفيثاغورس مقولة مشهورة هى أن الكذب والخداع لأجل إن يزداد الصدق وعبادة الله ليسا بجائزين فقط ، بل قابلان للتحسين ، وتعلم هذا الكلام منهم يهود مصر قبل المسيح – ويظهر ذلك جليا فى كثير من كتب اليهود القديمة ، ثم أثّر وباء هذا الخطأ السىء فى المسيحيين ، كما يظهر هذا الأمر بجلاء من الكتب التى نسبت إلى الكبار كذبا)[1] .

نقد المضمون :

إن المسلمين والنصارى متفقون ، كما يذكر الأستاذ أحمد ديدات – على إن وحى الله تعالى لابد أن يخدم واحدا من هذه الأغراض الأربعة :

(١) إما أن يعلمنّا المبادىء والعقائد .

(٢) أو يلومنا على خطأ ارتكبناه .

(٣) أو يقدم لنا الصواب .

(٤) أو يهدينا إلى الصلاح .[2]

وقد أخذ الأستاذ ديدات يفحص الكتاب المقدس ، وفق هذه الأغراض فأذهله العثور على نماذج تبعث على الخجل والاستياء مما تضمنته من رواية قصص عن زنا المحارم بل إن نبوّة (حزقيال) تتضمن تفاصيل جنسية تخجل منها الكتب الجنسية الممنوعة[3] .

---

(١) برشليم المؤرخ فى بيان علماء القرن الثانى ص٦٥ المجلد الأول من تاريخه المطبوع ١٨٣٢م نقلا عن المصدر السابق ص٦٦ .

(٢) هل الكتاب المقدس كلام الله ؟ أحمد ديدات ص٦٧ .

(٣) المرجع نفسه ص٧١ .« وقد ذكر الأستاذ ديدات اثناء مناظرته للقس سوجارت إن هيئة الرقابة بحكومة جنوب أفريقيا قد أصدرت أمرا بحظر تداول بضعة صفحات من الكتاب المقدس ، دون أن تدرى إنه جزء من سفر حزقيال من الاصحاح الثالث والعشرين .(من كتاب المناظرة الحديثة ص١٥٠) .

ويحكى العقاد عن إحدى القصص الجنسية الفاضحة التى رفضت الرقابة الأمريكية نشرها بحجة إفساد الأخلاقيات العامة ، فاحتكم المحامى إلى الكتاب المقدس الذى يحتوى على (قصص فاضحة ومخجلة =

ومما يلاحظ فى سلوك الأطفال أن هذه القصص أثمرت تغييرات راسخة فى نفوسهم – بناء على التجارب التى أجراها الدكتور فيرنون جونز – عالم النفس الأمريكى المشهور ، فلا بأس إذن من إنتشار حوادث الاغتصابات وجرائم القتل وزنا المحارم التى تسجلها الجرائد اليومية ، بل ليس (من العجيب إذن إن يقيم الرومان كاثوليك والميثوديون (إحدى الطوائف النصرانية) أعراسا بين اللوطيين فى« بيوت ربهم » ، حتى قام ثمانية آلاف لوطى بمسيرة استعراضية فى حديقة هايد بارك بلندن فى يوليو١٩٧٩م مصاحبا بتشجيع وهتافات وسائل الاعلام)[١] .

هذه هى ثمرة بعض نصوص الكتاب المقدس ، ثم لنعقد مقارنة جزئية بثمرة تعاليم القرآن ، الذى جاء مؤيدا للحق بالكتب السابقة ومهيمنا عليها . فمن أقوال عيسى عليه السلام (كل شجرة طيبة تطرح ثمرة طيبة ، وكل شجرة خبيثة تطرح ثمرة خبيثة) . أجل (هذا هو المحك ، المحك الثمرة . لقد أوجد الإسلام أكبر مجتمع فى العالم لايتعاطى المسكرات . يوجد حوالى ألف مليون مسلم فى العالم وهم فى عمومهم لايعاقرون المسكرات ، ولايشربون الخمر ، هذه هى الثمرة)[٢] .

ويرجع ذلك إلى تحريم القرآن الكريم للخمر ﴿ **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾ المائدة / ٩٠ .

=ومهينة للإنسان ، فكيف تضعون مثل هذا الكتاب فى أيدى الأطفال والفتيان ، بينما رواية ليست كتابا مقدسا ، ولا يمكن أن تكون منتشرة مثل الكتاب المقدس ، فإما أن تفرجوا عن هذه الرواية وإما أن تصادروا الكتاب المقدس) . وأفرجت المحكمة عن الرواية .

ص١١١–١١٢ من كتاب (فى صالون العقاد كانت لنا أيام) أنيس منصور – ط دار الشروق ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م .

(١) المرجع نفسه ص٦٨ واستشهد بقول برناردشو ص٧٠ (الكتاب المقدس من أخطر الكتب الموجودة على وجه الأرض ، احفظوه فى خزانة مغلقة بالمفتاح) .

(٢) المناظرة الحديثة ص١٧٥ . كذلك أثبت نصّا من مجلة الحقيقة المجردة أكتوبر ١٩٧٧ (إن قراءة قصص الكتاب المقدس للاطفال يفتح الباب لغرض مناقشة العبرة وراء الجنس . وإن الكتاب المقدس إذا لم يهذب وينقح قد تعتبره مجالس الرقابة صالحا للكبار فقط لمن جاوزوا الثامنة عشرة من العمر) ص٧٠ هل الكتاب المقدس كلام الله ؟

ولنقارن ذلك بما يحدث بالأمة الامريكية ، حيث يوجد - حسب قول سوجارت - أحد عشر مليونا سكير ، وأربعة وأربعين مليون من مدمنى الخمر (هذه هي أمتكم والأخ سوجارت لايجد اختلافا بين الخمسة والخمسين مليونا ؟ هو يعتبرهم مدمنى خمور ، أما فى الإسلام فلا شرب خمر ، حتى على تسبيل المجاملات الاجتماعية)[1] .

ومن إجابات الدكتور محمد على البار عن أسئلة حول أسباب انتشار مرض الايدز ، علّله بانتشار الشذوذ الجنسى فى الولايات المتحدة ، إذ يوجد أكثر من عشرين مليون شخص ، ولهم جمعيات خاصة وكنائس خاصة تزوّج الرجال بالرجال !!

كذلك لابد من ملاحظة الفاحشة هناك بدرجة مذهلة مستندا إلى مثال من صحيفة (هيرالد تريبيون) التى ذكرت فى عددها بتاريخ ١٩٧٩/٦/٢٩ أن عشرة بالمئة من العائلات الأمريكية تمارس ما يسمى بنكاح المحرمات ، ويقدر عدد الفتيات الأمريكيات اللواتى نشأت علاقة جنسية بينهن وبين آبائهن بحوالى ١٥ مليون فتاة . [الشرق الأوسط فى ١٩٩٠/٣/١٨ ص٩]

ويضيف الأستاذ ديدات بيان أثر الكتاب المقدس على السلوك الشائن ممثلا فى زنا المحارم ، حيث تنشر بمعدلات وبائية بين البيض فى جنوب أفريقيا ، يصل إلى ثمانية فى المائة ، كذلك بلغت النسبة معدلات وبائية فى أمريكا ، كما بين سوجارت (ويضرب مثلا من الكتاب المقدس ، فيذكر إن الإنجيل يحتوى على عشر حالات من زنا المحارم)[2] .

وازاء ذلك فإنه لايعقل إن يكون هذا الكتاب من عند الله[3] .

والآن تأتى المناسبة للحديث بإيجاز عن الكتاب المنزل من عند الله تعالى حقا المحاط من كل جانب بما يبرهن على إنه - كتاب الله عزوجل وحده - الذى سلم من التبديل والتحريف .

---

(١) المرجع نفسه ص١٧٦ . (٢) المناظرة الحديثة ص١٤٢ . (٣) المرجع نفسه ص١٤٣ .

القرآن الكريم كلام الله تعالى

وتسنح الفرصة الآن لنعطّر حديثنا عن القرآن الكريم ، إذ سيبقى بحثنا ناقصا لو لم نعرّج على الحديث عنه لأنه كلام الله تعالى ، لأنه إذا تبيّن بعد التمحيص والمناقشة والاستدلالات المتنوعة استبعاد أن يتضمن الكتاب المقدس الوحى الكامل الصحيح من الله تعالى ، ففى الطرف المقابل تتجلى وتشع حقيقة القرآن الكريم - كلام الله تعالى - وتصبح أضوأ بهاء وأشدّ لمعانا ، لأنه الكلام الذى ﴿ **لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ .

وتكفينا الإشارة فى هذه العجالة إلى حقيقتين بارزتين :

أولاهما : كيفية تلقية وحفظه ، ونستند فى ذلك إلى أقوال الأستاذ سفساف الأرثوذكسى عضو الجمعية العلمية بأوروبا فى كتابه المسمى (أصول الفقه الإسلامى) ، فإنه سجل الأحداث التاريخية بحذافيرها ، شأن كل باحث أمين مدقّق بموضوعية كاملة فأثبت حقيقة الوحى وكيفية نزوله على رسول الله ﷺ وهى الحالة التى شاركه فيها الأنبياء والرسل قبله كدانيال وموسى وغيرهما (وتستمر هذه الحالة مادام الوحى حتى إذا تم أخبر الرسول ﷺ أصحابه بنفس ألفاظ الملك فيحفظونها على الفور عن ظهر قلب حرفيا ، وكانوا يعتنون بذلك الاعتناء الذى لامزيد عليه لأن الحفظ الحرفى لسور وآى القرآن كان عندهم من أعظم العبادات وأقرب القرب . . . . فكان أصحاب الرسول ﷺ تفرغ وسعها وتبذل جهدها المستطاع لتنقش فى حافظتها ألفاظ الوحى مضبوطة محكمة بمجرد نزوله ، حتى كانوا من مزيد

عنايتهم به بعد حفظ الآية من الرسول ﷺ يترددون عليه غير مرة ويتلونها أمامه حتى يزداد تثبتهم فى حفظها وأدائها كما هى) .

ويمضى بعد ذلك فيسجلّ مراحل كتابته وجمعه بواسطة أكابر الحفّاظ حسب رواية البخارى ، حتى لم يبق مجال لأدنى شك فى نهاية الضبط التام الكريم ، إلى أن دعا الحال زمان عثمان بن عفان رضى الله عنه لنشر الكتاب فى الجهاتّ فصّدر ثلاثة مصاحف إلى الأمصار ، وقد رأى أستاذه بعينى رأسه مصحفا منها بدار الأفتاء الحنفى بدمشقُ[1] .

وشهد بنفس هذه الشهادة أهم مجادلى البروتستانت وهو المبستر سنوبارت فى لكهنؤ ببلاد الهند . ويقول أيضا الأستاذ موبر وهو من أمهر وأحذق خصماء المسلمين إن جميع مافى المصحف هو نص ماصدر من بين شفتى النبى محمد ﷺ . وكذلك يقر الدكتور فل الكاثوليكى بألمانيا إنه (لانسبة بين القرآن وبين الكتاب النصرانية من حيث الضبط والدقة)[2] .

الثانية : نفس القرآن الحكيم وآياته واحكامه وتشريعاته وأخلاقياته ، وما احتوى عليه من قضايا التوحيد وصفات الألوهية والنبوات والقدر والدار الآخرة وخلق الإنسان وأطواره ومصيره وقصص الأمم والأنبياء والرسل ، وغير ذلك مما لانحيط به حصرا فى هذه الصفحات .

وبعبارة أخرى فإن جميع آياته الباهرة تأخذ بمجامع القلوب وترشد العقول الباحثة عن الحق إلى برّ الأمن والإيمان الذى لايعتريه شك .

تجربة على بن ربّن الطبرى :

يروى لنا على بن ربّن الطبرى هذه التجربة الذهنية (وذلك إنى لم اجد لأحد عربى أو عجمى هندى ولا رومى كتابا جمع من التوحيد والتهليل والثناء على الله

---

(١) محمد ﷺ نبى الإسلام ص٨٠ المستشار محمد عزت الطهطاوى .

(٢) المرجع نفسه ص٨١ .

عزوجل ، والتصديق والتهليل والثناء على الله عزوجل ، والتصديق بالرسل والأنبياء ، والحث على الصالحات الباقيات والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والترغيب فى الجنة ، وأيضا التزهيد فى النار ، مثل هذا القرآن منذ كانت الدنيا ، فمن جاءنا بكتاب هذه نسبته ونعته ، وله من القلوب هذا المحلا والجلالة والحلاوة ، ومعه هذا النصر واليمن والغلبة ، وكان صاحبه ﷺ الذى نزل عليه أميًا لم يعرف كتابة ولا بلاغة قط ، فهو من أيات النبوة لاشك فيه ولامرية)[١] .

أما علوم القرآن فقد اجتهد علماؤنا من أعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين فى محاولة عدّها وإحصائها :

فمن قائل أنها ثلاثة أقسام كالطبرى (٣١٠هـ) وهى : التوحيد والأخبار والديانات ، ولهذا قال ﷺ : « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » .

ثم توسع القاضى أبو بكر بن العربى (٥٤٤هـ) فى بيان مضمون هذه الأقسام : فالتوحيد تدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله . والتذكير ومنه الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن . والأحكام ومنها التكاليف كلها ، وتبيّن المنافع والمضار والأمر والنهى والندب .

ومن قائل أن القرآن يشتمل على ثلاثين شيئا : الإعلام ، والتنبيه والأمر والنهى والوعد والوعيد ووصف الجنة والنار ، وتعليم الإقرار باسم الله ، وصفاته وأفعاله ، وتعليم الاعتراف بإنعامه والاحتجاج على المخالفين والرد على الملحدين ، والبيان عن الرغبة والرهبة ، والخير والشر والحسن والقبيح ، ونعت الحكمة وفضل المعرفة ، ومدح الأبرار ، وذم الفجار ، والتسليم والتحسين والتوكيد والتفريع والبيان عن ذم الإخلاف ، وشرف الأداء . وقائله على بن عيسى الرمانى (٣١٠هـ) .

ومن قائل أن القرآن لا يُستدرك ولا تُحصى غرائبه وعجائبه . (وهو القاضى أبو المعالى عزيزى (٤٩٤هـ)) لقوله تعالى ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا**

---

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج١ ص١٦-١٩ باختصار – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الفكر ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .

هو ﴾ الأنعام : ٥٩ .[١]

وبعد هذه الإلمامة الخاطفة حول كتاب الله عزوجل التى اقتضاها المقام بسبب تداعى المعانى وتوارد الخاطر (ليظهره على الدين كلّه) – نستأنف الحديث عن أبرز عقائد النصارى ، وهى عقيدة التثليث ، التى جاء القرآن بابطالها والرد عليها .

حول عقيدة التثليث :

تكتنف هذه العقيدة كثيرا من الغموض الذى يصعب إزالته حتى باستخدام الأحكام العقلية المجردة (ويقولون إن الله واحد فى ثلاثة أقانيم هم الآب (الله) والابن (الله) والروح القدس (الله) وهؤلاء الثلاثة هم الله .**كيف** ؟ هذا هو سر الثالوث الأقدس الذى لا يستوعبه عقل بشرى لأنه فوق مستوى إدراكه)[٢] .

ومع هذا فإننا سنعرض لبعض الشروح التى دارت حولها بحيدة تامة ، محاولين تقريب العقيدة إلى الأفهام ما أمكن :

(**١**) يستمد هذا الشرح من التأمل فى التركيب الجسمانى للإنسان إذ أن كيانه (يتألف من الأجزاء المادية المتجانسة ، التى تستطيع الأنظار المادية أن ترى هيئتها الاتحادية ، فمثلا العظم واللحم والدم ، من اتحاد هذه الأشياء الثلاثة يقوم الجسم الإنسانى فى الوجود ، ولو فقد واحد منها لما تم وجود الجسم الإنسانى)[٣].

ولكن إذا تأملنا هذا المثال نجده لايتفق مع العقيدة المسيحية فى التثليث . ويقول محمد تقى العثمانى (على حين أن المسيحية لاتؤمن بثلاثة أقانيم كثلاثة أجزاء ، وإنما تؤمن بها كثلاثة أشخاص مستقلين ومن هناك فإنها لم تستخدم للأب والابن وروح القدس كلمة (الأجزاء) وإنما استعملت كلمة (الأقانيم) Persons أو (الأشخاص) ، ولاشك أن احدا لايقول بأن اللحم وحده ، أو العظم وحده ،

---

(١) الدين والدولة ص٩٨ /٩٩ .

(٢) كنت نصرانيا ، واصف الراعى ص١١٠ مطابع الفرزدق بالرياض ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

(٣) ماهى النصرانية ؟ محمد تقى العثمانى ص٤٧ /٤٨ .

أو الدم وحده (إنسان) ، وإنما يقول إنه جزء من الإنسان وعلى العكس من ذلك فإن المسيحية تعد من الأب والابن وروح القدس إلها . ولايعده جزءا من الله)[1] .

(٢) التجلى أو الحلول :

عبر الأب سوجارت على ذلك بقوله إن الرب يعلمنا بوجود إله واحد وليس إثنين أو خمسة ... (وإنه تجلى فى ثلاثة أشخاص ، ثلاث شخصيات مختلفة . نحن نؤمن بوجود الأب السماوى ، والإله الابن ونؤمن بالروح القدس الذى غشى مريم . . إنه أيضا ، وهم كل لا يتجزأ بمعنى أنهم متفقون تماما ، وفى توحد وإنسجام لا يختلفون أبدا ولن يختلفوا أبدا)[2] . .

وعندما أعطيت الكلمة للأستاذ ديدات ، قام فأفصح عن تعجبه الشديد من قيام الأب سوجارت بتغيير الكلمة المعبرة عن الرب ، حيث كان فى صباح يوم المناظرة نفسه يستخدم فى خطابه لمجموعة من كنيسته كلمة (المولود لله) ، وهى مستخدمة أيضا فى إنجيل الملك جيمس المعتمدة بالنص (لأنه هكذا أحب الله العالم . . حتى أنه أعطى ابنه الوحيد) ، والتعبير الأنجليزى الوارد بالنص يستخدم كلمة (بجتن) أى المولود لله .

ولكن بعد ثمانى ساعات فقط ، وأثناء المناظرة غير الأب سوجارت كلمة (بجتن) إلى كلمة (المتفرد)[3] .

وعندما سئل الأب سوجارت عماّ يعينه بكلمة (متفرد) أجاب بأنها فى الأصل اليونانى تعنى ببساطة : (لو يكن مثله أحد من قبل ، وما كان أحد أبدا مثل ابن

---

(١) المرجع نفسه ص٤٩ .

(٢) المناظرة الحديثة ص١٩٩ .

(٣) المرجع نفسه ص١٣٥ ويقول الأستاذ ديدات (وبالمناسبة فإن كلمة (بجتن) تعنى أيضا : الإنتاج ياسيدى . فالله أنتج ولده . (نفسه ص١٨٠) .

الله . فهو متفرد ، ولم يكن أحد من قبل مثل مريم التى أنجبت ابن الله . . إنها تعنى ببساطة أن احدا لم يكن أبدا مثله من قبل ، ولن يكون أحد مثله من بعد . يكوّن متفردا ، كابن الله ، متجسدا فى هيئة بشرية)[1] .

ثم أوضح أن المسيحيين لا يعتقدون بوجود ثلاثة آلهة ، وسخر من الذين يظنون إنهم يعتقدون أن الله متزوج ويسكن فى شقة فى السموات ، وأنه أنجب أطفالا ، ووصف ذلك بأنه سخافات . ثم عبّر عن الإيمان الصحيح عندهم حيث يؤمنون بأن الله بسبب حبّه للناس تعطف ونزل على هذا الكوكب ، وعاش بين الناس ومشى بينهم ، وتحدث إليهم وفى هيئه بشر تجسّد ليموت على الصليب ، كالفادى تكفيرا عن خطايا البشرية . فالإنسان عاجز عن إنقاذ نفسه ، ولقد فعل ذلك وقال للناس : إنكم ستقتلون هذا الجسد ، وفى خلال أيام ثلاثة سأرفعه إلّى مرة أخرى (وهكذا فهو متفرد فى ذلك . كذلك كان متفردا فى معجزاته ، متفردا فى نبؤته ، ومتفردا فى ميلاده ، متفردا فى حياته ، متفردا فى رسالته ، متفردا فى موته ، متفردا فى قيامته ، متفردا فى صعوده . وعندما يعود فسوف يكون متفردا فى عودته)[2] .

ولكن هذا الأسلوب الانشائى الخطابى لايحل مشكلة الغموض ، وربما كان فرارا من المواجهة التى لابد منها . (إنه يقول – أثناء حديثه أيضا – شخص وشخص وشخص ، إلا إنهم ليسوا ثلاثة أشخاص بل شخص واحد) .

وعندئذ وجه الأستاذ ديدات الخطاب إلى الأب سوجارت وضرب له المثل الآتى : (أنت وأخواك لنفترض أنكم ثلاثة توائم متشابهة ، وأننا لانستطيع التمييز بينكم أنتم الثلاثة لأنكم متطابقون تماما . فإذا اقترف أحدكم جريمة قتل ، هل يمكن أن نشنق الآخر ؟ جوابك : كلا . وأسألك : ولماذا لايشنق ؟ فتقول لى : إنه شخص آخر ، وأوافقك على هذا)[3].

(١) ص ١٩٥ من كتاب المناظرة الحديثة .
(٢) المرجع نفسه ص١٩٦ .
(٣) المرجع نفسه ص٢٠٤ .

ثم أوضح إن استخدام الكلمات يستدعى صورا ذهنية حول (الأب السماوى المحب) (وإلاله الابن) و (الروح القدس) .

إذن هناك ثلاث صور ذهنية مختلفة ، (ومهما حاولتم فلن تتطابق هذه الصور الثلاثة فى صورة واحدة . سيكون فى ذهنكم دائما ثلاث صور ، ولكن حين أسألكم : كم صورة ترون ؟ تقولون : واحد)[1] .

. . . وهذا لايطابق الواقع . . . . .

(٣) مثال الشمعة :

وهذا المثال مشهور متداول فالله عندهم – تعالى علوا كبيرا – كالشمعة (فالشمعة واحدة ولكنها مادة ونور وحرارة ، فهى ثلاثة فى واحد)[2] .

وهذا المثال متهافت أيضا لايعبر عن العقيدة النصرانية ، لأن الأقانيم عندهم ثلاثة أصول .

والشمعة أصل واحد (أما الضوء والحرارة فمظهران حادثان طرأ على الشمعة بعد إضاءتها ، فإذا انطفأت عادت إلى أصلها الواحد ، وفاتهم أن هناك مصدرا ما أشعل الشمعة فما دوره فى الأقانيم الثلاثة وأين مكانه من هذا التشبيه ؟)[3] .

إن هذا المثال إذن ، مخالف للثالوث النصرانى الذى – بحكم صياغته – يقرر تعدد الشخصيات فى الاله ، وينسب – كما يرى البروفيسور عبد الأحد داود – . . . خصائص شخصية منفصلة لكل شخص .

وقد ناقش البروفسور هذه العقيدة من الوجهة الرياضية البحته ، ليبيّن عدم تطابقها مع البديهيات العقلية ، والعلم الرياضى هو أدق العلوم كما هو معروف . **قال :**

---

(١) المرجع نفسه ص٢٠٥ .

(٢) كنت نصرانيا ص٢٥ .

(٣) المرجع نفسه ص٢٥ .

(والرياضيات كعلم إيجابى تعلمنّا إن الوحدة ليست أكثر من واحد ولا أقل . وأن واحدا لايمكن أن يساوى واحدا + واحدا + واحدا ، وبعبارة أخرى فإنه لايمكن أن يكون الواحد مساويا لثلاثة ، لأن الواحد هو ثلث الثلاثة .

وقياسا على ذلك فإن الواحد لايساوى الثلث . وبالعكس فإن الثلاثة لاتساوى واحدا ، كما إنه لايمكن للثلث أن يساوى الوحدة . . .

والذين يقولون بوحدانية الله فى ثالوث من الأشخاص إنما يقولون لنا إن كل شخص هو (اله قدير ، موجود ، دائم ، أزلى ، وكامل ، ولكنه لايوجد ثلاثة آلهة قادرين ، وموجودين ، ودائمين ، وأزليين ، وكاملين ، ولكنه إله واحد قدير .

وإذا لم تكن هناك سفسطة فى المنطق المذكور أعلاه ، فإننا سنطرح هذا (اللغز) الذى تقدمه الكنائس ، ويكون طرحنا له بالمعادلة التالية :

إله واحد = إله واحد+ إله واحد+ إله واحد
كذلك فإن إلها واحدا = ثلاثة آلهة

أولا : لايمكن لاله واحد أن يساوى ثلاثة آلهة ، بل يساوى واحدا منها فقط .

ثانيا : بما أنك تسلّم بأن كل شخص إله كامل مثل قرينه ، فإن استنتاجك بأن ١+١+١=١ ليس استنتاجا رياضيا)[1] .

ثم ينتقل البروفيسور بعد ذلك إلى مناقشة التثليث من الناحيتين المنطقية والعقائدية بناء على تصور أن لكل شخص فى الثالوث صفات لاتنطبق على الاثنين الآخرين (وتدل هذه الصفات طبقا للمنطق الإنسانى واللغة الإنسانية ، على وجود « قبلية وبعدية » فيما بينهما . فالأب دائما يحظى بالرتبة الأولى ، ويتقدم على الأبن . أما

(١) محمد ﷺ فى الكتاب المقدس ، عبد الواحد داود ص٤٥ ترجمة فهمى شما – مراجعة وتعليق أحمد محمد الصديق ، من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية بقطر ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

الروح القدس ليس متأخرا فحسب لكونه الثالث فى الترتيب العددى ، بل إنه أقل من أولئك الذين انبثق منهم) .

ويلقى بعدئذ التساؤل الذى لا مفّر منه للتمييز بين الاقرار بهذه العقيدة أو الزندقة (ألا يعتبر نوعا من الالحاد إذا ما أعيد ذكر هذا الثالوث بترتيب معكوس ؟ . . ألا يعتبر إنشاء الصليب ، عند مشاهدة القربان المقدس أو تجاوز مبادئه ، نوعا من الزندقة عند الكنائس إذا عكست العبارة وصارت على النحو التالى : **باسم الروح القدس ، والابن ، والآب ؟**

لأنها إذا كانت متساوية ومتعاصرة فإنه لاداعى لمراعاة ترتيب الأسبقية بدقة ؟)[١] .

عقيدة التثليث فوق طور العقل :

أما دفاع النصارى عن عقيدة التثليث بدعوى إنها حقائق هى وراء طور العقل والقياس فلا مناص من تصديقها من غير محاولة الاعتماد على العقل فيها[٢] هذا الدفاع لم يقبله ابن تيمية فى مجال مناقشة عقائدهم ، فهو يرى ضرورة التمييّز بين نوعين من الحقائق : أحدهما ماهو باطل ومستحيل عقليا ، والثانى مايتقاصر عنه العقل ، وجاءت الأنبياء لتوضحه ، ولكن النصارى (لايميزّون بين ما يحيله العقل ويبطله ، ويعلم أنه ممتنع ، وبين مايعجز عنه العقل فلا يعرفه ولايعلم فيه ، بنفى ولا إثبات وأن الرسل أخبرت بالنوع الثانى ، ولايجوز أن تخبر بالنوع الأول ، فلم يفرّقوا بين محالات العقول ومحارات العقول ، وقد ضاهوا فى ذلك من قبلهم من المشركين الذين جعلوا للّه ولدا وشريكا)[٣]

---

(١) المرجع نفسه ص٤٦ .

(٢) الحافظ احمد بن تيمية ، الإمام أبو الحسن الندوى ص٢٠٤ ، ط دار القلم الكويت – تعريب سعيد الأعظمى الندوى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ص٨٩ ، ج٢ نقلا عن المصدر السابق .

وزعم الولد أو الابن لله تعالى دالّ على استخدام ألفاظ الأنبياء – لو صحت – فى غير مواضعها : فإن الموقف المنهجى الصحيح المفسر لكلام الأنبياء يقتضى الاستمساك بظاهر كلامهم ، فإن الابن ظاهره لايراد به شيء من صفات الله ، بل يراد به وليّه وحبيبه وروح القدس لايراد به صفته ، بل يراد به وحيه وملكه ، ولكن النصارى عدلوا عن ظاهر اللفظ إلى معنى لايدل عليه ألبته[1] .

قال ابن تيمية (فإذا وجد فى كلام المسيح عليه السلام أنه قال : عمّدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس ، ثم فسّروا الابن بصفة الله القديمة الأزلية كان هذا كذبا على المسيح حيث لم يكن فى لغته أن لفظ الابن يراد به صفة الله القديمة الأزلية ، كذلك إذا لم يكن فى كلام الأنبياء أن حياة الله تسمى روح القدس وإنما يريدون بروح القدس ماينزله الله تبارك وتعالى على الأنبياء والصالحين ويؤيدهم)[2] .

الصليب والتكفير عن خطيئة البشر :

يعد الصليب أحد الشعائر البارزة فى العقيدة النصرانية إن لم يكن أبرزها فإن الصلب رمز عقيدة النصارى الذى يعبر عن الإيمان بالتكفير عن خطيئة البشر وأصبح لزاما عليهم رسم علامته فى كل مناسبة . يقول العالم المسيحى الشهير« ترتو ليانوس » (بمناسبة كل حال وترحال ، وذهاب ومجيء وخلع نعال ، واغتسال ، وأكل وايقاد شمع ونوم وجلوس ، وبالجملة بمناسبة كل حركة وسكون نصنع فوق حواجبنا علامة الصليب)[3] .

أما عن تعليل صلب المسيح – عليه السلام – فى زعمهم فيستندون فيها إلى ما

(١) المرجع نفسه ص٢٠٢ .
(٢) الجواب الصحيح ج٣ ص١٨١ /١٨٢ ، نقلا عن المصدر السابق .
(٣) ماهى النصرانية ؟ ص٧٥ .

جاء فى الكتب المقدسة عندهم أن (الله محبة) ، وظهرت هذه المحبة فى تدبيره الخلاص للعالم ، لأن العالم من عهد سقوط آدم فى الخطيئة ، وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا ، مبتعد عن الله بسبب تلك الخطيئة ، ولكن الله من فرط محبته وفيض نعمه رأى أن يقرب إليه بعد هذا الابتعاد ، فأرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد إلى العالم ، ليخلّص العالم)[1] .

ولئن كانت رواية الصلب واردة بالأناجيل ، إلا أن الدّارس الفاحص عندما يقارن الحادثة بالأناجيل بعضها ببعض ، يستخلص منها – على خلاف المعتقد – نفى صلب المسيح عليه السلام . وإليك البيان : وردت قصة المحاكمة فى إنجيل لوقا بالنص الآتى :

(وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون وتبعه تلاميذه أيضا . ولما صار إلى المكان قال لهم : صلوا لكيلا تدخلوا فى تجربة ، وانفصل عنهم نحو رمية حجر ، وجثا على ركبتيه وصلى قائلا : ياأبتاه إن شئت أن تجيز عنى هذه الكأس ، ولكن لتكن ، لاإرادتى ، بل إرادتك . وظهر له ملاك من السماء يقويّه . وإذا كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات الدم نازلة على الأرض ، ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه ، فوجدهم نياما من الحزن فقال لهم : لماذا أنتم نيام ؟ قوموا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة)[2] .

كذلك صّرح إنجيل متّى بأن (أظلمت الأرض ظلمة شديدة) .

من هذا النص وغيره – كما سيأتى – يتضح عند تنقيح الأخبار والبحث فى الملابسات المحيطة بالواقعة تأكيد نفى حادث الصلب عن المسيح عليه السلام : حيث يستخلص الأستاذ إبراهيم خليل من القصة الآنفة كينونة المسيح كإنسان بشر (يصلّى

(١) محاضرات فى النصرانية ص١٢٩ ويقول عبد الله الترجمان (وهم يزعمون أن لاهوته فارق عند الصلب والقتل ، وهبط إلى جهنم فأخرج منها الأنبياء وكان ناسوته فى القبر مدفونا حتى رجع إليه لاهوته ، فأخرجه من القبر ورجع إليه ، ثم صعد به إلى السماء) تحفة الأريب ص٨١ .

(٢) متّى ١٧ :٩ نقلا عن كتاب محمد ﷺ فى التوراة ، والإنجيل والقرآن ، ابراهيم خليل أحمد ص١٦٣ وقد قابل الحادثة بما وردت بأناجيل متّى ومرقص ولوقا .

فى جهاد ، فينزل ملاك من السماء ليقويّه ويشد أزره ، ثم يعود إلى تلاميذه ، فيجدهم ساعة هذه التجربة العظمى نياما ، ومن هنا حدث لبس فى شخصية المصلوب)[1] ، فضلا عن أن الوقت كان ليلا لأن الرواية تضمنت أن الجمع جاءوا بمشاعل ومصابيح .

وهنا يقول الإمام نجم الدين الطوفى (٧١٦هـ) (ففى تلك الظلمة أطلقت الملائكة المسيح وربطت الذى ألقى عليه شبهه مكانة)[2]، ثم يمضى فيحلل الأسباب النفسية لعقيدة الصلب عند كل من النصارى واليهود ، (فاعتقدتم أنتم : أن المسيح صلب وقوى ذلك الاعتقاد فى نفوسكم : حنقكم على اليهود ، وحب تقرير العلم للعدوان عليهم ، واعتقدت ذلك اليهود كما اعتقدتموه ، وحملهم على ذلك الاعتقاد : حب الغلبة والظفر بمن اعتقدوه عدواً لهم)[3].

تحقيق الحادثة :

وقد أجاد علماؤنا أثناء مناقشتهم للنصارى فى هذه الواقعة الهامة وقدّموا البراهين التى تدحض حادث صلب المسيح – عليه السلام – من واقع الأناجيل نفسها ، مستخدمين مناهج مختلفة ، منها منهج تحليل الأخبار ، حيث يتضح كذب الرواة أو شكهم فيما يروونه ، ومنها موازنة بعض نصوص الأناجيل بموازين العقل والمنطق على ضوء عقائدهم الدينية .

---

(١) محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن ص١٦٤ .

(٢) كتاب (الانتصارات الإسلامية) – فى علم مقارنة الأديان تأليف نجم الدين البغدادى الطوفى ص١٠٣ دراسة وتحقيق د /أحمد حجازى السقا مطبعة دار البيان بمصر ١٩٨٣م .

وينظر أيضا تفسير الطبرى ج٩ ص٣٦٩ قال : فلما أصبح أتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال : ما تجعلون لى إن دللتكم على المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهما ، فأخذهم ودلهم عليه ، وكان شبّه عليهم قبل ذلك – أى كانوا لا يعرفونه – فأخذوه فاستوثقوا منه ، وربطوه بالحبل ، فجعلوا يقودونه ويقولون له : أنت كنت تحى الموتى ، وتنتهر الشيطان ، وتبرىء المجنون ، أفلا تنجى نفسك من هذا الحبل ؟ ويبصقون عليه ، ويلقون إليه الشوك ، حتى أتوا به الخشبة التى أرادوا أن يصلبوه عليها ، فرفعه الله إليه ، وصلبوا ما شبّه لهم ، فمكث سبعا .

والرواية بسندها عن وهب بن منبه .

(٣) ط دار المعارف – تحقيق محمود شاكر ومراجعة وتخريج أحاديث أحمد شاكر .

ورغبة فى الايجاز وتحقيق غايتنا من أقرب الطرق سنختار من بين علمائنا الإمام القرافى صاحب الصولات والجولات فى الجدل مع النصارى :

ففيما يتعلق برواة الخبر عن الصلب فهم قليلون ، لأن الحواريين فرّوا عن المسيح – عليه السلام – لأنه لو وجد أحد منهم لقتله اليهود ، فحينئذ عدد التواتر متعذر من جهة شيعة النصارى ، ومن جهة اليهود فلأن المباشر منهم للصلب إنما هم أعوان الولاة (وذلك فى مجرى العادة يكون نفرا قليلا كالثلاثة ونحوها يجوز عليهم الكذب ، ولايفيد خبرهم العلم)(1) .

أما نصوص الإنجيل والكتب النصرانية فإنها دالّة على عدم صلب عيسى عليه السلام بذاته ، يقيم الإمام القرافى الأدلة على ذلك من واقع تحليله للنصوص وعرض مضمونها على قوانين العقل والمنطق .

فمنها أن لوقا فى انجيله روى كيف صعد يسوع إلى جبل الجليل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا ، فبينما هو يصلى إذ تغير منظر وجهه ، ولمعت ثيابه كالبرق وإذا موسى بن عمران وايلياء قد ظهرا له وجاءت سحابة فأظلتهم فوقع النوم على الذين معه .

ويستدل إذن من هذه الآيات إن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء و لم يصلب وإلا فلا معنى لظهورها .

والثانية : إن الأناجيل ذكرت إن المصلوب استسقى اليهود فأعطوه خلا مذاقا بمر فذاقه و لم يسغه ، فنادى (الهى الهى لم خذلتنى ؟) ، وهذه الواقعة لاتتطابق مع ماصّرحت به الأناجيل بأنه عليه السلام كان يطوى أربعين يوما وأربعين ليلة صابرا على العطش والجوع ، فكيف به لم يمكث على الخشبة أكثر من يوم وليلة و لم يصبر على العطش ؟ . . . . **فيتضح إذن أن المدعى للعطش غيره**(2) . . . .

والثالثة : قوله : (الهى الهى لم خذلتنى فتركتنى ؟ ؟) وهو كلام مناف للتسليم

(1) الأجوبة الفاخرة ص٥٣ .

(2) المرجع نفسه ص٥٤ باختصار .

بأمر الله تعالى ، وعيسى عليه السلام منّزه عن ذلك ، فيكون المصلوب – إذن – غيره .

كذلك فبالمقارنة بغيره من الأنبياء والرسل – كابراهيم واسحاق ويعقوب وموسى وهارون عليهم السلام – فإنهم يجعلونه فى مرتبة أقل منهم ، إذ روت التوراة أنهم تقبلوا الموت مستبشرين بلقاء ربهم ، ولم يجزعوا (مع إنهم عبيده ، والمسيح بزعمهم ولد ورب ، فكان ينبغى أن يكون أثبت منهم ، ولما لم يكن كذلك ، دلّ على أن . . . المصلوب غيره)[1] .

ويستند الأستاذ أحمد ديدات إلى نفى حادثة الصلب إلى الشواهد والأقوال المنسوبة إلى المسيح عليه السلام ، ومنها ما ورد بإنجيل لوقا (أنظروا يدى ورجلى إنى أنا هو ، حبسونى وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لى ، وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه ، وبينما هم غير مصدقّين من الفرح ومتعجبين قال لهم : أعندكم ههنا طعام ؟ فناولوه جزءا من سمك مشوى وشيئا من شهد العسل فأخذ وأكل قدامهم) .

ويعلق الشيخ ديدات على هذا النص بقوله (والسؤال الذى يطرح نفسه هو إذا ما كان المسيح قد مات « مصلوبا » ثم قام بعد ثلاثة أيام فكيف يقول لتلاميذته إن الروح ليس له لحم وعظام « طالبا » منهم أن يجسّوه .

ثم : لماذا أكل قدّامهم وفق رواية (لوقا) المعتمدة من قبل المؤسسات الكنسية ؟

فمن المعروف أن الأرواح لا تأكل ولا تشرب ، وإن علمها عند الله ، ولكن المسيح – عليه السلام – من خلال هذا الموقف الذى تقول به مختلف الكنائس وإذا ما كان هذا قد حدث بالفعل وفق مايعتقده النصارى ، فإننا نقول لهم : إن المسيح عليه السلام أراد أن يثبت إنه لم يمت بعد . أى أنه لم يقتل بعد . أى أنه لم يصلب . أى أنه ليس هناك حادثة (صلب) وبما أنه ليس هناك حادثة (صلب) فنظرية (الخلاص) لاأساس لها من الصحة ، وفى ضوء هذا فالنصرانية معتقد غير صحيح)[1]

---

(١) المرجع نفسه ص٥٥ .

(١) من أقواله لمندوب جريدة (المدينة المنورة) عدد الأربعاء رقم ٢٨٥ الصادره ، فى ٥جمادى الأولى =

وعن الناحية اللغوية نجد للشيخ ديدات بحثا فريدا فى تحليله للمصطلح الأنجليزى الدال على الصلب وهو Crucifition حيث توصل أن أصل هذا المصطلح مكون من مقطعين هما Cruci -Fiction ومعناه (رواية الصلب أو خرافة الصلب . إذ إنه لايوجد فى الأنجليزية فعل واحد بالمعنى الذى يقابل الفعل العربى (يصلب) .

ويستنتج من ذلك إنه إذا ماكان المصطلح نفسه عاجزا عن التدليل على معنى (الفعل) . . . (الحادثة) التى وقعت من وجهة نظر كتبة الإنجيل ، فكيف يتسنى لنا إذن على المستوى اللغوى التحقق من أصل هذه الحكاية كواقع ؟[٢]

ويزيد الأمر إيضاحا بكتابه (صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء) ليثبت أن قصة الصلب لا تعنى الموت قتلا مستشهدا بتفسير لغوى لانجليزى بجنوب أفريقيا وشريك له من أمريكا يعترفان أنه (لو كانت كلمة **يصلب** تعنى **يقتل على الصليب** ، **فإننا لا نجد كلمة تصور مجرد الصعود على الصليب دون موت عليه**)[٣] .

ويقول : ولو كانت (يصلب) تعنى فقط (يقتل) ، فما معنى الكلمة ؟ إن قاموس أكسفورد يعطى للكلمة معنى هو (يقتل بالتثبيت على الصليب) .

ولكنه يجابه هذا التعريف بسبع حالات صلب على الأقل حدثت فى الفلبين ونشرتها إحدى الصحف فى ١٩٨١/٥/٣ ولم يمت منهم أى شخص بالصلب ! وأغمى على أحدهم بالرغم من دق مسامير فى يدى المتقدمين للصلب بالصليب الخشبى ، ويخص بالذكر ما حدث للسيد بيتر فان دير بتاريخ ١٩٦٩/٨/٣ الذى صعد على الصليب وتلقى (الركلات) لمجرد الاستمتاع بالإثارة أو كما قال بنفسه لمجرد أن يثبت أن الإنسان يستطيع أن تكون له السيطرة على جسده ، أنه تحمل عملية الصلب بكل تفاصيلها و لم يمت ، بمعنى أنه ثبت على الصليب (لتمثيل الصلب ،

= ١٤٠٩هـ/١٤ديسمبر ١٩٨٨م ص٧ مع العلم بأنه أصدر كتابا فى هذا الموضوع بعنوان (خرافة صلب سيدنا المسيح) ، وهو من مصادر دراستنا .

(٢) صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء – أحمد ديدات ص١٧٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٨ ، وينظر صورته على الصليب ص٧٩ .

لا يموت صلبا)[1] .

المنكرون للصلب :

وقد أنكرت بعض الطوائف المسيحية حصول الصلب استنادا على الأدلة التاريخية . ويقول المسيو أرنست دى يونس الألمانى فى كتابه المسمى (الإسلام والنصرانية الحقة) إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ، ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح – عليه السلام – وليست من أصول النصرانية (وقدأنكر كثيرون من المؤمنين بعيسى فى بداية النصرانية أن المسيح نفسه هو الذى رفع على الصليب وأصروا على أن احد اتباعه (يهوذا الاسخريوطى أو شخصا آخر يشبهه تماما هو الذى ألقى القبض عليه وصلب بدلا منه[2] .

ويقول ملمن فى كتابه (تاريخ الديانة النصرانية) أن تنفيذ الحكم على المصلوب كان أثناء الظلام مما يستنتج منه امكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا منتظرين تنفيذ حكم القتل .

ويقول باسيليوس إن نفس حادثة القيامة وهى دعوى قيام المسيح – عليه السلام – من الأموات المدعى بها بعد الصلب الموهوم ، هى من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذات المسيح[3] .

ومنهم أيضا (كوائيليس شيس) الذى أعلن رأيه برفض الأساس العقائدى للصلب ، لأن (ذنب آدم لم يضر إلا أدم ، ولم يكن له تأثير على بنى النوع البشرى والأطفال الرضعاء حين تضعهم أمهاتهم يكونون ، كما كان آدم فيما قبل أن يذنب)[4] .

---

(١) المرجع نفسه ويقول (وإننى أتحدى أى أسقف أو قس فى أى مكان ، فى أى وقت يوجد فى لغته هذا (الفعل)) .

(٢) محمد ﷺ فى الكتاب المقدس ، البروفسور عبد الأحد ص٢٢٧ .

(٣) نقلا عن محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن ص١٠٣ ، راجع بالتفصيل فى هذا المصدر هذه الطوائف وتبلغ إحدى عشرة طائفة .

(٤) ماهى النصرانية ؟ ص٩٠ .

والثابت تاريخيا أن النصارى فى القرون الأولى ، قبل الملك قسطنطين لم يعرفوا رسم علامة الصليب على وجوههم بالأصابع ، وظهر تبرير ذلك برواية تحكى عن هذا الملك أنه رأى فى السماء صورة صليب من ذهب ، وملك يقول له : إن كنت تريد غلبة أعدائك ، فإجعل هذه الصورة علامة قدامك (وآمن وفعل ماقاله الملك فنصر وهو الذى بحث عن صليب المسيح حتى وجده مدفونا ، وعمل من المسامير التى كانت فيه لجاما لفرسه ، وزين جبينه بصليب من ذهب ، فاستمر ذلك لنا علامة على النصر والظفر)[1] .

ويبقى السؤال واردا وهو : كيف يرضى النصارى بعلامة الصليب (وهو شنيع على المسيح عليه السلام واظهار لشعائر الاهانة العظيمة الحاصلة لمن يزعمون أنه ربهم ، وهذا لايرتضيه الإنسان لغلامه ، فكيف لنبيه ، فكيف لربه ؟)[2] .

ويصرح محمد تقى العثمانى بأنه لم يجد على هذا السؤال اجابة فى كتابات أى عالم مسيحى[3] .

وختاما لدراستنا الموجزة حول علم الأديان المقارن ، سنجعل مسك الختام منصبا على الحديث عن إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ ، وذلك فى مبحثين :

الأول : النبوات بمحمد ﷺ فى الكتاب المقدس[4] .

الثانى : الأدلة العقلية على صدق نبوته ﷺ .

(١) الأجوبة الفاخرة للقرافى ص١٦١ والعبارة على لسان قسيسهم وكبيرهم حفص .

(٢) المرجع نفسه ص١٦٠ :١٦١ .

(٣) ماهى النصرانية ؟ ص٧٥ .

(٤) لم تقتصر النبوات على الكتاب المقدس فحسب ، فقد ذكر العقاد بأن (بعض الباحثين وجد أسم أحمد مكتوبا بلفظه العربى فى الساماقيدا من كتب البراهمة ، وبعض صفاته ﷺ وكذا كتب المجوس (التاريخ الفارسى) ككتاب زندافستا ينبىء عن رسول يوصف بأنه رحمة للعالمين « شوشيانت » ويتصدى له عدو يسمى أبا لهب ، ويدعو إلى إله واحد لم يكن له كفوا أحد وليس له أول ولا آخر ولا صاحب ولا ولد ، وكيف تنهض البادية وتتوجه للكعبة وتبسط سلطانها على فارس ، وإن نبيهّم فصيح ذو معجزات) مطلع النور للعقاد – كتاب الشهر – دار الهلال ١٩٦٨م ، نقلا عن مختصر اثبات نبوة محمد ﷺ لمحمد إبراهيم حجاج ص٨٣ ، ، الذى يرى أنه لايبعد أن يكون ذلك من آثار النبوات السابقة من لدن نوح . .

الفصل السابع

- النبؤات بمجىء الرسول ﷺ فى الكتاب المقدس .
- المدخل العقلى لصدق نبوة محمد ﷺ .
- المسلك النوعى .
- المسلك الشخصى .
- الثقافة فى البيئة المكية .
- اختلاف الأسلوب بين القرآن والحديث .
- خلقه صلى الله عليه وسلم .

النبوءات بمحمد ﷺ فى الكتاب المقدس

تمهيـــد :

يلاحظ علماء تاريخ الأديان المقارن أنه بالرغم من كثرة ذكر الرسل والأنبياء بالكتاب المقدس ،إلا إنه عندما تأتى البشارة بمجىء محمد ﷺ فإنهم يخفونها أو يجحدونها ولا يعترفون برسالته ، فما السبب ؟

يرى جارودى أن مصيبة تاريخ الأديان المقارن إنه يحمل فى الغرب علامة العصر الذى ولد فيه ، ولذلك فهو يتميّز بظاهرتين :

الأولى : إنه فيما يخص الإسلام ، فإن الغرب اعتمد على وجهة نظر مسيحية متعصبة وطائفية ، وترفض الاعتراف بصحة الوحى الإسلامى اعتمادا على تأكيد صحة وحيها هى . وهذا ما يدعونا للاعتقاد بأن التعصب هو أحد اسباب انكار نبوة نبينا ﷺ .

الثانية : المسلمّة الفلسفية الوضعية القائلة باستبعاد كل امكانية للتسامى بشكل مفاجىء فى التاريخ ، والتى تنزوى فى أفكار مسبقة ، لتزعم أن لاشىء ينشأ إلا نتيجة ومحصلة لأحكام سابقة[1] .

أما البروفسور عبد الأحد داود فقد كان أكثر صراحة لأن تمكنه فى علم الأديان

---

(١) الإسلام دين المستقبل ، جارودى ص٦٦ ترجمة عبد المجيد بارودى – دار الإيمان بيروت /دمشق١٩٨٣م .

المقارن وتخصصه في علم اللاهوت واحاطته الواسعة بالكتب الدينية عند اليهود والنصارى ، كل ذلك مكنّه من اكتشاف عدة حقائق أعلنها على الملأ في شكل تحقيقات وبحوث علمية موثقة وتستند إلى مراجع لاسبيل لأهل الكتاب في الطعن فيها :

ويذكر البروفسور - كأحد نماذج التحريف - إنه بدافع حقد اليهود على اسماعيل - عليه السلام - قام النسّاخ وفقهاء الشريعة بتحريف وإفساد الكثير من صفحات كتبهم المقدسة فشطبوا اسم (اسماعيل) ، ووضعوا اسم (اسحاق) بدلا منه ، وقاموا أيضا بحذف الوصف الخاص باسماعيل (ولدك الوحيد) لانكار وجوده .

وقام النصارى بتحريف من نوع آخر ، فغيروا ترجمة كلمة من معناها الأصلي إلى معنى آخر مغاير : وتفصيل ذلك أن الأصل في خطاب الله تعالى لابراهيم عليه السلام قوله (لأنك ياابراهيم قبلت أن تضّحى بابنك الوحيد من أجلي فسوف أزيد وأضاعف من ذريتك) .

ولكن المسيحيين عندما قاموا بترجمة هذه الكلمة العبرية التي تعنى (وفير) أو (كثير) من الفعل , Para ترجموها إلى معنى مغاير لحقيقة اللفظ ألا وهو « الحمار المتوحش » .

وعندئذ يبدى هذا العالم دهشته الممتزجة باللوم والسخط على هذا الفعل ويتساءل (أليس من العار والكفر أن ينعت اسماعيل - بهذا اللفظ - وهو النبي الذي كرمّه الله فنعته (بصاحب الذرية الخصبة الكثيرة العدد) ؟[1] .

وأدته دراسته في علم اللاهوت ، وتبحّره في تاريخ الأديان في معرفة الكتاب المقدس ونبؤاته ، إلى الاقرار بالحقيقة التي لامحيد عنها ، وهي أن محمدا ﷺ هو الهادي ، وهو (روح الحق) الذي بشر به المسيح عليه السلام[2]

---

(١) محمد ﷺ في الكتاب المقدس ، ص٦١ .

(٢) المرجع نفسه ص٣٤ .

واعتنق الإسلام عن اعتناق تام بعد كثرة البحوث والقراءات والمقارنات ، ثم أعلن فى تواضع (إنى لأأعزو اعتناق الدين الإسلامى لأى سبب غير التوجيه الإلهى الكريم الذى هدانى للإسلام ، وبغير هذا الهدى الإلهى ، فقد يصاب الإنسان بالحيرة والضلال من تعدد التعاليم الدينية ، ومن كثرة الجهود المضنية التى تجابه الإنسان فى سبيل البحث عن الحقيقة)[1] .

أما الإسلام ، فهوا الدين الذى يحقق الهدوء داخل العقل وداخل البيت مهما كانت الاضطرابات التى تهددنا[2] .

وفى وصف شامل للإسلام ورسالته وصبغته الفريدة ، ومدى صداه فى نفوس خصومه يعرفّه بأنه (لايوجد أى نظام دينى فى العالم يحمل اسما أو وصفا أفضل وأشمل وأكثر هيبة ، وسمواً من الإسلام ، فالدين الحق ، لله الحق لايمكن أن يسمّى باسم أى من عباده ولا أن يدعى باسم شعب معين أو اسم بلد معين إن هذه القداسة والعصمة لكلمة إسلام هى التى توقع الرعب والخوف والاحترام فى قلوب أعدائه ، حتى عندما يكون المسلمون ضعافا وخانعين)[3] .

ودفعه إيمانه ذو الجذور العميقة فى نفسه إلى إعلان اكتشافاته العلمية على الملأ ، بل الدعوة إلى الإسلام أيضا لإنه بعد الفحص والتمحيص ثبت لديه أنه الدين الحق .

لقد أراد البروفسور عبد الأحد إذن بوحى من إيمانه العميق اثبات تحريف الكتاب المقدس لنصوص النبؤات ، فأتى بالنصوص المحرّفه[4] ، بسبب الترجمة وطابقها مع ما يقابلها مكتوبا باللغة الأصلية ، وعندئذ أذهله أن كل النصوص المعنية بالنبؤات تنصب على رسول الله ﷺ ، وهذا لم يكن يتوقعه قط بحكم عقيدته السابقة ونشأته

---

(١) المرجع نفسه ص٢٢ .

(٢) المرجع نفسه ص١٢٨ .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) يرى الأستاذ محمد إبراهيم حجاج إنه لكثرة البشارات بمحمد ﷺ وتفرقها فى كتبهم لم يستطيعوا إخفاءها كلها ، وإن اجتهدوا لتمويهها وتأويلها ، فلا تزال تدل على محمد ﷺ . ض٨٦ من كتابه (مختصر إثبات نبوة محمد ﷺ) المكتبة الإسلامية - عمان ١٤٠٣م

على النظر إلى الإسلام ، ونبيّه بعين ملؤها الحقد والكراهية ، أو عدم الإنصاف على أقل تقدير .

ولا يتسع المجال لعرض بحوثه تفصيلا ولكن يعنينا فقط الإلمام بطريقة التحريف المتبعة ، والتى بواسطتها ينكرون نبوة نبينا محمد ﷺ .

وسنتدرج لنبيّن منهجه أولا ثم نصل إلى تطبيق هذا المنهج على بعض النصوص الدالة فى أصلها على الرسول ﷺ .

فمن معالم منهجه إنه أخذ (يعيد قراءة الكتب المقدسة بنصوصها الأصلية مرة بعد مرة)[1] ، فوقف على أهم الحقائق التى غابت على القساوسة (ولو حاول القساوسة اللاهوتيون النصارى معرفة حقيقة كتبهم المقدسة التى وردت أصلا باللغة العبرية بدلا من ترجمتها ، كما يفعل المسلمون الذين يقرأون قرآنهم بنصّه العربى ، لاتضّح لهم إن الله – تعالى – هو نفس الإسم القديم السامى للكائن الأعلى الذى أوحى وكلّم آدم وجميع الرسل من بعده)[2] .

وفى ضوء هذا المنهج مضى ليتحقق من أن النبؤات الواردة بالكتاب المقدس تحققت بالحرف الواحد وصدقت على محمد ﷺ .

وسنكتفى بعرض ثلاث منها بايجاز :

النبؤة الأولى :

ماورد فى التوراة (سفر التثنية الفصل الثامن عشر الجملة١٨) :

« أقيم لهم نبيّا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه »

ويرى البروفسور عبد الأحد إن هذه الكلمات مالم تنطبق على محمد ﷺ فإنها تبقى

---

(١) محمد ﷺ فى الكتاب المقدس ص٢٨ .

(٢) المرجع نفسه ص٣٧ .

غير متحققه ، فالمسيح -عليه السلام - نفسه لم يّدع إنه النبى المشار إليه ، وكذلك يتطلع حواريوه إلى عودته لكى تتحقق النبؤة (وحتى الآن ، فإنه من الثابت غير المنقوص بأن الظهور الأول للمسيح لم يكن ليدل على ما جاء فى الجملة« أقيم لهم نبيّا مثلك » ، وكذلك فإن عودة المسيح مرة ثانية لاتكاد تحمل معنى هذه الكلمات ، وإن المسيح ، كما تؤمن به كنيسته ، سوف يظهر كقاض وليس كمقدم للتشريع بينما « الموعود » هو الذى يجيء حاملا « الشريعة النارية المشعة بيده اليمنى »(١) .

النبؤة الثانية :

الكلمات الواردة فى التوراة) فى الفصل٣٣ الجملة (٢) تنص على مايلى : « وجاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من ساعير وتلألأ قدما من جبل فاران ، وجاء معه عشرة آلاف قديس ، ومن يده اليمنى برزت نار شريعة لهم » .

ومن الثابت فى رأى البروفسور عبد الأحد أنه لم يكن لأحد من الاسرائيلين بمافيهم المسيح - عليه السلام - أية علاقة بـ (فاران) ، فإن (هاجر) مع ولدها (اسماعيل) هم الذين سكنوا فى قفار (فاران)(٢) .

وكذلك فإن (بيت الرب الذي يمجّد اسمه فيه) المشار إليه فى الاصحاح (٦٠ الجملة٧) ، هو بيت الله الحرام فى مكة وليس كنيسة المسيح ، كما كان يعتقد المفسرون المسيحيون .

وبحكم معرفته الواسعة بالتاريخ وتفاصيله ، ووقوفه على أعداد المسلمين الذين دخلوا مكة المكرمة ، لفت نظره تحديد عدد العشرة آلاف (فإذا قرأت جميع التواريخ المتعلقة بقفار« فاران » فإنك لاتجد أية حادثة أخرى غير هذه أمامك ، وهى أنه عندما فتح النبى ﷺ مكة دخلها على رأس عشرة آلاف مؤمن من أتباعه في المدينة ، ثم يعود إلى« بيت الله » وبيده اليمنى الشريعة التى حولت جميع الشرائع الأخرى إلى رماد)(٣).

---

(١) المرجع نفسه ص٣١ .

(٢) المرجع نفسه ص٣٢ .

(٣) المرجع نفسه ص٣٤ .

النبؤة الثالثة :

وتحتوى على جملتين كلّ منهما تنص على اسم (أحمد) أو« حمدا Himda»

(أ) الجملة الأولى (وسوف يأتى أحمد لكل الأمم – سفر حجّى٢ –٧) . والترجمة المحرفّة لبعض الكتب المقدسة فى الاصحاح الثانى من سفر حجّى هكذا ، يقول(**ويأتى مشتهى كل الأمم**)[٢] .

(ب) الجملة الثانية ونصها (ولسوف أزلزل كل الأمم ، وسوف يأتى حمدا Himda لكل الأمم ، وسوف أملأ هذا البيت بالمجد ، كذلك قال رب الجنود ولى الفضة ولى الذهب ، هكذا يقول رب الجنود وإن مجد ذلك البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول ، هكذا يقول رب الجنود وفى هذا المكان أعطى السلام ، هكذا يقول رب الجنود » .

الاصحاح الثانى من سفر حجّى ، الجملة ٧ –٩ .

ويرى البروفسور عبد الأحد خطأ ترجمة كلمتى (حمدا) و (شالوم) من أنهما (الأمنية والسلام)[٣]، لأن النبؤة على ضوء هذه الترجمة تصبح لاشىء أكثر من (همس غامض مبهم ولايفهم معناه) ، ثم يقول (ولكن إذا فهمنا المقصود من التعبير بكلمة (حمدا) بأنه فكرة ثابتة عن شخص أو عن حقيقة واقعة ، وإذا ما فهمنا المقصود من كلمة (شالوم) بأنها ليست حالة مشروطة ، بل هى قوة فعاّلة وديانة رسمية ثابتة ومعترف بها ، وعندئذ لابد من اعتبار هذه النبؤة على أنها صادقة لاانكار فيها ، وأنها مطابقة لشخصية (أحمد) وبعثته بالإسلام ، ذلك لأن كلمتى (حمدا)

---

(٢) المرجع نفسه ص٤٩ .

(٣) ويقول البروفسور (ولقد قمت بترجمة هذه الفقرة المذكورة من النسخة الوحيدة من الإنجيل الذى كان بحوزتى ، والتى أعارتنى إياها سيدة آشورية كانت إبنة عم لى ، والنسخة هذه هى باللغة الوطنية الدارجة حينذاك . ولكن دعنا نرجع إلى الترجمة الأنجليزية للكتاب المقدس ، والتى نجد إنها ترجمت عن الأصل العبرى كلمة (حمدا) إلى الأمنية) وكلمة (شالوم) إلى السلام . ص٥٠ .

و(شالوم) أو (شلاما) تؤديان بدقة نفس الدلالة والأهمية لكلمتى (أحمد) و(الإسلام) [1].

ويري البروفسور عبد الأحد إن إسم (أحمد) هو أول إسم علم عرف بهذه الصيغة في تاريخ البشر (وهو بحسب اعتقادي أعظم معجزة جاءت لصالح الإسلام) [2].

هذا وقد سبق أن قلنا فى الفصل الأول أنه لابد من القدوة الكاملة فى اجتياز طريق الحياة الإنسانية ، وقد تحقق ذلك فى الإسلام باعتباره خاتم الأديان ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ ، وخص الله عز وجل محمدا ﷺ وحده - كخاتم النبيين - بوصفه (الأسوة الحسنة) فقال سبحانه : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ .

ونعود هاهنا لاستكمال إحدى الحلقات فى موضوع النبوة ، فنظهر البراهين الدالة على صدق نبوة نبينا محمد ﷺ مستخدمين فى ذلك طريقتى عالمين من علمائنا : أحدهما شيخ الإسلام ابن تيمية (فيما بين القرنين السابع والثامن الهجريين : ٦٦١ - ٧٢٨هـ) والثانى الأستاذ محمد لطفى جمعة فى العصر الحديث .

ونلاحظ أن الأول استخدم مصطلحات عصره المنطقية (المسلك النوعى - الشخصى) ، بينما استخدم الثانى علوم العصر كالاجتماع والأخلاق والنفس فى صد حملات التهجيم والتشكيك ، مستمسكا ومعتزا بعقيدته الإسلامية ، ومتحديا كتابات

---

(١) المرجع نفسه ص٥٠ ويقول ص٥٢ (أما فيما يتعلق بأصل هذه الكلمات وتاريخها ومغزاها « شالوم » و« شلاما بالعبرية ، وفى العربية (سلام) وإسلام ، فإنه لاحاجة بى لأن أعيق تسلسل القارئ فى تفكيره ، فأجرّه إلى تفاصيل لغوية ، لأن أى عالم فى السامية يعرف تماما أن (شالوم) و (إسلام) هما كليمتان مشتقان من أصل واحد ، وتعنيان نفس المعنى ، وهو السلام والإذعان أو الاستسلام) .

(٢) المرجع نفسه ص٥٤ .

المستشرقين من اليهود والنصارى وتلاميذهم من المتغربين المفتونين والملحدين العصريين .

كذلك لابد من التنويه بمنهج العالم الفرنسى موريس بوكاى الذى عرضنا بعض لمحاته بأحد فصول الكتاب .

وهكذا تبقى طرق الاستدلال العقلية والعلمية متاحة فى كل العصور متضافرة لتجلية الحق .

المدخل العقلى لصدق نبوة محمد ﷺ

لقد حض القرآن الكريم على التفكير فى أمر النبى ﷺ . . . واستخدام ميزان العقل للتثبت من صدق نبوته عليه الصلاة والسلام : تدبروا قوله تعالى : ﴿ **قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد** ﴾ سبأ /٤٦ .

قال القاسمى فى تفسير هذه الآية (أى قياما خاصا لله بلا محاباة ولامراءة اثنين اثنين ، وواحدا واحدا (ثم تتفكروا) أى فى أمر ﷺ وماجاء به من الهدى واصلاح الأخلاق ، ورفع النفس عن عبادة ما هو أحط منها من الأوثان ، إلى عبادة فاطر السموات والأرض ، واتباع الأحسن ونبذ التقاليد وانزال الرؤساء إلى مصاف المرؤسين رغبة فى الاخاء والمساواة ، إلى غير ذلك من محاسن الإسلام وخصائصه المعروفة فى الكتب المؤلفة فى ذلك . وقوله تعالى : ﴿ مابصاحبكم من جنة ﴾ أى جنون . مستأنف منبه لهم على أن ما عرفوه من رجاحة عقله كاف فى ترجيح صدقه . . والتعبير عنه ﷺ ب (صاحبهم)للايماء أن حاله معروف مشهور بينهم . لأنه نشأ بين أظهرهم بقوة العقل ، ورزانة الحلم وسداد القول والفعل (إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) وهو عذاب الآخرة والمآل[1] .

---

(١) القاسمى : محاسن التأويل ج١٤ص٤٩٦٦ تصحيح محمد فؤاد عبد الباقى وعيسى البابى الحلبى وشركاه .

كذلك الرسول ﷺ أيضا عندما أعلن نبوته عقب صدور الأمر الإلهى إليه ، استند إلى دليل عقلى ، فقد القى إليهم سؤالا أولا – كما سيأتى حتى يقروا بأمانته وصدقه – أى المقدمة التى سيبنى عليها النتيجة ، فلما أقروها أعلن عليهم النبأ .

فقد نفذ الأمر الإلهى إليه ﷺ ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ فصعد على الصفا فجعل ينادى لبنى قريش حتى اجتمعوا فسألهم « أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد إن تغير عليكم كنتم مصدق ؟ » قالوا : نعم ، ماجربنا عليك إلا صدقا ، قال : « فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد »(١) .

والحديث عن نبوة محمد ﷺ يتشعب بنا إذا لم نحصر حديثنا فى جانب واحد من السيرة ، لأنها أجل وأعظم من أن يحاط بها مؤلف أومؤلفات على سعتها فما من مؤلف من مؤلفات السيرة إلا جاء معبرا عن أحد جوانبها دون الاحاطة بها جميعا . وفى نطاق بحثنا المحدود ، سنختار مقتطفات من الأدلة على صدق نبوته ﷺ ، منها و أولها معجزة القرآن الكريم التى عجز البشر وسيعجزون حتى قيام الساعة أمام التحدى الإلهى ﴿ **فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا** ﴾ البقرة /٢٤ .

وإننا واجدون فى إثبات النبوة نفس الطريقة التى يمكن بها أن نثبت أنواعا من العلماء فى البشر كالأطباء والفلكيين والأدباء والشعراء والنوابغ فى ميادين المعارف والعلوم المختلفة (فما من أحد يدعى العلم بصناعة أو مقالة إلا والتفريق فى ذلك بين الصادق والكاذب له وجوه كثيرة . . والنبوة مشتملة على أشرف العلوم والأعمال)(٢) .

والمسالك كثيرة للاستدلال على النبوة بالأدلة العقلية ، نختار منها مسلكين ، ومصدرنا شيخ الإسلام ابن تيمية مع الاختصار :

الأول : المسلك النوعى :

وبه استدل النجاشى على نبوته ﷺ ، فإنه لما استخبر الصحابة القادمين عليه

---

(١) ابن الوزير اليمانى : الذب عن سنة أبى القاسم صلوات الله عليه ج٢ص١٣١ المطبعة السلفية .

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ص٨٢ وما بعدها .

فرارا بدينهم من قريش عما يخبربه ، واستقرأهم القرآن ، قال بعدسماعه لبضعة آيات من سوره (مريم) : إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة – أى إنه عرف إن طبيعة الكلام تدل على وحدة المصدر .

وبنفس الطريقة سبقه إلى ذلك ورقة بن نوفل ، عندما هرعت إليه السيدة خديجة رضى الله عنها تسأله عن حقيقة ما حدث للنبى ﷺ فأجاب قائلا : (هذا هو الناموس الذى كان يأتى موسى عليه السلام) .

الثانى : المسلك الشخصى :

وبه استدل هرقل ملك الروم عندما وجه أسئلته إلى أبى سفيان وهو حينئذ من أشد الناس بغضا وعداوة للنبى ﷺ وموجز هذه الأسئلة هى :

– هل كان فى أبائه ملك ؟ فأجاب بالنفى .
– هل قال هذا القول أحد قبله ؟ فأجاب بالنفى .
– هل هو ذو نسب فيهم ؟ فأجاب بالايجاب .
– هل يتهمونه بالكذب ؟ فأجاب بالنفى .
– هل اتبعه ضعفاء الناس ؟ فذكر إن الضعفاء اتبعوه .
– هل يزيدون أم ينقصون ؟ فذكر أنهم يزيدون .
– هل يرجع أحد عن دينه سخطة له ؟ فأجاب بالنفى
– هل قاتلوه ؟ فأجاب بالايجاب .
– ماطبيعة الحرب بينهما ؟ فأجاب بأنه يدل على أعدائه المرة والعكس مرة أخرى .
– هل يغدر ؟ قال لا .

وكان هرقل يسأل أبا سفيان طالبا ممن معه من تجار قريش إن كذب أن يكذبوه فوجدهم موافقين له فى اجاباته ، وأخيرا سألهم – بماذا يأمركم ؟ قالوا (يأمرنا أن نعبد الله وحده لانشرك به شيئا وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة) .

ثم بين لهم فى النهاية دلائل اسئلته ، فقد سألهم عن أسباب الكذب وعلاماته فرآه

منتفيا وسألهم عن علامات الصدق فوجدها ثابتة ، إذ لو كان فى آبائه ملك لقال رجل يطلب ملك أبيه كذلك فإن تفرده ﷺ بدعوته يدل على أنه بخلاف ما هو معتاد من اتباع الرجل لعادة آبائه واقتدائه بمن كان قبله – وهذا يحدث كثيرا فى المجتمعات الإنسانية – أما إذا طلب أمرا لايناسب حال أهل بيته فإن هذا نادر فى العادة لكنه قد يقع ، ولهذا أردفه بالسؤال عما إذا كانوا يتهمونه بالكذب ، فلما علم صدقه قال إنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله ، ثم اردف ذلك بالسؤال عن علامات الصدق ، فمن علامات الرسل اتباع الضعفاء لهم ، وسألهم هل يزيدون أم ينقصون ، فقالوا بل يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم ، وسألهم هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه ، وايقن من اجابتهم بالنفي أنه نبي لأن الايمان إذا خالطت بشاشته القلوب لايسخطه أحد ، وعلم إن من علامات صدق نبوته ﷺ أن أتباعه يزيدون ولا ينقصون ، لأن الكذب والباطل لابد أن ينكشف فى آخر الأمر فيرجع أصحابه عنه ، فالمتنبيء الكذاب لايدوم إلا مدة يسيرة . وفى الحرب علم أنه تارة يَغْلِب كما غلب يوم بدر وتارة يغلب ، وكذلك الرسل تبتلي وتكون العاقبة لها فإن سنه الله فى الأنبياء والمؤمنين أنه يبتليهم بالسراء والضراء لينالوا درجة الشكر والصبر ، كما علم من اجابتهم إنه لايغدر فكذلك الرسل فإنها لاتغدر أصلا إذ الغدر قرين الكذب . وتعرف على صدقه أيضا من أمره ﷺ بعبادة الله وحده والصلاة والصدق والعفاف والصلة ، وينهاهم عما كان يعبد آباؤهم وهذه صفة نبي .

وعلق هرقل فى النهاية بقوله (وقد كنت أعلم أن نبيا يبعث ، ولم أكن أظن إنه منكم ولوددت أني اخلص إليه ولولا ما انا فيه من الملك لذهبت إليه ، وإن يكن ما يقول حقا فسيملك موقع قدمي هاتين)(١) .

ونضيف إلى ذلك إن الأدلة العقلية والمنطقية والتاريخية ، ومالها ارتباط بعلم النفس والاجتماع والأخلاق ، كلها تؤيد إنه النبي الصادق حقا ، وإن كان هذا يتطلب

(١) ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية من ص٨٢ :٨٦ – مطبعة الكردستان العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٩هـ .

دراسة قائمة بذاتها كما فعل كثير من كبار علمائنا[1] إلا إننا نختصر هنا الكلام اختصارا لكى نبرهن على إن المدخل العقلى للعقيدة الإسلامية يتجلى فى آياته القرآنية ، وصدق رسوله ﷺ إذا ما نظرنا إليه بعين الانصاف والتجرد للبحث عن الحق .

وكما تحدثنا من قبل عن تعذر الاحاطة بسيرة الرسول ﷺ فى كتاب ، فما بالنا بعدة صفحات ؟

ومع هذا فإنه مما يتصل بدراستنا فحص الآراء التى يلف حولها بعض كتاب الأفرنج ويدورون ، لنخرجهم من هذه الدائرة المضللة إلى نور الحق وضيائه وهذه الآراء لا تخرج فى مجملها عن محاولتهم - بطريقة فجة ، بل مضحكة - إما اصطناع صلة بينه ﷺ وبين الأديان والثقافات السائدة حينذاك فى بيئته أو المساس بالقرآن الكريم أو النيل من صفاته الشخصية ﷺ .

وبمراجعة صفحات كتب السيرة ، سنجد بحمد الله تعالى ماسبقنا به علماؤنا من مواجهة حاسمة مفحمة لكل ما دندن حوله أعداء الإسلام ، وكانت نتيجة المواجهة فى صالح الحق والعدل .

وسنعرض لهذه الآراء بحسب ترتيبها :

(١) الثقافة فى البيئة المكية .

(٢) اختلاف الأسلوب بين القرآن والحديث .

(٣) خلقه ﷺ .

١ - الثقافة فى البيئة المكية

ومن هذه الأدلة إن العرب (كانوا أميين وثنيين جاهلين بعقائد الملل وتواريخ

---

(١) منهم الأستاذ محمد لطفى جمعه - الذي رجعنا إليه فى هذه الصفحات مع العلم بأن كتابه فى السيرة يمتاز بأنه نتاج اطلاع واسع وغزير جدا - يكاد لا يبارى فى العصر الحديث - مع عمق دراسته تحليلا ومقارنة وردا على علماء الأفرنج ويقع كتابه فى نحو ١٠٥٧ صفحة من القطع الكبير - مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩م بعنوان : ثورة الإسلام وبطل الأنبياء أبو القاسم محمد بن عبد الله .

الأمم ، ومبادىء التشريع وعلوم الفلسفة ، وأن مكة عاصمة دولتهم وقاعدة دينهم ومقر كعبتهم ومثوى زعمائهم ورؤسائهم وملتقى الشعوب والقبائل للتجارة والحج والمفاخرة بالفصاحة والبلاغة والشعر والخطب ، لم يكن بها مدرسة ولا مكتب ولم يوجد بها كتاب مخطوط ، فكيف يهيأ لرجل مثله ، وفى مثل هذه البيئة الجاهلة إن يجىء بدين تام وكامل ، وشرع عادل عام)[1] .

إن الدراسة المقارنة للعقائد والأديان والنظم تصل بالباحث إلى سمو المعتقدات والأحكام والعبادات والآداب التى جاء بها محمد ﷺ ، ولم يكن من الممكن إن يصل إليها عقله وفكره ولاعلومه ومعارفة الكسبية ، فيتعين أن يكون ذلك بوحى من الله تعالى ، ثم إن ماجاء به من هداية الناس وصلاح أمورهم فى دينهم ودنياهم كان أعلى فى نفسه من معارف البشر فى عصره ، فيتعين أن يكون وحيا .

ولو كانت النبوة أمرا كان يرجوه محمد ﷺ ، وكان قد أتم استعداداه له باختلائه وتعبده – كما يزعم ذلك بعض المستشرقين – ماحدث له من رجفة هائلة ولما عاد إلى زوجته مرتجفا تصطك أسنانه وترتعد فرائصه ويسيل عرقه – بل كان ينزل إلى أهله فرحا طروبا منتصرا متشجعا غير هياب ولا وجل ، مثل كل رجل يجد الأمر الذى كان يسعى إليه ويطلبه . ولكن الذى حدث إنه بعد نزول سورة (العلق) انقطع عنه الوحى ثلاث سنوات تباعا ، وكان فى هذه الأعوام الثلاثة ، وهى التى يسمونها فترة الانقطاع ساكنا هادئا لم يتل فيها على الناس سورة ولا آية ، ولم يدع أحدا إلى شيء ولاتحدث إلى اهله ولا إلى اصدقائه بشىء ، لانهم لم ينقلوا عنه شئيا ، فهذا السكون وحده برهان قاطع على بطلان ما صوروا به استعداده للوحى الذاتى الذى زعموه .

أما قصة بحيرا الراهب فقد ضعفها بعض العلماء – أمثال عبد العزيز بن راشد النجدى ورشيد رضا ومحمد لطفى جمعه – لأن الروايات الخاصة بها ضعيفة الإسناد ، إلا رواية الترمذى وليس فيها إسم بحيرا وفيها غلط فى المتن ، وليس فى شيء منها أن محمدا ﷺ سمع من بحيرا شيئا عن عقيدته أو دينه . ولم يكن بحيرا – إن وجد

(١) محمد لطفى جمعة : ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ص٥٤٧ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩م .

حقيقة – ساذجا إلى درجة إنه فاتح صبيا صغيرا بمثل هذه الأسرار العليا .

ومن أبعد الروايات عن الاقناع ، إدعاء خصوم الرسول ﷺ إنه تلقى ما تلقاه من حداد رومى بمكة . فمن المضحك إن لايجد النبى ﷺ معلما إلا فى شخص الحداد ، ولعل محمدا كان يراه فى السوق فيقف عليه ليرى صنعته ، ولم يفقه لغته ولا يمكنهما التفاهم ، ولذا جاء فى القرآن ﴿ **لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين** ﴾ .

وبالجملة لم يجد النقاد شخصا يليق فى مكة بأن يكون أستاذا لمحمد ﷺ لأن مكة بها يهود ونصارى من طبقة العبيد والرقيق لسادتهم العرب ، لأن رؤساء قريش لم يكونوا يسمحون لأحد من ذوى الشأن من النصارى أو اليهود إن يقيموا فى مكة ، وهى حرمهم المقدس الخاص بأوثانهم ، وإن كانوا يتساهلون مع خدمهم وعبيدهم لإنهم فى حاجة إليهم ، وهؤلاء كانوا من طبقة نازلة ولكنهم جهلاء ولا يتصور إن محمدا ﷺ يتنزل أو يتدلى إليهم ليتتلمذ أو يتلقى عنهم رسالته[1] .

ومما يدحض أيضا هذه المفتريات الصادرة عن خيالات كتابها أن ندرس تاريخ رسالة الأنبياء عليهم السلام – منذ إبراهيم عليه السلام مع التخلص من الروح العنصرية فى البحث لذلك ، فإن استيعاب هذا التاريخ بنظرة شاملة كلية يتطلب – كما يرى جارودى – التخلى عن النزعة الغربية الاقليمية الضيقة وإستيعاب ما جاء به الأنبياء – عليهم السلام – الذين أكملوا رسالة إبراهيم – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

ويستطرد فيلسوفنا قائلا(وحينئذ يتاح لنا أن نفهم أسباب استبدال المسيحية الناهضة باليهودية المتحجرة ، كما يتاح لنا أن نفهم السبب الذى من أجله أصبحت المسيحية خيالية مشوهة ، بفعل سياسة الأمبراطور قسطنطين ، تلك السياسة التى قلبت المسيحية رأسا على عقب . إن مفهوم (نظام الكهنوت) الرومانى المنشأ ، والذى صنع فيما بعد بصيغ يونانية ثم أقره مجمع (نيقيا) كعقيدة روحية لاهوتية . .

(١) وينظر د/محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم – دار القلم بالكويت ص٦٤/٦٥ ط١٣٩٧هـ-١٩٧٧م .

إن هذا المفهوم الذى سرعان ما تصدع وتشظى إلى شيع عديدة لم يستطع أن يقاوم البديل التاريخى وهو الإسلام)[1].

أى إنه ﷺ جاء بعقيدة ليصحح العقائد التى انحرفت على أيدى اليهود والنصارى بعد إبراهيم عليه السلام .

فكيف يقال إنه جاء مقلدا لهذه الإنحرافات ، آخذا عنها ؟

٢ - اختلاف الأسلوب بين القرآن والحديث

يقول أحد كتاب السيرة المعاصرين (إنى اتخذ من الإختلاف فى الأسلوب بين القرآن والحديث دليلا علميا وعقليا وأدبيا على صحة الوحى) ، ويشرح ذلك بالرد على الزاعمين إنتحال الرسول ﷺ القرآن لنفسه ، إذ لو فعل ذلك ، لكان أدعى إلى الفخر والمباهاة والشهرة وذيوع الصيت ، لدلالته على القدرة الباهرة فى نظم الكلام وتأليفه والاطلاع على علوم الأولين والآخرين ، وأيضاالوقوف على أسرار الكون والعالم بما لم يسبق لأحد من الحكماء والمشرعين من قبل ولكن هذا الكذب لاتقبله نفس محمد ﷺ ولا ترضاه سريرته ولا يتحمله ضميره فضلا عن أنه لو كان القرآن هو كلامه ، ما تمكن من التفكير فى أسلوب آخر ينطق به فى أوقات أخرى ، خصوصا وإن القرآن كان يأتيه ويهبط عليه فى أحوال شاذة من كرب وضيق وعرق ورجفة ، وقد تواتر الصدق فى رواية صفته عندما كان يجيء الوحى على هذه الحال ، وهى حال استثنائية لايمكن فيها للكاتب أو المفكر أو الشاعر الذى أحوج ماهو إليه ، إن يملك زمام نفسه واعتدال مزاجه ، فى حين إن حديثه وجوامع كلمه ومواعظه ونصحه ، كان ينطق بها وهوعلى أشد ما يكون راحة وهدؤ وسلامة بدن وسكون بال[2].

ويقرر الأستاذ محمد لطفى جمعة بعد الاستشهاد بأقواله وخطبه وحكمه التى

(١) جارودى : مايعد به الإسلام ص٢٤٠ .

(٢) انظر محمد لطفى جمعة : ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ص٥٤٧ :٥٥٠ :٥٥٨ - مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٩م .

ملأت الآفاق واصبحت من السنن التى شرعها الله تعالى على يديه – أن من اقوى الحجج على صدق الوحى المحمدى وأوضحها وأجلاها وأظهرها إن حديث النبى ﷺ الصحيح وجوامع كلمه وحكمه الوجيز الصائبة واجوبته المقنعة ، وقد سارت كلها مسير المثل ، وقيلت بجملتها عفو الساعة ، دالة على حضور بديهته وصفاء نفسه وقوة ذهنه ، كانت جميعها تختلف اختلافا بينا عن ألفاظ القرآن ومعاينه[1] .

٣ - خلقه ﷺ

فإذا صعدنا النظر إلى خلقه ﷺ سحرتنا الآيات الباهرات بحيث يصدع لها كل إنسان سليم الفطرة ، خلا قلبه من الدغن وشهوات الهوى والزيغ وابحث فى سيرته فلا تجد إلا كل خلق الله عظيم (وإنك لعلى خلق عظيم) وقد تفرد بهذا الوصف بلا منازع دون الأنبياء والرسل – صلوات الله وسلامه عليهم جميعا وعن الرحمة فى قوله عزوجل : ﴿ **فيما رحمة من الله لنت لهم** ﴾ ، قال : (هذا خلق محمد ﷺ ، نعته الله عزوجل) وسئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلقه فقالت : القرآن[2] .

وسنختار فى هذا الحيز ثلاثة نماذج فقط من بين مئات الشواهد الدالة على خلق النبوة الحقة ، وهى التى أوردها الدكتور محمد عبدالله دراز فى كتابه (النبأ العظيم) :

(١) جلست جواريات يضربن بالدف فى صبيحة عرس ، وجعلن يذكرن آباءهن من شهداء بدر حتى قالت جارية منهن : وفينا نبى يعلم ما فى غد فقال : ﷺ « لا تقولى هكذا ، وقولى ماكنت تقوليي » رواه الإمام البخارى . ومصداقه فى كتاب الله تعالى : ﴿ **قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب** ﴾ الأنعام /٥٠ ، ﴿ **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير** ﴾ الأعراف /١٨٨ ..

(٢) وكان عبد الله بن أبى السرح ، احد النفر الذين استثناهم النبى ﷺ من

---

(١) نفس المصدر ص٥٧٤ .

(٢) الاصبهانى : أخلاق النبى ﷺ وآدابه ص٢٠ . تحقيق أحمد محمد موسى – مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٢م .

الإيمان يوم الفتح لفرط ايذائهم للمسلمين وصدهم عن الإسلام ، فلما جاء النبى لم يبايعه إلا بعد أن شفع له عثمان رضى الله عنه ثلاثا ، ثم أقبل على أصحابه فقال : أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين كففت يدى عن بيعته فيقتله ؟ فقالوا : هلا أومأت لنا يا رسول الله . فقال ﷺ « إنه لاينبغى لنبى أن تكون له خائنة الأعين » . رواه أبو داود والنسائى .

(٣) ولما توفى عثمان بن مظعون رضى الله عنه قالت أم العلاء – امرأة من الأنصار – رحمة الله عليك يا أبا السائب ، فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال ﷺ : « وما يدريك إن الله أكرمه ؟ فقالت – بأبى أنت يارسول الله ، فمن يكرمه الله ؟ قال – أما هو فقد جاءه اليقين والله إنى لأرجو له الخير ، والله ما أدرى وانا رسول الله مايفعل بى » قالت – فوالله لاأزكى أحدا بعده أبدا . رواه البخارى والنسائى . ومصداقه فى كتاب الله تعالى : ﴿ **قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم** ﴾ الأحقاف /٩ .

لم يتخف إذن وراء الدهاء أو السياسة ولم يسمح لنفسه أن يقول مايشاء فى شأن مابعد الموت . وهو لايخشى من يراجعه فيه ، أو حكم التاريخ عليه إذ –منعه خلقه العظيم وتقدير المسئولية الكبرى أمام حاكم آخر أعلى من التاريخ وأهله ﴿ **فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين . فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين** ﴾ الأعراف : آية ٦ .

ومهما جال الباحث فى صفحات السيرة النبوية فلن يعثر إلا على الصفاء والصدق والاخلاص فى كل قول من أقواله ﷺ ، وفى كل فعل من أفعاله ، بخلاف سيرة صنوف البشر جميعا ، إذ نرى الناس يدرسون حياة أساطين الفكر والأدب والفن والشعر ، فتعطينا صورا معبرة عن عقائدهم وعوائدهم وأخلاقهم وأساليب معيشتهم ، ولايمنعهم زخرف الكلام والشعر وطلاؤه عن استنباط دخائلهم والكشف عن حقيقة سرائرهم ، ذلك أن للحقيقة قوة غلابة تنفذ من حجب الكتمان فتقرأ ، بين السطور وتعرف فى لحن القول . ومهما تصنع الإنسان العادى فلا يخلو من فلتات فى قوله وفعله تنم على طبعه ، وما عدا سيرة النبى الصادق ﷺ إذ كان الناظر إليه

إذ حسنت فراسته يرى أخلاقه العاليه تلوح فى محياه ، ولو لم يتكلم أو يعمل ، ولهذا شرح الله صدر الكثيرين دون أن يسألوه ، منهم العشير الذى عرفه بعظمة سيرته : قالت له السيدة خديجة عند بدء الوحى تطيبا لنفسه المكروبة بهذه الكلمات الدالة على صدق حدسها فوصفت خلاصة أخلاقه (أبشر يا ابن عم واثبت ، فوالذى نفس خديجة بيده ، إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ، ووالله لايخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

كذلك منهم الغريب الذى عرفه بسيماه فى وجهه . قال عبد الله بن سلام رضى الله عنه (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه وقيل « قدم رسول الله ، قدم رسول الله » فجئت فى الناس لأنظر إليه ، فلما استثبت وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب) رواه الترمذى بسند صحيح[1] .

تم الكتاب بحمد الله

(١) انظر د /محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم ص٣٢ :٣٥ - دار القلم - الكويت (نظرات جديدة فى القرآن) ١٣٩٧هـ -١٩٧٧م .

الفهرس

دَارُ الدَّعْوَة
للطبع والنشر والتوزيع
١ شارع منشا - محرم بك - إسكندرية ت: ٤٩٠١٩١٤